مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

موسوعة فلسفة التاريخ

د. صائب عبد الحميد

9

إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط

مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

موسوعة فلسفة التاريخ

د. صائب عبد الحميد

9

إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

عنوان الكتاب: موسوعة فلسفة التاريــخ
المؤلف: د. صائب عبد الحميد
عدد الصفحات: 284 صفحة
الناشر: مركز البيدر للدراسات والتخطيط
الطبعة الأولى - بغداد 2024

ISBN: 9789922978192

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط
لايحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، بما في ذلك النسخ أو التسجيل دون إذن خطي من المركز.

ملاحظة:
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (534) لسنة 2024

www.baidarcenter.org
info@baidarcenter.org

المحتويات

تقديم: (تعريف مكثف بالكتاب والمنهج)	15
حرف الألف	19
آدمز، هنري بروكس Henry Brooks Adams	19
آرون، ريمون Raymond Aron	19
إخوان الصفا Ekwan Al Safa	20
ادغار كونيت Quinet	24
إدوارد كار Edward Hallett Carr	25
إدوارد هيوم Edward Hume	27
أدورد بوتس شيني Adward Botes Sheny	27
إرنست بلوخ Ernest Bloch	28
استرادا، كارلوس Carlos Astrada	28
إقبال اللاهوري، محمد Ikbal Lahoory	29
ألبريني، كوريولانو Coriyolano Alberini	31
الأمة Nation	31
الأناركية، أو اللاسلطوية Anarchism	32
أوغست كومت (أو كونت) Auguste Comte	34
أوغسطين، القديس سان Augustine	36
أويزرمان، تيودور إيليش Teodor Illtch Oizerman	38
إيزيا برلين Eyzea Brleen	38
إيماميشي، تومونوبو Tomonobu Imamichi	39

41	حرف الباء
41	بابيوانو، كوستاس Kostas Papaioannou
41	باتوكا، يان Jan Patocka
42	باراكلو، جيفري Barraclough
43	بارث، بول Barth Paul
43	باكل، هنري توماس Henry Thomas Buckle
44	باكويرو لازكانو، بدرو Pedro Baquero Lazcano
45	بالبو، قيصر Balbo
45	بتاليا، فيليتش Felice Battaglia
45	بران، جان Jean Brun
46	برنارد غروتويزن Bernard Groethuysen
46	بروكر، يوهان جاكوب Johann Jacob Brucker
46	البروليتاريا Proletarius
47	البطل في التاريخ/ نظرية Hero Theory in History
50	بليخانوف، جورجي فالنتينوفتش Valentinovitch Georges PLEKAHNOV
51	بنيامين كيد Benjamin Kidd
52	بوسويه، جاك بينين Jacques-Bénigne Bossuet
53	بوشيه، فيليب جوزف بنيامين Philippe Joseph Benjamin Buchez
53	البيئية/ نظرية Environmental Theory
54	بيدرمان، غوستاف Gustav Biedermann
54	بيل، دانييل Daniel Bell
54	بيير فوجيرولا Pierre Fougeyrollas

55	حرف التاء
55	التاريخ History
57	التاريخ الإجمالي Total History
58	التاريخ الجديد New History
60	التاريخ العالمي World History
61	التاريخ الكلي Overall History
62	التاريخ المقارن Comparative history
63	التاريخية Historisme
65	تاين، هيبوليت Hippolyte Taine
65	التحضر Urbanization
66	الترف Luxury
66	ترويلتش، إرنست Ernest Troeltsh
68	التعاقب الدوري Cyclical succession theory
69	التقدم في التاريخ/ نظرية Progeess of History
72	التقليدية Traditionalism
72	تمرد الجماهير Rebellion of the masses
73	توفلر، آلفين Alvin Toffler
76	توماس كارليل Thomas Carlyle
77	توينبي، آرنولد Arnold Toynbee
71	تيرجو، آن روبير جاك Anne Robert Jacques Turgot
82	تيرنر، شارون Sharon Tiernar

حرف الجيم	83
ج. دي. بيوس J. G. De Beus	83
جان بودان Jean Bodin	84
جان جاك روسو Rousseau Jean-Jacques	88
الجبرية Detetminism	89
جورج زيمل Gerog Simmel	89
جوزيف هورس لويس Joseph Hours	90
جوسيب فيراري Giuseppe Ferrari	91
جوفروي، ثيودور سيمون Theodore Simon Jouffroy	92
جون لوك John Locke	93
حرف الحاء	95
الحتمية التاريخية Determinism Historycal	95
الحتمية الجغرافية Determinism Geographical	96
حرب الجميع ضد الجميع The war of all against all	97
الحضارة Civilization	97
الحوليات (مدرسة الحوليات التاريخية) School of Historical Annals	99
حرف الخاء	103
ابن خلدون Ebn Khaldoon	103
خليل، عماد الدين Emad Adeen Khaleel	107
خوسيه أورتيجا أي جاسيت José Ortega y Gasset	108

حرف الدال	109
الدارونية الاجتماعية Social Darwinism	109
دانيلفسكي، نيقولاي Nikolai Danilevsky	109
دلتاي، ويلهيلم Wilhelm Dilthey	112
الدولة The State	113
الديالكتيك Dialectics	115
الديستوبيا Dystopia	117
دي فولني، كونستانتان فرانسوا دى شاسبوف comte de Volney , Constantin François de Chassebœuf	118
حرف الراء	121
رالف ولدو إمرسون Ralph Waldo Emerson	121
رانكه، ليوبولد فون leopold Von Ranke	122
روبرت د. كابلان Robert D. Kaplan	123
روبرت فلنت Robert Flint	125
رينان، إرنست Ernest Renan	125
رينوفييه، شارل (تشارلز) Chales Renouvier	126
حرف السين	127
سان سيمون، كونت كلود هنري Sant-Simon	127
سانتايانا، جورج George Santayana	128
سبنسر، هربرت Herbert Spencer	130
سدني هوك Sidney Hook	131
سوريل، جورج Georges Sorel	133

سيمل، جورج Georges Simmel	134
سيوران، إميل Emil Cioran	135
حرف الشين	139
شاتليه، فرانسوا Fransois Chatelet	139
شاف، آدم Adam Schaff	140
شبنجلر، أوسفلد Oswald Spengler	140
شليجل، كارل ويلهام فردريك فون Carl Wlhham Fridrich Shligel	144
شيلنج، فردريك ويلهم جوزيف فون Friedrich Wilhelm Shelling	145
الشيوعية/ المجتمع الشيوعي Communism	147
حرف الصاد	149
الصدر، محمد باقر M. Baker Alsadr	149
الصدر، محمد محمد صادق M. Sadek Alsadr	150
صدّيقي، عبد الحميد Abdulhameed Sedyky	153
الصيرورة Becoming	154
حرف الطاء	155
ابن طباطبا Ebn Tabataba	155
حرف العين	157
العبرة The lesson	157
العرقية العنصرية: Ethnicity-Racism	157
العضوانية Organicism	159
العقل Mind	160
العلّية Causality	161

العناية الإلهية Providence	162
العَود الأبدي Eternal Lute	164
حرف الغين	165
الغائية Fainulism	165
غادامير، هانز جورج Hans Georg Gadamer	166
غرامشي، أنطونيو Antonio Gramsci	167
غوبينو، جوزيف آرثر Joseph Arthur de Gobineau	179
غوستاف لوبون Gustave Le Bon	172
حرف الفاء	175
فاليرشتاين، إمانوئيل Emmanuel Valershtain	175
فردريك كراوز، شارل Frederick Crews	177
فرغسون، آدم Adam Ferguson	177
فروبينيوس، ليو فيكتور Leo Frobenius	179
فكتور كوزين (أو كوزان)Victor Cousin	180
فلسفة التاريخ Philosophy of History	181
فوكوياما، يوشيهيرو فرانسيس Yoshihiro Francis Fukuyama	183
فولتير Voltaire	185
فيخته، (أو فيشته) يوهان غوتليب Johann Gottlieb Fichte	188
فيكو، جامباتيستا Giambatista Vico	189
فيليب بوشيز Feleep Poshees	193

حرف الكاف	195
كارسافين، ليف بلاتونوفتش Lev Platonovith Karavine	195
كارل بوبر Karl Raimund Popper	195
كارل ماركس Karl Marx	197
كانط، عمانوئيل (أو إيمانوئيل كانت) Immanuel Kant	200
كاوتسكي، كارل Karl Kautsky	201
كراوز، كارل كريستيان فردريك Karl Christian Friedrich Krause	202
كروتشه (كروس)، بنديتو Benedetto Croce	202
كولنجوود، روبن جورج R. G. Collingwood	204
كون، إيغور Igor Kon	205
كونتال، أنتيرو تاركوينو Anthero Quental Tarquinio	205
كوندورسيه Condercet	206
حرف اللام	209
لابريولا، أنطونيو Antonio Labriola	209
لافييت، بيير Pierre Laffite	210
لامبرخت، كارل Karl Lamprecht	210
لوران، فرانسوا Francois Laurent	210
لوفيث، كارل Karl Lowith	211
حرف الميم	213
المادية التاريخية Historical materialism	213
ماركوزة، هربرت (Herbert Marcuse (1898-1979	217
ماكس فيبر Max Weber	218

ماندلبوم، موريس Maurice Mandelbaum	219
مانهايم، كارل Karl Mannheim	220
الماوردي Al Mawardy	221
المجتمع Society	223
المسعودي Al Masoody	225
مسكويه Maskaweh	228
مكيافلّي Niccolo Machiavelli	230
موليتور، فرانتز جوزيف Franz Joseph Molitor	233
مونتسكيو AlBaron Charles de Montesquies	233
مينكي، فردريش Friedrich Meinecke	236
حرف النون	237
نايجل، إرنست Ernest Naigel	237
ابن نبي، مالك Malek Bn Naby	237
نهاية التاريخ The End of History	240
حرف الهاء	243
هانتنغتون، صاموئيل Samuel Phillips Huntington	243
هردر، يوهان جوتفرد Johann Gottfried Herder	245
همبل، كارل غوستاف Carl Gustav Hempel	247
هوبز، توماس Thomas Hobbes	248
هوبسباوم، إريك Eric John Ernest Hobsbawm	251
هوبهوس، ليونارد Leonard Trelawney Hobhous	252

هوركهايمر، ماكس Max Horkheimer	253
هوزنجا، يوهان Johan Huzinga	254
هيجل، جورج ويلهلم فردريك Hegel Georg Wilhelm rederic	255
هيمسوت، هانز Heinz Hem`soeth	259
حرف الواو	261
والتر باجهوت Walter Bagehot	261
والتر بنيامين Walter Benjamin	262
وليم هربرت دراي William Herbert Dray	263
وليم هنري ويلش William H. Welch	264
وود، فردريك آدمز Frederick Adams	265
حرف الياء	267
اليوتوبيا Utupia	267
يوهان (يوحنا) جويرس Johann Joerres	268
يوهان ويتكر John Whittaker	268
ملحق	269
المصادر والمراجع	278

تقديم

(تعريف مكثف بالكتاب والمنهج)

لتحظى فلسفة التاريخ بشيء مما حظيت به الفلسفة من اهتمام معجمي وموسوعي كبيرين. وليجتمع أعلام فلسفة التاريخ، مع أهم مصنفاتهم في هذا الفن، مع خلاصات ميسرة من أفكارهم الأهم في هذا الميدان.

ولتنتظم مصطلحات فلسفة التاريخ في عقد واحد، مع التعريف الوافي بكل منها..

لكل ذلك وضعت هذا الكتاب، وحسبي أنه الكتاب الأول في موضوعه. ومع أني اعتمدت الإيجاز غير المخل، قدر الإمكان، فقد اخترت له عنوان (موسوعة) فهو العنوان الأكثر مواءمة من (معجم) التي صارت إلى حدٍ كبير مختصة بالأعلام، وأكثر مواءمة من (قاموس) المختصة بالمفردات ومعانيها.

على أني لا أدعي الإحاطة التامة بكل ما يندرج تحت هذا العنوان من مصطلحات وأعلام، غير أني لم أتوان عن وضعه في أكمل صورة استطعت تحصيلها، ولم أبخل بشيء من الجهد لأجلها. أوليت أفكار الفلاسفة ونظرياتهم الاهتمام الأكبر، أما سيرهم وتراجمهم فاكتفيت فيها بالتعريف المقتضب جداً. اعتمدت الترتيب المعجمي المعتاد في ترتيب المصطلحات والأعلام، دون فصل بينهما، لأن فصلهما سيأتي بقسمين غير متكافئين في كتاب واحد.

وإذا كنت في المصطلحات أدخلت الـ التعريف حين يقتضي المصطلح ذلك، فقد أهملت اعتبار الـ التعريف جزءاً من المصطلح، ليأخذ ترتيبه بحسب حرفه الأول بعدها. فمصطلح (التاريخ) يأتي في حرف التاء، ومصطلح (الكليّة) يقع في حرف الكاف، وهكذا.

أما في ترتيب الأعلام، فاعتمدت إلى حدٍ كبير، الأسلوب المتبع في تقديم الأسم الأخير، أو اللقب، أو اسم الشهرة. لكني لم ألتزم هذا الأسلوب مع أسماء فائقة الشهرة، فلست أجد مبرراً لوضع كارل بوبر، على صيغة (بوبر، كارل)، أو كارل ماركس، على صيغة (ماركس، كارل)، وأمثالها غير قليل، لكني في حالة كهذه أعود لذكر الاسم الثاني في محله من الترتيب المعجمي، مع الإحالة إلى موضع التعريف به. ففي حرف الباء مثلا، أذكر (بوبر = كارل بوبر) وهكذا.

ومع الأعلام المشهورة باسم غير الاسم الحقيقي، اعتمدت تقديم اسم الشهرة، كما في (فولتير) مثلاً. وحين يبدأ اسم الشهرة بكلمة (ابن) كابن خلدون، فقد أهملت (ابن) من الترتيب، ليدخل في حرف الخاء.

عساني قدمت للمختصين، وللباحثين، ولطلبة الفلسفة، وطلبة فلسفة التاريخ خاصة، ما يعينهم في تحصيل مختصرات المواد والأفكار الداخلة في اهتماماتهم.

ثم ختمت الكتاب بملحق يختص بخلاصات مكثفة لأفكاري في ميادين اهتمامي، تحت عنوان (فلسفتي ورؤيتي في سطور).

صعوبات ونواقص

لا يخلو بحث علمي من صعوبات تعترضه، لكني أختصر الصعوبات التي واجهتني في نقص المصادر الضرورية، ما تسبب بنقص في تراجم عدد من فلاسفة التاريخ، الذين وقفت على عناوين لمصنفاتهم، غير أني لم أعثر على شيء منها، أو على عرض لها، أو قراءة فيها. ولم تسعفني المكتبات الجامعية التي تواصلت معها في العثور على شيء منها، بل لاحظت أمراً مؤسفا في هذه المكتبات، فهي جميعاً تشكوا من ضعف في التنظيم وفي الإدارة معاً، حيث مازالت تعمل بنظام البطاقات المتراكمة التي يعجز حتى العاملون فيها

عن البحث عن عنوان كتاب ربما يكون موجوداً فيها. لم أكتف بها بل تواصلت مع أكثر من مكتبة الكترونية واسعة وسريعة الإجابة، غير أن أياً من المصادر التي طلبتها لم يكن متوفراً لديها. فاكتفيت في هذه الحالات بذكر الترجمة المتوفرة للفيلسوف، وعناوين مؤلفاته في فلسفة التاريخ. يضاف إلى ذلك ملاحظتان:

الأولى: إن معظم الموسوعات الفلسفية يعتمد بعضها بعضاً، حتى حرفياً، دون وجود إضافة مفيدة، ما يدعو إلى مضاعفة الجهود بحثاً عن معلومة إضافية.

والثانية: إن بعض الموسوعات أسهبت في الكلام عن حياة الفيلسوف، فيما كان تناولها الأفكار، على العكس مقتضباً. ولما كانت موسوعتنا هذه قد اتخذت نهجاً مغايراً، فأولت الأفكار الاهتمام الأكبر، فقد استدعت جهداً أكبر في البحث والتحليل. ولست أعدم الأمل في دعم الاساتذة المختصين والمهتمين لإضافة ما يجدر إضافته في طبعة لاحقة.

ولا يفوتي أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير الى السادة في مركز البيدر للدراسات والتخطيط، إدارة ومنتسبين، لاهتمامهم اولاً، وللجهد الكبير الذي بذلوه في تنظيم ومراجعة لغوية وإخراج فني، كما أشكر صديقي الاخ ليث عباس لجهده الكريم في التنظيم الأولي للكتاب.

صائب محمد عبد الحميد

1 تموز/ يوليو 2023

حرف الألف

آدمز، هنري بروكس (1838 - 1918) Henry Brooks Adams

مؤرخ وأديب أمريكي، حفيد الرئيس الأمريكي السادس، جون كوينسي آدامز، وكان سكرتير والده، تشارلز فرانسيس آدمز، سفير أبراهام لينكون إلى المملكة المتحدة، ثم شغل منصب أستاذ تاريخ العصور الوسطى في هارفارد. أُطلق على كتابه (تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية) المؤلف من تسعة مجلدات، لقب «تحفة مهملة». وله رواية سياسية بعنوان (الديمقراطية- رواية أمريكية)، وكتاب (تعليم هنري آدمز) وفيه نقد حاد للنظرية والممارسة التربوية في القرن التاسع عشر، فاز هذا الكتاب بجائزة بوليتزر، وضعته المكتبة الحديثة في المركز الأول ضمن قائمة أفضل مائة عمل غير خيالي باللغة الإنجليزية في القرن العشرين.

له في فلسفة التاريخ والفكر التاريخي: (قانون الحضارة والتدهور)، و(نظرية الثورة الاجتماعية). من كلماته المأثورة: «تولّد الفوضى الحياة، عندما يولّد النظام العادة».

آرون، ريمون (1905 - 1983) Raymond Aron

مفكر وفيلسوف فرنسي كبير، وأستاذ علم الاجتماع، واسع الأثر في الفكر والثقافة الفرنسية في القرن العشرين. كانت أطروحته للدكتوراه بعنوان: (مدخل إلى فلسفة التاريخ). وكتب كثيراً في نقد الماركسية ونظريتها في التاريخ، دفاعاً عن الديمقراطية والفكر الليبرالي. فكان آرون القطب المقابل لجان بول سارتر، كبير مفكري ومثقفي اليسار الفرنسي.

من مؤلفاته تلك: (أفيون المثقفين) كرسه في نقد اليسار والثورة والبروليتاريا. و(من عائلة مقدسة إلى أخرى - دراسة في الماركسيات الوهمية).

وكتب أيضاً: (صراع الطبقات)، (الديموقراطية والتوتاليتارية)، (مراحل الفكر السوسيولوجي)، و(المجتمعات الصناعية).

وكتب أيضاً: (محاولة على حدود موضوعية التاريخ). ركز على أهمية العنصر السياسي في التغيير الاجتماعي، ورأى أن العامل الأساسي في حركة المجتمعات ليس هو الصراع الطبقي وحده، بل هناك صراع النظم السياسية الذي رأى أن تأثيره أعظم بكثير من الصراع الطبقي. وبرهن على أن المجتمعات الصناعية تتسم بالجماعية، وبتعدد القيم.

إخوان الصفا (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي)

تعدّ مدرسة إخوان الصفا مدرسة فلسفية قائمة بذاتها، تميزت برؤى وأفكار خاصة، شملتها رسائلهم الاثنتين والخمسين التي تضمنت العديد من العلوم المعروفة آنذاك، من إلهيات، وفلسفة، وطبيعيات، ورياضيات، ونجوم، وأخلاق. لذا وصفهم بعض الباحثين بأنهم يشكلون الثريا الفكرية في القرن الرابع الهجري.

لم يكن إخوان الصفا من المؤرخين، ولا من الذين عنوا بتفسير التاريخ بشكل مباشر، وإنما جاء ذلك في أعمالهم تبعاً لعنايتهم بالنجوم والأفلاك وتأثيراتها، ومن تفسيرهم لهذه التأثيرات وضعوا ما يشكل رؤية فلسفية في تفسير التاريخ، نضع أهم محاورها في نقاط:

1. علة اختلاف أخلاق الناس وتوجهاتهم:

يُرجع إخوان الصفا هذه الظاهرة إلى أربعة أسباب، أحدها هو الأصل، والأخرى متفرعة عليه، وهي:

أ. اختلاف أخلاط أجسادهم ومزاج أخلاطها.

ب. تربة بلدانهم واختلاف أهويته، أي البيئة الجغرافية.

جـ. نشوئهم على ديانات آبائهم ومعلميهم ومربيهم.

د. موجبات أحكام النجوم في أحوال مواليدهم ومساقط نطفهم، وهذه العلة الأخيرة عند إخوان الصفا «هي الأصل، وباقيها فروع عليها».

وبيان ذلك: أن تأثير طبيعة البلدان تابع لهوائها، الذي ينعكس تأثيره على أمزجة الاخلاط، واختلاف أمزجة الاخلاط يؤدي إلى اختلاف أخلاق أهلها وطباعهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياساتهم، فلا يشبه بعضها بعضاً، بل تنفرد كل أُمة بأشياء لا يشاركها فيها غيرها.

فأهل البلدان الحارة يكون الغالب على أمزجة أبدانهم البرودة. وتكون الحرارة هي الغالبة على أمزجة أبدان أهل البلدان الباردة، ذلك «لأن الحرارة والبرودة ضدان لا يجتمعان في حال واحدة، في موضع واحد، ولكن متى ظهر أحدهما استبطن الآخر واستجن، ليكونا موجودين في دائم الاوقات، إذ كانت المكوَّنات لا وجود لها ولا قوام إلا بهما». هكذا يحمل الشيء نقيضه في داخله، كما يقول الديالكتيك.

ولموجبات أحكام النجوم تأثيرات مماثلة لهذا الضرب من التأثير على الأفراد، في مواليدهم، فهناك الأبراج النارية، التي تعكس الحرارة في أمزجة أخلاط الأبدان لمن يولدون فيها، وهناك الأبراج المائية التي تعكس الرطوبة.

ولها بعد ذلك التأثير الأهم والأعم، الذي يجعلها أصلاً لكل الاختلافات، إذ بسبب انتقال الكواكب في أدوارها الطويلة «تختلف شعاعاتها على بقاع الأرض وأهوية البلاد، ويختلف تعاقب الليل والنهار، والشتاء والصيف، إما باعتدال واستواء، وإما بالزيادة والنقصان، وإفراط الحرارة والبرودة، واعتدال بينهما». فإذا كان لاختلاف الأهواء تأثيره المذكور، فإنّ حركة الكواكب هي العلة في اختلاف أهواء البلدان نفسها.

2. علل الحوادث في الكون:

إن كل الحوادث التي تكون في عالم الكون والفساد هي تابعة لدوران الفلك، وحادثة عن حركات الكواكب ومسيرها في البروج، وقرانات بعضها مع بعض.

فمن الأدوار والقرانات ما هو طويل وما هو قصير، فما كان من الحوادث سريع النشوء، قليل البقاء، سريع الفساد؛ فذلك عن حركة في الفلك سريعة، قصيرة الزمان، قريبة الاستئناف. وما كان من الحوادث بطيء النشوء، طويل الثبات، بطيء البِلى؛ فذلك عن حركة بطيئة، طويلة الزمان، بعيدة الاستئناف. وبهذا تكون «الأدوار، والأكوار، والقرانات» هي علل الحوادث في الكون. ومن هنا صارت هذه الحركات مصدر الاستدلال على الحوادث في الكائنات.

ومن أهم الحوادث الكبرى التي يُستدل عليها بهذه الحركات:

أ. الملل والدول، يستدل عليها من القرانات الكبار، التي تكون في كل ألف سنة تقريباً مرة واحدة.

ب. تنقّل المملكة من أمة إلى أُمة، أو من بلد إلى بلد، أو من أهل بيت إلى أهل بيت آخر، ويستدل عليها من القرانات التي تكون في كل 240 سنة مرة واحدة.

جـ. تبدل الاشخاص على سرير الملك، وما يحدث بسبب ذلك من الحروب والفتن؛ ويستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنة مرة واحدة.

د. الحوادث التي تحدث في كل سنة، كالخصب والجدب، والغلاء والرخص، والوباء والموت والقحط ونحوها، ويستدل على حدوثها من تحاويل سنيّ العالم التي عليها تؤرخ التقاويم.

وهكذا تكون الحوادث، الصغيرة منها والكبيرة، إنما تحدث بتأثير دوران الفلك، وقد تكون الصغرى منها هي الأسباب المباشرة للحوادث الكبرى، فإنّه «بسبب انتقال الكواكب في أدوارها الطويلة، تختلف شعاعات الكواكب على بقاع الأرض وأهوية البلاد، ويكون هذا أسباباً وعللاً لاختلاف أحوال أرباع الأرض وتغيرات أهوية البلاد والبقاع وتبدلها بالصفات من حالٍ إلى حال، ويصير بهذه العلل والأسباب زوال الملك والدول، وانتقاله من قوم إلى قوم، وتغيرات العمارات من ربع إلى ربع آخر، وتكون هذه بموجبات أحكام القرانات الكائنة في الوقت والزمان».

وفي صورة أكثر وضوحاً لهذا التأثير المتسلسل، يقول إخوان الصفا: إنه مع حركة خاصة من حركات المريخ في أدواره وقراناته مبيّنة في محلها عندهم يظهر النمو والنضج في المعادن والنباتات والحيوانات، وتظهر الدولة في بعض الأمم، وتزداد قوة بعض السلاطين. وحتى إذا تخلل ذلك شيء من الفساد الناتج عن الحروب وزوال بعض الدول، فإنّه في جنب ما يكون عند هذه الحركة من الخير في العالم شيء يسير.

ونحو هذا التأثير يحدث مع بعض حركات زحل، ولبقية الكواكب تأثيرات مغايرة، فبعضها مؤذن بالخراب والفساد وزوال الدول والممالك وكثرة الحروب، وهكذا.

3. النظام الدوري للكائنات:

إن كل كائن في العالم له أربع مراحل متباينة:

أ. ابتداء كون الوجود.

ب. زيادته ونموه وارتقاؤه إلى نهايته.

جـ. توقفه وانحطاطه ونقصه.

د. بواره وعدمه.

والذي يفسر هذه الأدوار، ابتداؤها وتعاقبها، هي نظرية (الأدوار والأكوار والقرانات) فقط؛ فعلة ذلك أن كل شيء في الفلك له حركة دائرة تخصه، وأن هذه الحركة لها أربع أحوال: صعود من الحضيض، فصعود إلى الاوج، ثم هبوط من الاوج، وأخيراً هبوط إلى الحضيض.

وإن كل دولة لها وقت منه تبتدئ، وغاية إليها ترتقي، وحد إليه تنتهي، فإذا بلغت أقصى غايتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان، وبدا في أهلها الشؤم والخذلان، واستأنف الآخرون القوة والنشاط والظهور. وهكذا يكون انتقال الدولة والملك «في كل دهر وزمان، ودور وقران، من أُمة إلى أُمة، ومن أهل بيت إلى أهل بيت، ومن بلد إلى بلد».

وقد زاد إخوان الصفا في هذه النظرية، إضافة إلى التفسير النجومي، نظريتهم في أن هذا التعاقب الدوري إنما يكون تعاقباً بين دولة أهل الخير، ودولة أهل الشر، قياساً على تعاقب النهار والليل، والحر والبرد: وذلك أن الزمان كله نصفان؛ نصفه نهار مضيء، ونصفه ليل مظلم، وأيضاً نصفه صيف حار، ونصفه شتاء بارد، وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما، كلما ذهب هذا رجع هذ، فهكذا حكم الزمان في دولة أهل الخير ودولة أهل الشر؛ تارة تكون الدولة والقوة وظهور الأفعال في العالم لأهل الخير، وتارة تكون الدولة والقوة وظهور الأفعال في العالم لأهل الشر، كما ذكر الله عزّ وجلّ، قال: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾.

ادغار كونيت(1803 - 1875) Quinet

فيلسوف فرنسي، وضع مقدمة لترجمة هردر، بعنوان (مقدمة في فلسفة التاريخ)، كشف فيها عن فلسفته الخاصة، ويبدو متأثراً بهيجل، وجوفروي، شديد التحمس

للبروتستانتية في كتابه (المسيحية والثورة الفرنسية). ذهب إلى أن الأفكار هي العامل الرئيس في حركة التاريخ وتطور المجتمعات.

ونظر إلى التاريخ على أنه أداة لتحقيق التقدم في مجال الحرية الإرادة الحرة. فالتاريخ ما هو إلا عرض لتطور الحرية، وبيان مستمر لاحتجاج عقل الجنس البشري ضد العالم الذي يطغى عليه ويقيده. وعبر هذا الحراك المستمر تنال الروح حريتها، وتوسع نطاق هذه الحرية. وفي خضم إيمانه الديني كان يرى أن الثورة الفرنسية قد فشلت لأنها لم تحتضن البروتستانتية وتتمسك بها، إنما اختارت أن يكون العقل دينها وعقيدتها.

إدوارد كار (1892 - 1982) Edward Hallett Carr

فيلسوف ومؤرخ ودبلوماسي إنجليزي. في كتابه (ما هو التاريخ) جادل إدوارد كار بأن التاريخ علم من العلوم، ورد على منكري ذلك، وأرجع نزاعهم فيه إلى التحامل القديم المستند إلى البنية الطبقية للمجتمع الإنجليزي الذي صار من مخلفات الماضي، وهو تحامل ناجم عن الانقسام القديم بين الإنسانيات والعلم، حيث كان مفترضاً أن الإنسانيات تمثل الثقافة العريضة للطبقة الحاكمة، في حين يمثل العلم مهارات الفنيين الذين يخدمون تلك الطبقة، لذا وجدنا أن الحجج المؤيدة لاستبعاد التاريخ عن العلم لا تأتي من العلماء التواقين إلى استبعاد المؤرخين عن صفوة معشرهم، وإنما من المؤرخين والفلاسفة التواقين إلى صياغة وضعية التاريخ بوصفه فرعاً من الآداب الإنسانية، فكلمتي «إنسانيات» و«إنساني» هي في هذا الإطار من مخلفات ذلك التحامل.

فدافع عن ضرورة أن يمارس المؤرخ التعميم، شأنه شأن عالم الطبيعة، وأن ما يميز المؤرخ عن الذي يكتفي بتجميع الوقائع التاريخية هو التعميم، والشيء نفسه يميز عالم الطبيعة عن هواة الطبيعة الذين يقومون بتجميع العينات الطبيعية.

ويرد على القائلين بعدم القدرة على التنبؤ في التاريخ، بأنها قضية محاطة بنسيج من سوء الفهم، فإن قضية التنبؤ في العلوم الطبيعية نفسها لا تختلف جوهرياً عنها في التاريخ، من حيث كونها تنبؤات شرطية أيضاً، فقانون الجاذبية لا يثبت أن تفاحة معينة سوف تسقط على الأرض، فقد يسارع أحد لالتقاطها قبل أن تسقط. وقانون البصريات الذي ينص على أن الضوء يسير في خط مستقيم، لا يستطيع أن يقطع بأن شعاع ضوء معين سوف لن ينكسر أو يتبعثر بفعل جسم ما يعترض مسيره. وهذا لا يعني أن استدلالات المؤرخ تماثل استدلالات الفيزيائي في دقّتها، لكن المراد هو أن طرقهما ليست متباينة من حيث الجوهر.

والمؤرخ الموضوعي، هو الذي يتحلى بخصلتين؛ الأولى: أن يملك القدرة على الارتفاع فوق مجال الرؤية المحدود لوضعه الخاص في المجتمع وفي التاريخ. والثانية: أن يملك القدرة على أن يقذف برؤيته إلى المستقبل بطريقة تمنحه نفاذاً إلى الماضي. «إن مؤرخ الماضي لا يقترب من الموضوعية سوى بمقدار ما يقترب من فهم المستقبل».

وحول علاقة التاريخ بالدين، يرى أن هناك اتجاهات ثلاثة للتاريخ:

- اتجاه أفرط في هذا الأمر فنسب الوقائع التاريخية بشكل مباشر إلى الآلهة، وهذا اتجاه مناف للعلم.

- أما الاتجاه الثاني، فبالرغم من إيمانه بوجود إله أعطى التاريخ معناه، إلاّ أنه ربط الوقائع بأسبابها ربطاً علمياً، وسلك السبل العلمية في ترتيب الأحداث الدنيوية.

- وبإزاء هذين الاتجاهين وجد الاتجاه الآخر الذي تبنى الوضعية المستقلة للتاريخ، وفصل بين ما أسماه «تاريخ إلهي» و«تاريخ دنيوي» وجعل الأخير هو وظيفة العلمانيين.

لينتهي الى مهاجمة المؤرخين الذين يتظاهرون بالاستغناء عن فلسفة التاريخ، فيصفهم بأنهم إنما يحاولون عبثاً أن يعيدوا خلق الجنة في حديقة الضاحية التي يقطنونها.

إدوارد هيوم (1711 - 1776) Edward Hume

المؤرخ الإنجليزي المعاصر لفولتير، من أهم مؤرخي إنجلترا في القرن الثامن عشر. كان مذهبه العقلاني في التاريخ سر نجاحه وشهرته الكبيرة في إنجلترا خاصة.

اعتبر هيوم التاريخ سجلاً لأفكار البشر من الناحيتين الثقافية والأخلاقية، ففي كتابه (تاريخ إنجلترا من غزو يوليوس قيصر حتى ثورة (1698) استهدف دائماً إبراز الحقيقة الخاصة بأن الأفكار والأخلاق والدين هي التي تشكل السياسة، فهو يحكم على السياسة من وجهة نظر العلم والفلسفة والدين والأخلاق.

واعتبر العصور المسيحية الوسطى عصور خرافة، ووصفها بأنها «ألف سنة من الضياع». «ألف سنة من الفراغ الثقافي، ومنخفضاً هائلاً في الخط البياني للتقدم البشري».

وهو من القائلين بنظرية التقدم في التاريخ، وحاول أن يضع قوانين للتقدم مبنية على العمل المشترك للطبيعة والعناية الإلهية.

أدورد بوتس شيني (1861-1947) Adward Botes Sheny

مؤرخ أمريكي مشهور بكتاباته عن التاريخين الإنجليزي والأمريكي، تخرج من جامعة بنسلفانيا عام 1883، وزار العديد من الجامعات الألمانية، ودرس في المتحف البريطاني، وهو أصغر بروفسور في جامعة بنسلفانيا يومذاك. وكان رئيس الجمعية التاريخية الأمريكية للفترة ما بين 1922 و1923. وكتب العديد من المؤلفات التاريخية، والتي تعد من الكتب الأكاديمية التي تدرس للطلبة في القاعات الدراسية. من أهم مؤلفاته :

(القانون في التاريخ ومقالات أخرى)، (التبدلات الاجتماعية في إنجلترا خلال القرن السادس عشر)، (التاريخ الصناعي والاجتماعي لإنجلترا)، و (الخلفية الأوروبية للتاريخ الأمريكي).

إرنست بلوخ (1885-1977) Ernest Bloch

فيلسوف ومؤرخ ألماني، اهتم كثيراً بتاريخ الفلسفة، أقيل من التدريس الجامعي في لايبزغ، بتهمة إفساد أفكار الشبيبة، ثم أعيد إليه الاعتبار ليعود إلى التدريس في جامعة توبنغن.

من مؤلفاته: (روح اليوتوبيا)، (توماس مونزر)، (فلسفة عصر النهضة)، (مبدأ الرجاء)، و(حول كارل ماركس). وفي الفكر التاريخي له: (أنطولوجيا الوجود والمستقبل)، و(تمايزات في مفهوم التقدم).

اعتنق بلوخ الماركسية فكراً ومنهجاً، لكنه حذر من اتخاذها شكلاً من أشكال الاستلاب والسرقة، لأنه رأى أن هدف الماركسية الأساس هو نشر العدالة في المجتمع، لذا لا يجب أن تفرض الأيديولوجيا نفسها بالقوة كتصور كلي مقدس وحتمي. بل علينا الاستعانة بروح مبدأ الرجاء، الذي يصل إنسان اليوم بإنسان الغد. ومبدأ الرجاء هذا يجعل من الماركسية رسالة اجتماعية تبغي الخير والسلام للإنسان والمجتمع.

استرادا، كارلوس (1894-1970) Carlos Astrada

فيلسوف أرجنتيني، حضر دروس ماكس شيلر وهايدجر، أستاذ جامعة بوينس آيرس، ومدير المعهد الفلسفي فيها، وحاضر في موسكو وبكين وشنغهاي.

من أعماله: (المشكلة الأبستمولوجية في الفلسفة الراهنة)، (ماكس شيلر ومشكلة الانثروبولوجيا الفلسفية)، (المثالية الفينومينولوجية والميتافيزيقيا الوجودية)، (مارتن هايدجر)، و(الماركسية والأخرويات). وفي فلسفة التاريخ كتب: (الجدل في فلسفة هيجل)، و(الجدل والتاريخ).

إقبال اللاهوري، محمد (1877 - 1938) Ikbal Lahoory

محمد إقبال ابن الشيخ نور محمد، مفكر وشاعر باكستاني، كشميري الأصل، أصبح رئيساً لحزب (العصبة الإسلامية) في الهند، ثم العضو البارز في (مؤتمر الله آباد) التاريخي، حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس، ورأى تأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان. له مؤلفات عديدة، منها: (أسرار الأنا)، (أسرار اللا أنا)، (كتاب الأزل)، و(رسالة المشرق). وله مجاميع شعرية، منها: (جناح جبريل)، (مزامير عجمية)، و(نداء القافلة). ويعد أهم أعماله هو: (تجديد التفكير الديني في الإسلام).

آمن إقبال بالحرية الإنسانية في الفعل التاريخي، وبأن التاريخ هو حركة خلق وإبداع متجددة. يقر إقبال بـ «الغائية في التاريخ»، لكنه يعطيها بعداً موضوعياً، مختلفاً عن مفهومها اللاهوتي. الغائية حقيقة في التاريخ، لكن ليس بمعنى أن التاريخ يتحرك وفق خطة مرسومة، صوب غاية محددة في الأزل. فهذا الفهم لا يمكن التمييز بينه وبين الآلية، فهو في نظر إقبال نوع من المادية المقنّعة، يحل فيها القضاء والقدر محل الجبر الصارم، ولا تدع مجالاً لحرية الإنسان، بل للحرية الإلهية ذاتها. فالعالم الذي لا يكون سوى حركة لتحقيق أهداف سبق بها القضاء، ليس عالماً يتألف من قوى حرة تُسأل عما تفعل، فما هو إلاّ مسرح، عليه دمى، تحركها يد من خلف ستار. أما الغائية التي هي حقيقة في الكون، فتعني أن هناك مطالب وغايات جديدة، وموازين مثالية لتقدير القيم، تتكون بالتدريج كلما نمت الحياة وامتد بساطها. أي إن الغايات جزء من الحركة المتجددة. وبهذا يمكن تصور حركة الزمان على شكل خط ما يزال يُرسم، وليست هي خط قد تم رسمه بالفعل. عندئذ نستطيع أن نفهم أن المستقبل لا يوجد إلا باعتباره إمكاناً محتملاً، وليس بوصفه حقيقة واقعة. وهذا هو معنى الديمومة، والخلق المتجدد، والإبداع. أي أن التاريخ حركة مبدعة متجددة باستمرار.

وينتقد إقبال التفسير اللاهوتي التقليدي للقضاء والقدر، كونه راجع إلى النظر العقلي المجرد، دون اعتبار ما للحياة من التلقائية التي هي حقيقة من حقائق التجربة الواقعة. من هنا حصل سوء فهم كبير لمعنى القدر، حين يُفسر بأنه أمر غيبي قاهر يؤثر في الأشياء من الخارج.

أما وفق منهج إقبال التحليلي، فإن القدر، والتقدير، هو الزمان، عندما ننظر إليه على أنه سابق على وقوع إمكاناته. أي هو الزمان كما نشعر به، لا كما نفكر فيه أو نحسبه. فالزمان، كما يكشفه التحليل العميق لحياتنا الشعورية، ليس خيط من لحظات متفرقة متقلبة، وإنما هو «كل مُركّب»، ليس الماضي فيه متخلفاً، بل هو يتحرك مع الحاضر، ويؤثر فيه. والمستقبل يتصل بهذا الكل المُركّب، لا بوصفه موجوداً أمامه ليتم اجتيازه في ما بعد، وإنما بوصفه ماثلاً في طبيعته في صورة إمكان قابل للتحقق. والزمان بهذا الوصف، أي باعتباره كلاً مُركباً، هو الذي يسميه القرآن «التقدير».

خلاصة ذلك أن القدر ليس حكماً غيبياً نازلاً لإيجاد خلق جديد أو حادثة جديدة، وإنّما هو التحقق الفعلي للإمكان الواقعي، بعد أن أصبح تحققه ضرورياً باجتماع شروطه وزوال موانعه. هذا يعني أن الذي يحدث في الواقع إنما هو نظام العلة والمعلول، وتسلسل الأسباب، والترابط العضوي بين الحوادث، لكي تكون حركة الكون والتاريخ حركة مفهومة، يحكمها النظام والقانون، دون أن يكون ذلك بمعزل عن الله الذي يمد كل أجزاء الكون بالحركة، ودون أن يكون فيه سلباً لحرية الله في الفعل الخلاق.

وبهذا يكون التاريخ حركة حرة مبدعة، قائمة على حرية الاختيار الإنساني، وعلى ما للحياة من تلقائية. والحرية الإنسانية، إذن، وقدرة الإنسان على الخلق والإبداع والابتكار، هي جزء المشيئة الإلهية، وتحقيق لها، وليست خروجاً عليها، يقف في عرضها ويحد من حريتها.

ألبريني، كوريولانو (1886-1960) Coriyolano Alberini

فيلسوف أرجنتيني، من أشهر فلاسفة الأرجنتين، ولد في ميلانو بإيطاليا، ونشأ في الأرجنتين، انظم إلى «الحركة التجديدية» المناهضة للوضعية، مؤكداً أولوية النظرية على الممارسة. من أهم أعماله المطبوعة: (الحتمية والمسؤولية)، و(مدخل الى علم توليد القيم).

آمن أن الأبستمولوجيا هي «علم العلوم»، فهي التي توحد العلوم، وبتوحيدها تحيلها إلى فلسفة. وبما أن الفلسفة ماهية الثقافة، فان الأبستمولوجيا هي الدرجة الأولى في سلم توحيد الثقافة. ومن وجهة نظره فإن (آينشتاين) هو الرائد الحقيقي لتطور الأبستمولوجيا، ولأُفول نجم الوضعية، وله في هذا كتاب بعنوان (إصلاح آينشتاين الأبستمولوجي).

وفي وجهته الفلسفية كان ألبريني نصيرا للمثالية العقلية، وعرّف الإنسان، بما يحوزه من حس بالمطلق، بأنه «حيوان ميتافيزيقي»، وهو خاضع لـ «قانون التقدم»، لكنه غير مقدر له الوصول الى الحقيقة النهائية. فالفارق بين العلم وبين الميتافيزيقيا هو الفارق في معرفة الحقيقة، فالعلم معرفة نسبية بالنسبي، بينما الميتافيزيقيا هي معرفة نسبية بالمطلق.

الأمة Nation

جماعة بشرية واسعة، تربط بين أفرادها روابط أصيلة، كالعِرق، والتاريخ، واللغة. أو روابط سياسية، كمجتمع البلد الواحد. أو روابط من دين مشترك وعقائد مشتركة.

يكتمل المعنى الحقيقي للأمة في حال وجود رابط سياسي/ إداري فعلي، يربط بين أفرادها، على نحو إرادي، غير قسري، سواء تشكلت هذه الأمة على أساس العرق، الأمة القومية، أو على أساس الدين، الأمة الدينية. وفي حال غياب هذا الرابط الفعلي تسمى

الأمة أمة مُتَخيلة. وقد تعتبر الأمة مُتخيلة بمعنى آخر يشمل الأمم كافة، حيث هي كيان واسع لا يمكن لأفراده أن يعرف بعضهم بعضا، ولا أن يلتقيه.

وتتشكل من الرابط السياسي/ الإداري، أمة مثالية، أي ليست حقيقية، هي الأمة المتكونة في إطار وطن واحد موحد، لا يربط جميع أفرادها عرق واحد، ولا دين مشترك، وربما تفتقر حتى إلى التاريخ المشترك، غير أنها كونت كيانا اجتماعياً/ سياسياً موحداً، يربط أفراده فعلياً حاضر مشترك، ومصالح مشتركة، ومصير مشترك. وهذه هي الدولة/ الأمة الوطنية.

وكل أمة من الأمم، على اختلاف عوامل تكونها، لها خصائصها التي تميزها عن غيرها من الأمم. بعض هذه الخصائص فسلجية، تظهر في المظهر العام لأفرادها، كشكل الوجه، ولون البشرة، وطول القامة، ونحوها. وخصائص أخرى ثقافية، تظهر في طبائع أفرادها، وفي العادات والتقاليد ومختلف أساليب الحياة. وعلى المستويين؛ الفسلجي، والثقافي، ينعكس تأثير البيئة الجغرافية، وطبيعة المناخ، بشكل لا يمكن تجاهله، إنما يمكن التصرف للحد من تأثيراته السلبية، وإعادة تنظيمها على نحو أكثر إيجابية. فمنذ بدايات تَشكّل التجمعات البشرية، ناضل الإنسان للحد من تطرف البيئة لتكون أكثر مواءمة مع متطلبات الحياة البشرية. هذا النضال هو واحد من أهم المواضيع التي يرصدها التاريخ، وترصدها فلسفة التاريخ، لتتعرف على سر تحول حياة الكهوف والصحارى والغابات، إلى حياة في بيئة مدنية ممهدة باستمرار. تلك واحدة من مشاهد تاريخ العقل البشري، ومادة أصيلة في صلب فلسفة التاريخ.

الأناركية، أو اللاسلطوية Anarchism

الاسم مشتق من الأصل اليوناني «أناركيسموس»، وتعني بدون سلطة، أو بدون سيادة، أو بدون حكام. وهي فلسفة سياسية تتبنى فكرة أن الدولة تضر بالمجتمع وتعيق

سير الحياة الفردية والجماعية، وتدعو إلى مجتمع بلا دولة، مجتمع تطوعي غير هرمي، أي ليس فيه حكام وممثلين يتصرفون بالنيابة عن الشعب.

كان الظهور الأول لهذه الفلسفة في القرن السادس قبل الميلاد، عند الفيلسوف الطاوي لاوزي، ودعا الكلبيون وزينون في اليونان القديمة إلى ما يشبه هذا. ويذهب الأناركي جورج لوشارتييه الى أن المؤسس الحقيقي للأناركية (اللاسلطوية) هو يسوع المسيح، وأن أول مجتمع لاسلطوي هو مجتمع تلامذته. لذلك يذهب الأناركيون إلى أن تمجيد الدولة هو شكل من أشكال الوثنية الخاطئة.

وبديلاً عن السلطة وأدواتها تتبنى الأناركية فكرة العمل الجماعي والإجراءات الجماعية للحد من العدوان المحتمل والظلم الذي قد يقع على بعض الأفراد.

والأناركية على نوعين؛ أناركية اجتماعية، وأناركية فردية. الأناركية الاجتماعية شكل من الاشتراكية الخالية من الدولة. إنها فئة واسعة تشمل تيارات مثل الأناركية الجماعية، والأناركية النقابية، والشيوعية الأناركية. وتقوم على الموازنة بين المبادرة الفردية والعمل الجماعي من خلال إنشاء هياكل تسمح باتخاذ القرارات في أيدي جميع الأشخاص في مجموعة أو مجتمع أو مصنع، وليس في أيدي الممثلين أو القادة.

بينما تؤكد الأناركية الفردية، على النقيض من ذلك، أن المرء يسعى وراء رغباته بغض النظر عن رغبات أي مجموعة، وأن الدولة لا تمثل سوى عائق في تحقيق هذا الهدف، إذ يرغب الأناركي أن يعيش حياته، قدر المستطاع، أخلاقياً وفكرياً واقتصادياً، دون أن يشغل نفسه ببقية العالم.

حاول الأناركيون في أمريكا الشمالية، أواخر القرن العشرين، خلق نماذج أناركية قابلة للتطبيق، أطلقوا عليها تسمية: «الديمقراطية المباشرة»، عن طريق تكوين مجموعة

من الأدوات التنظيمية، مجالس الإدارة، مجموعات التقارب، أدوات التيسير، وتقسيمات كلها تهدف إلى خلق أشكال من العملية الديمقراطية التي تسمح للمبادرات بتحقيق أقصى قدر من التضامن الفعال.

وحاججوا بأن المجتمعات الأناركية الواقعية قد تطورت ونجحت وازدهرت، حتى لو كان ذلك لفترة محدودة حتى الآن. لذا فإن المنتقدين مخطئون عندما يقولون إن الأناركية هي مجرد حلم يقظة طوباوي.

حتى أن بعض هذه المجتمعات نجحت في إحداث تأثير سياسي دون إثارة العنف، كونها في الغالب على الطرف المتلقي من المضايقات بدلاً من فاعلها. وستكون تجربة مثيرة للاهتمام أن نرى كم من الوقت تستطيع هذه المجتمعات الحفاظ على نفسها فقط بالعمليات الداخلية الخاصة بها. هل تزهر وتزدهر مثل مقدونيا تحت حكم الإسكندر، أم تذوي وتتلاشى في صراعها الداخلي، مثل روما؟

أوغست كومت (أو كونت) (1798-1857) Auguste Comte

العالم الفرنسي الموسوعي الشهير، مؤسس علم الاجتماع الحديث، وفيلسوف كبير، يعد الأب الشرعي للفلسفة الوضعية، وفيها وضع كتابه الأشهر (الفلسفة الوضعية) الذي ظهر لأول مرة في ستة أجزاء. وله أيضاً: (بحث في العقل الوضعي)، (مبادئ النظام الإيجابي)، و(مبادئ فلسفة إيجابية)، (تصميم الأبحاث العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع)، وكان تلميذًا لسان سيمون، وعمل سكرتيراً له في مكتبه لعدة سنوات.

في كتابه الأخير (مبادئ فلسفة إيجابية)، شدد على اعتماد المنهج التاريخي بوصفه الحيلة العلمية الرئيسة للفلسفة الوضعية، فدراسة تاريخ المجتمعات تمكننا من معرفة قوانين الديناميكا الاجتماعية، فندرك الاتجاهات الفيزيائية والعقلية والأخلاقية والسياسية التي سيطرت، والاتجاهات المضادة التي ضعف أثرها شيئاً فشيئاً.

وآمن كومت بالحتمية التاريخية، لكنه يميز بينها وبين «القدرية»، فلابد من التمييز بين القول بأن نظام الطبيعة يخضع لقوانين ثابتة، وبين القول بعدم إمكان تعديل الظواهر الاجتماعية والطبيعية بواسطة الإنسان، باستثناء الظواهر الفلكية.

كما آمن بـ «الغائية»، وبـ «التقدم في التاريخ»، وبأن هناك قانوناً يدفع الإنسانية إلى التقدم. فالتقدم هو الغاية، وما بنو الإنسان إلا أدوات لتحقيق هذا التقدم. فمتى ما وعينا هذا القانون، بدلاً من أن نكون مسوقين به من غير إرادة، استطعنا أن نجعل منه قاعدة لناموس أخلاقي جديد، لكي نسرع بتقدم الإنسانية، وبتحقيق هدف التاريخ.

ويقدم كومت (كونت) رؤيته في تقسيم تاريخ تطور الجنس البشري إلى ثلاث مراحل:

1. المرحلة اللاهوتية، وفيها كان العقل البشري يعلل الأشياء والظواهر بكائنات وقوى غيبية. وهي مرحلة المجتمع الشرقي القديم، وكانت ذات صبغة دينية في نشاطها العقلي والفكري، وذات صبغة عسكرية في نشاطها السياسي والاجتماعي. وأطلق عليها اصطلاح (الاجتماعيات الساكنة).

2. والمرحلة الميتافيزيقية، وفيها أصبح العقل البشري يعتمد على الإدراك المجرد، والمقولات الميتافيزيقية، مع قدر من القانون. وتمثلت في مجتمعات الاغريق والرومان في العصور الوسطى. وقد استمرت في هذا المرحلة الصفة العسكرية، ولكن الصناعة وحصول المدنيين على حرياتهم قد مضيا قدما بتطور الفكر الفلسفي وسيادة القانون.

3. المرحلة الوضعية، وفيها توقف الفكر عن تعليل الظواهر بالرجوع إلى المبادئ الأولى، واكتفى باكتشاف قوانين علاقات الأشياء عن طريق الملاحظة والتجربة الحسية، حيث ازداد تأثير الفلسفة الناقدة والمعرفة العلمية، بتطور العلم الحديث، الذي بدد الأوهام والخرافات، وكرس الجهود للتطور الصناعي. فكانت تجسيدا لـ (الاجتماعيات

المتحركة). وقدم مقترحات على جانب كبير من التعقيد لإقامة دولة وضعية تقوم على صفوة من علماء الاجتماع لإدارة المجتمع وتوجيهه.

أوغسطين، القديس سان Augustine (354 - 430)م

كان أوغسطين أعظم فيلسوف مسيحي في العصور الوسطى، هو الفيلسوف صاحب التأثير الأعمق والأطول، تعده الكنيسة الكاثوليكية قديساً.

ولد في (طاغاست) في أفريقيا الرومانية، وهي مدينة (سوق أهراس) الحالية في الجزائر. تحول من المسيحية إلى الديانة المانوية في شبابه، تولى تدريس الأدب واللغة في ميلانو، عاد بعدها إلى الجزائر وإلى ديانته المسيحية، ويبدو أن والدته مونيكا (ت 388 م) الامازيغية المسيحية التقيّة كان لها تأثير عميق وجليّ على تطوره الديني. وكان والده باتريسيوس (ت 372م) وثنياً حتى تم تعميده وهو على فراش الموت.

له مؤلفات عديدة، بقي منها حوالي 100 كتاب، غير الخطابات والنصوص الوعظية العديدة. وأهم مؤلفاته: (الاعترافات)، و(الرد على الأكاديميين) لنقض مبدأ الشك، و(الإرادة الحرة)، و(مدينة الله).

التاريخ عنده صراع دائم بين مدينة الله وبين المدينة الأرضية الدنيوية، ويقدر ابتدأ تاريخ المدينتين مع خلق العالم، وانشقاق الشيطان، وخطيئة آدم وحواء، ويستمر مع التقلبات الدائرة في كنف العناية الإلهية لشعب إسرائيل (الممثل الأرضي الأول لمدينة الله)، وبعد مجيء المسيح أصبحت مدينة الله هي الكنيسة.

والتاريخ هو هيئة مختلطة يتعايش فيها أفراد من مدينة الله والمدينة الأرضية وتَميزهم واضح، فقط الله هو من سيفصل بين المدينتين في نهاية الزمن. وفي حين أن مدينة الله غريبة أو في أحسن الأحوال هي رحَّال مقيم في هذا العالم وتتوق إلى موطنها

السماوي، فإن المدينة الأرضية ليست كياناً موحداً على الإطلاق، ولكنها تقع في نزاع مستمر مع نفسها؛ بسبب أن ما يهيمن عليها هو شهوة السلطة. وهو في كتابه (مدينة الله) يتبنى نظرية العناية الإلهية، كأول شارح ومفسر لها.

يقول اوغسطين: «إن الاعتراف بوجود الله، وفي نفس الوقت إنكار معرفته المسبقة بما سيحدث من أمور في المستقبل، يكون هنا جنوناً صريحاً».

ولكن المعرفة هنا ليست مجرد إحاطة علم، لكنّها توجيه فعّال إلى غاية، فحسب أوغسطين: إنه لغير ممكن أن نعتقد بأن الله يستطيع ترك الممالك الدنيوية خارج «قوانين» العناية، فالعناية خلقت الممالك الإنسانية، فهذه الممالك ليست من ثمار الصدفة أو الضرورة، وبالتالي فإن التاريخ سيكون مسيّراً ومحكوماً من الله، وفقاً لإرادته.

لذا فإن هذا المبدأ لا ينفصل عن فلسفة السياسة المدنية، ومن هنا تتبع أوغسطين نشأة نوعين من الممالك في الأرض، فمنذ ارتكب آدم الخطيئة، ظهر في الإنسان نزعتان: نزعة حبّ الذات، ونزعة حب الله، وهما متضادتان، وبهذا الانقسام نشأ النوعان من الممالك، أو المدن: المدينة الأرضية، وهي مدينة الشيطان القائمة على الخطيئة، والمدينة السماوية، وهي مدينة الله.

وكانت المدينتان مختلطتين حتى ظهر إبراهيم الخليل، فتميزت المدينتان، فأصبحت مدينة الله في بني إسرائيل، والمدينة الأرضية في سائر الأمم، وقد بلغت ذروتها عند الحضارة الرومانية. ولكنهما مع انفصالهما كانا يتقدمان نحو بعضهما ويمهدان لظهور السيد المسيح، فقد مهّدت له الأولى روحياً، والثانية سياسياً، ووفقاً لتدبير من العناية الإلهية انتهى التمايز بظهور المسيح. لينتهي أوغسطين من ذلك إلى وجوب اتحاد الجانب الروحي، ممثلاً بالكنيسة، بالجانب المادي، ممثلاً بالدولة، وأنه يجب أن تخضع الدولة للكنيسة، لكي تجعل منها وسيلة لغاية روحية أسمى.

أويزرمان، تيودور إيليش(1914-2017) Teodor Illtch Oizerman

فيلسوف روسي معاصر، مدير قسم الفلسفة البرجوازية وعلم الاجتماع في معهد الفلسفة، بأكاديمية العلوم السوفياتية، وترأس كرسي تاريخ الفلسفة الأجنبية في جامعة موسكو.

من مؤلفاته: (تكوين الفلسفة الماركسية)، (المراحل الكبرى لتطور الفلسفة قبل الماركسية)، و(مشكلات العلم التاريخي الفلسفي).

إيزيا برلين (1909-1987) Eyzea Brleen

فيلسوف التاريخ الروسي البريطاني، ومؤرخ للتاريخ الفكري (تاريخ الأفكار)، ومنظر سياسي. وهو الذي أدخل طرق الفلسفة التحليلية في فلسفة التاريخ، وله معارضات للتنوير وفلاسفة التاريخ خلالها، وخصوصاً الألمان.

تأثر في بداياته بالمثالية الإنجليزية، ومن ثم تحول إلى واقعية مور، وبعد سنوات اعتنق مبادئ الوضعية المنطقية لحلقة فينا، كما تأثر بالفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط. وفي أكسفورد صاحبَ فيلسوف التاريخ كولينجود، الذي رعى اهتمام برلين، خصوصاً في تاريخ الأفكار.

من أهم مؤلفاته: (كارل ماركس: حياته وبيئته)، و(عصر التنوير: فلاسفة التنوير)، و(أصالة مكيافيلي)، و(الحرية ومُزيفوها: ستة أعداء للحرية الإنسانية)، (معنى الواقعية: دراسات في الأفكار وتاريخها)، و(قوة الأفكار)، و(ضد التيار: مقالات في تاريخ الأفكار)، و(الأفكار السياسية في العصر الرومانتيكي: صعودها وتأثيرها في الفكر الحديث).

كان يرى أن مفهوم الحتمية يعني أن التاريخ يُخضِع أو يُطوع القانون، سواء كان قانوناً طبيعياً أو فوق طبيعي، وذلك يعني أن كل حادثة في الحياة الإنسانية ما هي إلا

عنصر من عناصر هذا النظام الضروري. ويرى أن مثل هذا الفهم له أصول ميتافيزيقية عميقة، وهو موضوع فيه إعجاب وافتتان بالعلوم الطبيعية، التي تُغذي هذا المسار. وهو بالطبع ليس المصدر الوحيد لمفهوم التاريخ، ولا المصدر الرئيس له.

ويرى أن هناك نظرة تيلولوجية (غائية) تصعد بجذورها إلى بدايات التفكير الإنساني، والتي اتخذت صوراً مختلفة لها، إلا أن المشترك بينها هو الاعتقاد بأن الناس وجميع الكائنات الحية، وربما الأشياء الجامدة كذلك، لها وظائف وتعمل على إنجاز غايات (أغراض). وهذه الأغراض أما هي قرار من الخالق الذي صنعها، وجعل كل شخص وكل وشيء يعمل على إنجاز هدف معين. أو أن هذه الأغراض لم تُفرض من قبل الخالق، وإنما هي داخلية بطبيعتها وتعود إلى مالكها. وهذا يعني أن كل كيان له طبيعة، وهذه الطبيعة تعمل على إنجاز هدف، هو طبيعي لها. وأن مقياس كمالها يعتمد بدرجات ما على إنجازها لهذا الهدف. وأن الشر والرذيلة وعدم الكمال (الاعتلال والنقص..)، وكل صور الفوضى والأخطاء، هي صور من الإحباط (خيبة الأمل) تَحوُل بين الإنسان والأشياء وبين تحقيق أهدافها. والفشل يُعزى في هذه الرؤية إما لسوء الحظ الذي وضع عقبات سدت طريق الإنجاز الذاتي، أو سوء توجيه إنجاز بعض الأهداف التي ليست بأهداف طبيعية للموجود. وهذا يضع الموجود في دائرة التساؤل.

إيماميشي، تومونوبو (1922 - 2012) Tomonobu Imamichi

فيلسوف ياباني معاصر، أستاذ جامعي في عدة جامعات أوروبية، ثم في جامعة طوكيو. أنشأ المركز الدولي للدراسة المقارنة في الفلسفة وعلم الجمال.

من مؤلفاته: (تطور الهوية)، (مرحلة الجمال والفن)، (دراسة مقارنة في علم الجمال)، (جماليات الشرق)، و(الفلسفة في الغرب والشرق).

جادل في أن التقنية الحديثة خطر يهدد بإلغاء معنى سيرورة النضج في الزمن. حيث فقدت المجتمعات الصناعية معنى تبعية الوسائل للغايات، وقلبت رأساً على عقب القياس المنطقي التقني.

ويرى أن الثقافة الغربية والثقافة الشرقية تتكاملان في مجال الفلسفة، فبالاستناد إلى الإسرة اللغوية الأوروبية يستطيع فلاسفة الغرب أن يتعرفوا مماثلة الوجود، بينما يستطيع فلاسفة الشرق بالاستناد إلى لغة الصين، أن يتعرفوا مماثلة اللاوجود. وللارتقاء إلى مستوى فلسفة إنسانية، يتعين على الفلاسفة أن يتعاونوا على إنجاز دراسات مقارنة جديرة بتوسيع الأفق أمامهم. ولأجل هذه الفكرة كان إيماميشي يقيم مؤتمراً دولياً للفلسفة في كل سنة.

حرف الباء

بابيوانو، كوستاس (1925-1981) Kostas Papaioannou

فيلسوف يوناني، كتب باليونانية والفرنسية والإسبانية. اهتم بفلسفة التاريخ وعلم الجمال، له ميول ماركسية، فيؤكد عظمتها من حيث هي سلاح نقدي، لكنه يؤكد انحطاطها بعد سنة 1918، أي بعد ما أمسكت بالسلطة في روسيا، حيث يرى أنها تحولت إلى أيديولوجيا تبريرية. له دراسات عن الفن والتقنية وعلم الجمال، ودراسات في العلوم الإنسانية.

وكتب في الماركسية: (أزمة الماركسية)، (الأيديولوجيا الباردة - محاولة في اضمحلال الماركسية)، و(ماركس والدولة). كتب في فلسفة التاريخ: (الطبيعة والتاريخ - الكوسمولوجيا القديمة والتاريخانية الحديثة)، (نظرية صراع الطبقات)، (تكوين التوتاليتارية)، و(هيجل- العقل في التاريخ).

باجهوت = والتر باجهوت

باتوكا، يان (1907-1977) Jan Patocka

فيلسوف تشيكي، تعرض للنفي أيام النازية، ولم يتمكن من العودة إلى العمل الأكاديمي، فنشط في الكتابة، ونشر أكثر من مئة وعشرين بحثاً فلسفياً في مجلات متعددة، وواظب على إلقاء دروسه في السر، وناضل نضالاً علنياً من أجل حقوق الإنسان.

كانت اطروحته للدكتوراه بعنوان: (العالم الطبيعي كمسألة فلسفية). وله كتاب (أرسطو أسلافه وخلفاؤه). وفي فلسفة التاريخ كتب: (محاولات هرطوقية في فلسفة التاريخ) بسط فيه آراءه الخاصة حول مراحل التاريخ الكوني.

باراكلو، جيفري (1908-1984) Barraclough

مؤرخ بريطاني، أستاذ سابق بجامعة أكسفورد وجامعات بريطانية أخرى، شغل منصب رئيس الجمعية التاريخية الملكية، وشارك كمحرر لأطلس تايمز للتاريخ العالمي، والذي لا يزال قيد المراجعة.

أعماله الرئيسية هي: (أصل ألمانيا الحديثة)، (إمبراطورية العصور الوسطى)، (أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية في العصور الوسطى)، إضافة إلى (الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية).

بدأ باراكلو مسيرته في العصور الوسطى ولكنه تطور ليصبح مؤرخاً عالمياً. كان يشعر بقلق عميق إزاء استخدامات التاريخ وأهميته في القرن العشرين. بدا له أن النقاش السياسي والقرارات السياسية في النهاية عانت من الافتقار إلى البصيرة التاريخية. لتصحيح هذه المشكلة، طور أساليب تاريخية للتاريخ المقارن، من خلال ترسيخ دراسة الماضي في أصول البحث التاريخي، كما قام بالبحث في المناطق المعاصرة الأكثر ارتباطًا بشكل مباشر ببحوث الماضي، فأقامت طرقه البحثية مقارنات بين الماضي والحاضر.

وبفضل هذا الهيكل البحثي ذي الشقين، تمكن من تنظيم تحقيقاته من خلال النظر من الماضي إلى الأمام، ومن الحاضر إلى الخلف، بينما لاحظ أيضاً حالات التوقف التي تفصل الماضي عن الحاضر. كان أقرب إلى مدرسة التاريخ الإجمالي المقارن، فاستوعب في كتاباته التاريخية: الجغرافيا، والدورات الاجتماعية والاقتصادية، والإمبراطوريات، والتجارة، والقبائل كوحدات تاريخية شعر أنها أوضح صلة بين الماضي وبين الحاضر لتقديمه أو توحيده لإنهاء تلك الاستمرارية. سمح له استخدام هذه الأساليب برسم الخطوط العريضة لتاريخ العالم، وتحديد نقاط القوة والهبوط ونقاط التحول. وفي كتابه (الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية) تناول على نحو مقتضب، ومقارن، تطور فلسفة التاريخ في بلدان أوروبا وفي أمريكا.

بارث، بول (1858-1922) Barth Paul

فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، استاذ جامعي، له مؤلفات في التربية وعلم النفس، منها: (مبادئ التربية والتعليم المرتكزة على علم النفس)، و(ضرورة تعليم نظامي للأخلاق). ترأس تحرير (مجلة الفلسفة العلمية) الفصلية بين سنتي 1899 و 1916.

تعمق في دراسة فلسفة التاريخ وفلسفة هيجل، فكتب: (فلسفة التاريخ عند هيجل والهيجليين)، و(فلسفة التاريخ كعلم اجتماع). في كتابه (فلسفة التاريخ كعلم اجتماع) أسس لفكرة الفصل بين فلسفة التاريخ وبين التاريخ، وربط فلسفة التاريخ بعلم الاجتماع. فاعتبر فلسفة التاريخ هي جوهر علم الاجتماع.

باكل، هنري توماس (1821-1862) Henry Thomas Buckle

فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع ولاعب شطرنج إنجليزي، من أتباع المدرسة العقلانية، تأثر بمذهب اوغست كومت في الفلسفة الوضعية، ومذهب الطبيعة الاحيائية.

انتقد باكل التفسير اللاهوتي للتاريخ. وأصبح ممثلاً لمذهب (الحتمية الجغرافية)، لذا فإنه يعزو تطور الحضارات إلى تأثير عوامل طبيعية. ويعتقد أن الإنسان ليس إلا جزءاً من الطبيعة، لذا فإن قوانين التطور التاريخي يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة.

في كتابه (تاريخ الحضارة في إنجلترا) وضع القوانين الطبيعية الخاصة بالتطور التاريخي، وهي:

1. القوانين الطبيعية التي تتعلق بتأثير التربة والمناخ والثروة، وسائر جوانب الطبيعة، على الإنسان. وخلاصة هذه القوانين أن التأثيرات الجغرافية تتناسب تناسباً عكسياً مع نمو الذكاء. وبما أن تأثير هذه العوامل الطبيعية على المجتمعات البدائية كان

ضعيفاً، فالذكاء كان أقوى ما يمكن في المجتمع البدائي، وهو أضعف ما يكون في الحضارات المتقدمة.

2. القوانين الأخلاقية، وهي ثابتة لا تتغير.

3. القوانين الفكرية، وهي التي تؤكد أن التطبيق المطلق للمنهج العلمي كان نافعاً للإنسان دائماً، كما أنه ساعد مساعدة فعالة في التعجيل بتطور الحضارة.

وعمل باكل على تطبيق هذه القوانين على تواريخ فرنسا واسبانيا واسكتلندا، ثم عاجلته المنية قبل أن يكمل تطبيقها على تاريخ إنجلترا.

باكويرو لازكانو، بدرو (1935-) Pedro Baquero Lazcano

فقيه قانوني وفيلسوف أرجنتيني معاصر، له نظريات في القانون الدولي، وفي فلسفة التاريخ. من أعماله: (فلسفة القانون والسياسة الدولية)، (رسالة وأزمة ومستقبل الأمم المتحدة).

وله في فلسفة التاريخ: (فلسفة التاريخ والقانون العام الدولي).

قسم التاريخ إلى ثلاث مراحل، تناظر: الوجود، والمعرفة، والإرادة.

وقسم التاريخ في الزمن إلى ثلاثة عصور:

- العصور القديمة، مجتمعات أممية.
- العصور الوسطى، مجتمعات ما فوق قومية.
- العصر الحديث، عصر مشترك دولي.

وفسر حركة التاريخ على أنها مزيج من العقل الإلهي والحرية الإنسانية، ويصف عمق العناية الإلهية في التاريخ بقوله: «التاريخ هو ظهور الله في الزمن».

بالبو، قيصر (1789-1853) Balbo

فيلسوف إيطالي، له كتاب (تأملات تاريخية)، كرسه لإثبات اعتقاده بـ (العناية الإلهية) كونها الموجه الأساس لحركة التاريخ، وتكوين الحضارات ومصائرها.

بتاليا، فيليتش (1902-1977) Felice Battaglia

فيلسوف قانوني وأخلاقي إيطالي. من مؤلفاته: (دروس في فلسفة الحقوق)، و(المشكلة الأخلاقية للوجودية).

وفي كتابه (القيمة في التاريخ) يرى أن دلالة التاريخ وقيمته تتحدد فقط بقدر ما يحقق من تقدم داخلي للإنسان.

بران، جان (1919-) Jean Brun

فيلسوف فرنسي، أستاذ الفلسفة، اهتم بالعالم الروحي والأخلاق، وله فيها مؤلفات عديدة، منها: (اليد والروح)، (العري البشري)، (فتوح الإنسان والانفصال الأنطولوجي)، (متشردو الغرب)، (أقنعة الرغبة)، و(الفلسفة المسيحية)، ومؤلفات أخرى عن سقراط وأفلاطون وأرسطو والفلسفة الرواقية. وكتب أيضاً: (أوروبا الفلسفية)، (الفردوس المفقود)، (الحلم والآلة)، و(فلسفة التاريخ).

قدم تأويلاً جديداً للأساطير، فاعتبرها المحرك الأقوى للعقل اليوناني القديم، وللحضارة الغربية الحديثة، وإن كل ما فعلته أوروبا الحديثة هو أنها أعطت الأساطير طابعاً تقنياً، وجعلتها عملانية.

برلين = إيزيا برلين

برنارد غروتويزن (1880-1946) Bernard Groethuysen

فيلسوف فرنسي من أصل ألماني. من أعماله: (أصول الروح البرجوازي)، (الانثروبولوجيا الفلسفية)، (جدلية الديمقراطية)، (فلسفة الثورة الفرنسية)، و(أساطير ووجوه).

من آرائه: أن الروح تاريخي، أي متبدل، وأن المهم هو إمساك الروح في تاريخيته.

وحاول أن يعين كيف انبثق مفهوم الفردية في أوروبا الغربية، بالتظافر مع مفهوم البرجوازية. ورأى أن هذا المفهوم قاصر على الحضارة الغربية، وقد عين بزوغه، إلى حد كبير، ظاهرات تاريخية بعيدة الأهمية، من قبيل: **التكنولوجيا**، والرأسمالية، والثورة الفرنسية. وكان مبحثه في هذا المجال رائداً لمباحث لاحقة.

بروكر، يوهان جاكوب (1696-1770) Jacob Brucker Johann

مؤرخ وفيلسوف ألماني، رائد الفلسفة الألمانية في القرن الثامن عشر. اختير راعياً لجامعة ايينا بألمانيا، وعضو الأكاديمية البافارية للعلوم والعلوم الانسانية. له: (تاريخ مذاهب الفكر الفلسفي). وله: (التاريخ الفلسفي النقدي) في خمسة مجلدات.

البروليتاريا Proletarius

ظهرت البروليتاريا كطبقة اجتماعية من المواطنين في روما القديمة، وهي طبقة الفقراء الذين يمتلكون القليل من الممتلكات، أو لا يمتلكون أي ممتلكات، وكانت هي الطبقة الدنيا في المجتمع. وقد تم استخدامهم جنوداً في الجيش الروماني مقابل أجر.

وكان الاقتصادي والمؤرخ الليبرالي السويسري جون شارل لينارد دي سيسموندي

(1773 - 1842)، أول من استخدم مصطلح البروليتاريا في العصر الحديث، ليصف الطبقة العاملة التي نشأت في ظل الرأسمالية.

ثم استخدم ماركس وأنجلز الاصطلاح نفسه في (بيان الحزب الشيوعي)، للتعبير عن الطبقة التي لا يمتلك أفرادها أي شيء من وسائل الإنتاج، وتعيش من بيع مجهودها العضلي، أو الفكري. وفي ظل النظام الرأسمالي، اعتبرها ماركس هي الطبقة الناشئة عن الاحتكارات العالمية، وهي طبقة تبيع عملها الفكري والثقافي والعضلي، ولا تملك أي وسائل إنتاج. ويعتبرها ماركس الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي.

فالبروليتاريا في نظر ماركس، طبقة عاملة تقدمية غير ملوثة بالملكية الخاصة، وقادرة على العمل الثوري للإطاحة بالرأسمالية وإلغاء الطبقات الاجتماعية، ثم تقود المجتمع إلى مستويات أعلى من الرخاء والعدالة.

وفي المقابل هناك «البروليتاريا الرثة»، التي يعتبرها ماركس طبقة رجعية، في الاقتصاد غير الرسمي، ويمثلها أفقر المنبوذين من المجتمع، مثل: المتسولين، والمحتالين، والفنانين المتجولين، والمجرمين.

البطل في التاريخ/ نظرية Hero Theory in History

أو« التفسير البطولي للتاريخ»: تقوم هذه الرؤية على أساس أن الرجل العظيم، البطل، في كل أمة هو الذي يصنع تاريخها، وأن تاريخ البشرية إنما هو تاريخ العظماء وإنجازاتهم في ميادين الحياة.

وأول من أرسى أسس هذا الاتجاه هو الاسكتلندي توماس كارليل (1795-1881) في كتابه (في الأبطال وعبادة البطل) وخلاصة أفكاره: أن كل ما تمّ إنجازه في العالم إنما هو الحصيلة المادية الخارجية، والتحقيق العملي، والتجسيد الحي، لأفكار عاشت في عقول

عظماء عاشوا في هذا العالم، إنهم روح التاريخ العالمي كله. ويُرجع عناصر البطولة في الرجل العظيم إلى ثلاثة أسباب:

أ. الإيمان بأن البطل قد اختاره الله.

ب. الإيمان بالجبرية التي يعبّر عنها البطل برسالته، إذ كان كروميل يرى نفسه أداةً في يد العناية الإلهية، وكان لينين يرى نفسه أداة تسيّرها المادية الجدلية.

ج. أن يتحلى البطل بالشجاعة.

وللبطولة ستة مظاهر: البطل كإله، البطل كنبي مثاله محمد، البطل كشاعر دانتي وشكسبير، البطل كقسيس لوثر ونوكس، البطل ككاتب جونسون وروسو، والبطل كملك كروميل ونابليون.

ومع أنه لم يقصر البطولة على السياسة والحرب، إلا أنه يعد البطولة السياسية والعسكرية أسمى البطولات، وأن أبطالها هم خلاصة سائر صور البطولة.

وجاء بعده الأمريكي فردريك آدمز وود، ليجعل للبطولة تفسيراً وراثياً، من خلال دراسة تحليلية مقارنة شملت 386 ملكاً تعاقبوا على عروش أوروبا الغربية، من القرن الحادي عشر حتّى القرن التاسع عشر، ليخرج بنتيجة تقرر الترابط بين خصائص الملوك، من قوة وضعف، وبين أوضاع ممالكهم من حيث قوتها وضعفها، ليقرر بأن لهؤلاء الملوك نفوذاً حاسماً وقاطعاً في تقرير الوضع التاريخي.

ثم يجعل سر ذلك هو أن الملك جوهرياً مخلوق بيولوجي أكثر مما هو مخلوق اجتماعي، فالملوك يؤلفون جنساً بشرياً هو نسيج لوحده، فهم يتوارثون السجايا العقلية أيضاً بنفس الطريقة التي يتم فيها توارث الصفات البدنية.

لم تحظ هذه الرؤية بالقبول ولاسيما في أوساط يعلو فيها صوت الدعوة إلى الديمقراطية، ونبذ سلطة الفرد الواحد. أما أهم الردود الفلسفية على هذه النظرية، فهو الرد الذي يتلاءم مع كل رؤية فلسفية آمنت بوجود قوانين تاريخية، وظواهر تتميز على أساس احتياجات كل فترة من الفترات التاريخية، لدى كل مجتمع.

يقول سدني هوك: «إن الأحداث التي أدى إليها مثل ذلك الفعل البطولي قد تقررت بواسطة النواميس التاريخية في الفترة التي ظهر فيها البطل، أو بواسطة احتياجات تلك الفترة».

وعلى هذا فإن العظماء لا يصنعون التاريخ ويكيفونه، إنما تستدعيهم الأزمنة العظيمة، وهي تلك الفترات الانتقالية التي ينهض فيها الجنس البشري من مستوىً ما من مستويات الحرية والتنظيم إلى مستوى آخر.

فهذه الرؤية الأخيرة إذن لا تنفي دور البطل في التاريخ، ولا تنكر ضرورته، ولكنها وضعته ضمن النسق التاريخي، فهو لا يستطيع أن يفعل إلا ما تسمح به حضارته، فهو أداة للقوى التاريخية والاجتماعية، وليس صانعاً لها.

وتتطابق هذه الرؤية مع رؤية هيجل والرؤية الماركسية للتاريخ.

وإلى جانب هذا فإن نظرية أخرى، ترى أن الأبطال لم يكونوا إطلاقاً ضروريين للقيام بالعمل الذي يحتاجه عالمهم، إذ إن الاحتياجات الاجتماعية تسدّ ذاتها بذاتها، بواسطة الحركات الجماهيرية التي لا يمكن للمرء تمييز الأفراد الذين يؤلفونها بعضهم عن بعض، إذا نُظر إليهم من بعد.

بليخانوف، جورجي فالنتينوفتش (1856-1918) Valentinovitch Georges PLEKAHNOV

فيلسوف روسي راديكالي، شارك في تنظيم الحركة الثورية المعروفة باسم «الأرض والحرية»، وبعد انشقاق الحركة تزعم جناحها المعادي للإرهاب. هاجر من روسيا وأقام في جنيف، وأصبح المنظر الأول للماركسية. وفي سنة 1883أسس حركة «تحرير العمل». وأسس «الحركة الديمقراطية الاجتماعية» في روسيا. من مؤلفاته: (كارل ماركس وتولستوي)، و(الفن والحياة الاجتماعية). وفي فلسفة التاريخ كتب: (تطور النظرة الواحدية للتاريخ)، (محاولات في تاريخ المادية)، (فلسفة التاريخ - المفهوم المادي للتاريخ)، و(دور الفرد في التاريخ).

حين يتحدث عن المؤرخ، يقول: أقصد بالمؤرخ ذلك الذي لم يحرم موهبة التعميم. فهو مؤمن بان التاريخ علم، وان هناك قوانين يمكن اعتمادها في التعميم. ورأى أن لكل عهد من عهود البشرية فلسفته الخاصة في التاريخ. واعتبر المفهوم اللاهوتي للتاريخ هو أكثر المفاهيم بدائية.

وأخذ على التفسير المثالي أنه توقف عند اعتماد الرأي العام للجماعة البشرية حاكماً على مصيرها ومستقبلها، أخذ على ذلك أن الرأي العام لا يحدث بالصدفة، بل هو خاضع لقوانين يجب أن ندرسها. وتبنى المذهب التجربي الذي ينفي وجود معرفة فطرية وأفكار فطرية في العقل البشري.

ويوجه نقده السلس إلى سائر نظريات فلسفة التاريخ، في فرنسا وفي ألمانيا بما فيها فلسفة هيجل، لينطلق من تساؤل أخير مفاده: أن فلسفة التاريخ، بكل اتجاهاتها تنتهي إلى أصل واحد، وهو تفسير أصل الوضع الاجتماعي، لينتهي إلى أن المادية التاريخية هي الوحيدة التي تجيب على هذا السؤال.

بنيامين كيد (1858-1916) Benjamin Kidd

عالم اجتماع بريطاني، تأثر بدارون، وقلب مبادئ اوغست كومت. نشر أفكاره في فلسفة التاريخ في كتابين: (نظرية التطور الاجتماعي)، و(مبادئ الحضارة الغربية).

يُحسب كيد كمؤسس لعلم الاجتماع كنظام، تأثر بالداروينية والتطور، وسعى إلى إيجاد أوجه تشابه بين المجتمع البشري والكائن الحي.

جادل كيد بأن تطور المجتمع والحضارة الحديثة ليس بسبب العقل أو العلم، ولكن بسبب قوة المعتقدات الدينية، ناظراً إلى أن تطور المجتمع يتحقق من خلال النضال والروابط بين الفئات الاجتماعية، وفي هذه العملية، يتم التأكيد على دور الدين الذي يجلب التكامل الاجتماعي.

فهو يعتبر حركة التاريخ صراع بين ما يسعى إليه الفرد من مبادرة وتحرر، وبين ما يفرضه المجتمع من قيود وسيطرة، وأن ما تفرضه الجماعة على الفرد من قيود هي المصدر الرئيس للتطور.

وتعزيزاً لهذه الفكرة رأى أن ما يمليه العقل يعزز روح الفردية، ومن ثم يبعث على الفوضى، ومن هنا تأتي أهمية القيود الاجتماعية. ولكي تكون هذه القيود فاعلة باستمرار، فلابد أن ترتكز على قوة تفوق سلطان العقل، والدين وحده هو الذي يمثل هذه القوة.

ثم وظف آراء سبنسر في مراحل التطور الاجتماعي، لاسيما المرحلة الحربية العسكرية، ليخلص إلى أن المسيحية أنقذت البشرية من خضوعها للمرحلة الحربية، عن طريق ما لهذه الديانة من سلطان يفوق سلطان العقل.

بنيامين = والتر بنيامين

بوبر = كارل بوبر

بودان = جان بودان

بوسويه، جاك بينين (1627 - 1704) Bossuet Jacques-Bénigne

أسقف الأكاديمية الفرنسية الكبير، والأستاذ الخاص لابن ملك فرنسا لويس الرابع عشر. له مؤلفات في الفكر اللاهوتي: (رسالة في معرفة الله والذات)، (رسالة في النهم إلى الملذات)، (تاريخ تقلبات الكنائس البروتستانتية)، وغيرها. أصدر عام 1688 كتاباً بعنوان (مقالة في التاريخ العالمي)، أو (المقال في التاريخ الكلي) يرى فيه أن تاريخ البشرية بأكمله توجهه يد القدرة الإلهية، مع محاولة للتركيب بينها وبين الفاعلية البشرية.

كان بوسويه نصيراً قوياً للمطلقية السياسية والحق الإلهي للملوك. وقد جادل بأن الحكومة كانت مقدسة، وأن الملوك قد استلموا السلطة من الرب.

ركز التاريخ كله على سيرة يهود العهد القديم والأمم التي أنارتها المسيحية، فحلت هذه المفاهيم لديه محل مركز التاريخ وغايته، فلقد استخدم الله الآشوريين والبابليين ليعاقب شعبه المختار، واستخدم الفرس ليردهم إلى وطنهم، واستخدم الإسكندر ليحميهم، وأنطيوخس ليمتحنهم، والرومان ليصونوا حرية اليهود ضد ملوك سوريا.

وقد رأى بعض التقدم خلال مشاكل الإمبراطوريات الصاعدة ثم الساقطة، فاحتلت فكرة التقدم محلاً جوهرياً في كتاباته.

بوشيه، فيليب جوزف بنيامين (1796-1865) Philippe Joseph Benjamin Buchez

فيلسوف وسياسي فرنسي، رئيس تحرير الصحيفة الكاثوليكية (الأوروبي). من مؤلفاته: (رسالة تامة في الفلسفة)، و(المدخل الى علم التاريخ). مثل فكره خلاصة الفلسفة المسيحية اللاهوتية للتاريخ، معتمدا مبدأين أساسيين: مبدأ وحدة الإنسانية، ومفهوم التقدم. ويرى أن التقدم ممكن بفعل قدرة الإنسان على تحويل الجامد الى متحرك. لكن الصورة السلبية لهذا التقدم تكمن في تحويل السلطة الروحية إلى السلك الكهنوتي.

البيئية/ نظرية Environmental Theory

نظرية في فلسفة التاريخ، قوامها أن العامل الجغرافي البيئي، هو العامل الأساسي المؤثر في حركة التاريخ، من خلال تأثيره المباشر على طبائع الشعوب والمجتمعات. وتعرف أيضاً بـ «الحتمية الجغرافية».

وأشهر من قال بها مونتسكيو، إذ عدّ الاختلافات الظاهرة بين الشعوب والأمم، في ثقافاتها، وأمزجتها، وأنشطتها، إنما مرجعها إلى اختلاف المناخ والبيئة الجغرافية. وهذا هو السبب فيما نشاهده من اختلاف بين مجتمعات البلدان الحارة ومجتمعات البلدان الباردة، وكذلك بين المجتمعات الجبلية ومجتمعات السهول والأراضي الزراعية. وبها قال ابن خلدون أيضاً، مع اعتماده نظرية التعاقب الدوري.

وقد أعاد توينبي أصل هذه النظرية إلى الاغريق، ففي تراثهم المحفوظ رسالة بعنوان «تأثير المناخ والماء والموقع» يرقى تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وفيها نتائج شبيهة بما قرره مونتسكيو من تأثيرات للمناخ وفوارق بين المجتمعات ناجمة عن اختلاف البيئة.

بيدرمان، غوستاف (1815-1890) Gustav Biedermann

طبيب وفيلسوف ألماني من أصل تشيكي، مارس الطب، وانغمس في الفلسفة متأثراً بهيجل والتيار الهيجلي. كتب: (نظرية العلم)، و(نقد كانط للعقل المحض)، (المنطق الهيجلي). وكتب (فلسفة التاريخ).

بيل، دانييل (1919-2011) Daniel Bell

عالم اجتماع أمريكي، أستاذ جامعة هارفارد، كان عضواً في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والجمعية الأمريكية للفلسفة. اهتم بالتاريخ المعاصر والتنبؤ الاجتماعي.

في كتابه (نهاية الأيديولوجيا) حاول أن يبين كيف وصل الغربيون إلى نهاية عصر الأيديولوجيا، نتيجة للاقتصاد المزدوج ودولة الرفاهية. أدعى بيل أن الصراع بين الأيديولوجيات يحدث بشكل رئيسي في الدول النامية، أو على الساحة العالمية.

وفي مؤلفه (الحق الراديكالي) قدم تفسيراً للمكارثية، على أنها أقليات متطرفة لم تتأقلم مع المجتمع.

وفي كتابه (المجتمع ما وراء الصناعي) برهن رأيه في أهمية المعرفة العلمية والفنية في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتنبأ بأن نخبة العلماء ستمتلك قوة أكبر.

بيير فوجيرولا (1922 - 2008) Pierre Fougeyrollas

فيلسوف فرنسي معاصر، من أعماله: (ضد ليفي ستراوس ولاكان وألتوسير)، (الأمة)، وأشهرها كتابه (الثورة الفرويدية) أو (ماركس وفرويد والثورة الشاملة). وفي فلسفة التاريخ كتب: (السيرورات الاجتماعية المعاصرة)، (جاذبية المستقبل)، (تحولات الأزمة - العنصريات والثورات في القرن العشرين)، و(نهوض وأفول المجتمعات الحديثة).

حرف التاء

التاريخ History

المعنى الأولي لمفردة التاريخ بالعربية هو التوقيت، أي ضبط الوقت، ويفضل أن تستعمل لهذا المعنى مفردة «التأريخ» بالألف المهموزة، تمييزاً عن مفردة «التاريخ» بدون الهمز، والتي تستعمل بمعنيين مختلفين:

الأول: للتعبير عن حصيلة النشاط البشري في الأزمنة الماضية، أي حوادث الماضي.

والثاني: للتعبير عن سجل الأحداث.

وهكذا يرد استعمال هذا اللفظ «التاريخ» في مختلف اللغات الأوروبية.

ففي الفرنسية «ايستوار» Histoire يعني: مجموعة الحوادث التي ظهرت وستظهر في حياة البشر، كما يعني أيضاً: الإلمام بتلك الحوادث.

وفي الألمانية تدل على تاريخ الأشياء الحادثة، مثل ما تدلّ على الأشياء الحادثة ذاتها، فهي تشمل ما قد حدث، بقدر ما تشمل رواية ما قد حدث. ويمكن التعبير عنه أيضاً بأنه: «كل ما نعرفه عن كل شيء فعله الإنسان، أو فكّر فيه، أو أحس به، أو تمنّاه». وبعبارة أخرى، هو: «سجل كل ما حدث داخل نطاق الإدراك البشري».

والتاريخ بهذا المعنى سيتخذ طابعاً حيوياً، فتسجيل أحداث الماضي وما حصل داخل نطاق الإدراك البشري، إنّما سيزاوله مؤرخ يعيش الحاضر. فالتاريخ إذن: «عملية مستمرة من التفاعل بين المؤرخ ووقائعه» لذا فهو «حوار سرمدي بين الحاضر والماضي».

ثم إن من شأن عملية التفاعل والحوار هذه أن تخلق بعداً جديداً في التاريخ، لاسيما مع تطور الوعي ونهضة العقل في السيطرة على بيئته، فسوف تخلق عملية التفاعل

والحوار الدائم مع الماضي وعياً بضرورة فهم الحاضر والتأثير فيه، ما ينعكس تأثيره على المستقبل أيضاً، حيث أن الماضي والحاضر والمستقبل مترابطة معاً في السلسلة التاريخية المتواصلة.

وهكذا دخل التاريخَ بعدٌ جديد، وأصبح تعريفه يتخذ صيغاً جديدة، مناسبة لهذا البعد الجديد، فالتاريخ بتعريف بوركهاردت (J. Burckhardt) هو: «انقطاع مع الطبيعة يحدثه استيقاظ الوعي». أو بتعريف إدوارد كار: «النضال المديد للإنسان عبر استخدامه عقله لكي يفهم بيئته ويعمل فيها».

فأصبح للتاريخ إذن مهمة مزدوجة، تتمثل في: تمكين الإنسان من فهم مجتمع الماضي، وزيادة سيطرته على مجتمع الحاضر. وهذا البعد الجديد في التاريخ هو الذي سيفتح الباب أمام ما اصطلح عليه بـ «فلسفة التاريخ».

وفي مرحلة متأخرة نسبياً، ومع تطور الوعي بالتاريخ، تحول التاريخ من كونه صنفا من صنوف الآداب، الى كونه علما من العلوم، بعد سجالات متبادلة بين أنصار هذه الفكرة وبين خصومها. فتطور التاريخ، بحسب عبارة هيربرت آدمز: من حاضنة للعقائد، إلى مختبر للحقائق العلمية.

وتعددت مباحث التاريخ لتتجاوز التاريخ السياسي، وتشمل: التاريخ الاجتماعي، والتاريخ الثقافي، وتاريخ العلوم، وتاريخ الأفكار، وتاريخ الاقتصاد... إلخ.

كما تعددت مناهج التاريخ، من التاريخ المحلي، إلى التاريخ العالمي، والتاريخ الإجمالي، والتاريخ المقارن، والحوليات، وغيرها. ويأتي التعريف ببعضها في محله.

كما ميز يسبرز بين معنى «التأريخ» وبين معنى «التاريخ»، وبين الشعور التأريخي وبين الشعور التاريخي. فالتأريخ، بالهمز، هو العلم بحوادث الماضي خلال التسلسل

الزمني للعالم. أما التاريخ فهو شعور الذات بما حققته في مظاهر نشاطها المختلفة. وهذا الشعور التأريخي هو النور الذي يوضح تاريخية الآنيّة، ويتبدى في كل حالة أُريد فيها أن أُدرك العلوّ، أي أن أُدرك أنني من خلال المواقف التي أُوجد فيها أُحاول الخروج منها والعلو عليها ابتغاء تحقيق إمكانات جديدة.

التاريخ الإجمالي Total History

وهو التاريخ الشامل، منهج في التاريخ ابتكره مجموعة من المؤرخين تشكلت في فرنسا، سنة 1929، اتبعت طرقاً جديدة في البحث والاستقصاء، ليتسع البحث التاريخي لجميع مظاهر المجتمع. فوسعوا في مجال البحث، ليتحول التاريخ من مجرد تاريخ سياسي، إلى تاريخ شامل، يشمل العوامل الاجتماعية والاقتصادية على حدٍ سواء.

وكان أهم رواد هذه المدرسة: فيرناند برودل (1902-1985) الذي قام بصياغة مصطلح (التاريخ الإجمالي) أو الشامل.

ومارك بلوخ (1886-1944) الذي كتب في التاريخ الإجمالي: (المتوسط وشعوب البحر الأبيض المتوسط)، كتبه أثناء وجوده في الأسر النازي، إبان الحرب العالمية الثانية. وكان هذا الكتاب بمثابة ثورة في كتابة التاريخ، حيث ألقى نظرة عالمية شاملة على اتجاهات بعيدة المدى.

ومارك بلوخ هو من أطلق اصطلاح «التاريخ المقارن». وفي كتابيه: (الملوك والخدم)، و(المجتمع الاقطاعي)، اشتغل على اكتشاف العلاقة بين الحرية والعبودية. وفي سنة 1944 قتله الألمان رمياً بالرصاص.

وانتقد الماركسيون هذا الاتجاه التاريخي، بذريعة أنه بحاجة إلى نظرية شاملة لتطور المجتمع.

التاريخ الجديد New History

منهجية جديدة في التاريخ، تعد خروجاً عن التاريخ التقليدي، شأنها شأن التاريخ الإجمالي، ومدرسة الحوليات. فهي تعتمد على أنواع جديدة من المصادر التاريخية مثل التاريخ الشفوي والتراث المادي، والاهتمام بالمغيّبين والهامشيين عن طريق دراسة المتروك من المصادر والمغيّب من الفئات الاجتماعية، مثل: تاريخ المجانين، وتاريخ الرعاة، وتاريخ اللصوص والمومسات وسائر الهامشيين من الهراطقة والفقراء المزيفين والمجانين والمشردين بلا سكن، وسكان الضواحي والأحياء الفقيرة.

يقوم هذا التاريخ كما وصفه لوسيان فافر على رفض التشبث بأصنام الماضي، والتنبه لعلاقة الحاضر بالماضي، أي تفهم الحاضر بالاعتماد على الماضي، ولكن أيضاً تفهّم الماضي بالاعتماد على الحاضر، وهو ما يتطلب منهجاً حذراً في الربط بينهما بشكل ارتداد.

وتمثل «مدرسة الحوليات» تاريخ ميلاد للتاريخ الجديد وإن كان قد ينتسب إلى أبعد من مدرسة الحوليات، إذ يحق له أن يكون سليل لبعض من أكبر الأسماء في علم التاريخ منذ القرن الثامن عشر، مثل فولتير، وشاتوبريان، وغيزو، وميشليه.

كما أن التاريخ الجديد اعتمد التاريخ بالبحث في: البِنى، والأنثروبولوجيا التاريخية، والذهنيات، والثقافة المادية، والهامشيون، والمتخيّل، من خلال النظر في «الأمد الطويل»، بتناول الظواهر الاجتماعية والذهنية منذ فترات انبلاجها، مروراً بفترات الأوج، إلى أن تذوي، لا لتنتهي بالضرورة، ولكنها قد تستمر بشكل أو بآخر. وتتم دراستها من خلال الأخذ بالاعتبار مظاهر الثبات والتحول. إنه تخلّ عن الارتباط بالأحداث ليطرح مشاكل لا يمكن تصور دراستها إلا من خلال الديمومة. وبحسب فوفيل فإن تاريخ الذهنيات هو الحقل المميز للأمد الطويل. إنه تاريخ التطورات التي لا يراها الناس. مثل: تاريخ الخوف،

تاريخ الموت. ويرى فوفيل أن هذا التاريخ لن يكون ممكناً دون اكتشاف مصادر جديدة للتاريخ، فلم تعد الوثيقة المكتوبة الوثيقة التاريخية الوحيدة، لدينا هنا: الآثار، والوثيقة المصورة، والتحقيق الشفوي. بعد أن اقتحمت البنيوية تاريخ الأديان والأنثروبولوجيا، جاء كريزيستوف ليبيّن أن التاريخ ليس قادراً على إبراز البنى فقط، بل إن من مهامه الأولى الاعتناء بها. كما قام بروديل شيئا فشيئا بتدقيق المعنى الذي يحمله المؤرخون لعبارة «بنية»، فيقول: يقصد الباحثون في المجال الاجتماعي بعبارة» بنية تنظيماً واتساقاً للعلاقات الأكثر ثباتاً بين الواقع والجموع الاجتماعية، أما بالنسبة إلينا نحن معشر المؤرخين، فالبنية تعتبر تركيباً وهندسة، بل أكثر من ذلك، هي واقع يؤثر فيه الزمن بصعوبة ويطيل من عمره كثيراً، وعندئذ تصبح بعض البنى التي تعمّر طويلاً أسساً ثابتة لأجيال متعاقبة بلا حصر، تملأ التاريخ وتعطّل مسيرته، إذن فهي تتحكم فيه، في حين تبدو بعض البنى الأخرى مهيأة أكثر من غيرها للتفتت. ولكنها جميعاً دعامة لحركة التاريخ ومعوّق لها. إنها معوّق لأنها تتثبت ولا يمكن للإنسان بتجاربه أن يتحرر منها أبداً. ويضيف: إن من خصائص التاريخ البنيوي أنه تاريخ للناس عامة وليس لفئة دون أخرى، كما أنه تاريخ نفسي وأنثروبولوجي وبيولوجي من خلال اهتمامه بالتغذية والجنس والأمراض وغيرها.

أما تاريخ «الذهنيات/التاريخ الثقافي»، فمن أجل فهم حراك الجموع البشرية، يمكن أن نقول هنا أن تاريخ الذهنيات هو تاريخ الأفكار والآراء والمعتقدات والمتخيلات والأحلام عند جماعة بشرية، سواء كانت داخل الوعي أم خارجه. من كل هذا اعتبر التاريخ الجديد بمثابة ثورة كوبرنيكية في التاريخ.

أما أهم رواده، فهم: **جاك لوغوف، ولوسيان فافر، وفيليب أرياس، وجان كلود شميت، وكريزيستوف بوميان، وميشيل فوفيل.** وبحسب لوغوف فإن **هنري بار** هو أول رواد التاريخ الجديد وأول من استعمل هذه التسمية سنة 1930.

التاريخ العالمي World History

يشكل (التاريخ العالمي) الموضوع الأساس لفلسفة التاريخ، وهي تنظر إلى التاريخ على أنه يؤلف وحدة، لذا برز الاهتمام بالتاريخ العالمي متزامناً مع تطور فلسفة التاريخ في أوروبا الحديثة، لاسيما في عصر الأنوار، مع ملاحظة ظهور محاولات سابقة غير مكتملة. لكن في منتصف القرن الثامن عشر ابتدأت تظهر مؤلفات كبيرة في التاريخ العالمي، ساعد على ذلك عاملان؛ عامل مادي موضوعي تمثل بحركة الكشوف الجغرافية والعلمية الواسعة التي أتاحت للمؤرخ أن يطلع على تواريخ وثقافات الأمم كافة، وعامل عقلي تمثل بالنزعة العقلية والحركات الإنسانية التي لازمت المرحلة المتأخرة من عصر النهضة، واتسعت في عصر الأنوار.

لأول مرة ظهر كتاب يحمل عنوان (تاريخ العالم) للمؤرخ الفرنسي ثيودور أجريبا دي أوباين (1552 - 1630). وأصدر بوسويه Bossuet (1627 - 1704) أسقف الأكاديمية الفرنسية، عام 1688 كتاباً بعنوان (مقالة في التاريخ العالمي).

وبين سنتي 1736 و1765 اشترك عدد من المؤرخين، معظمهم من الإنجليز، في كتابة (تاريخ العالم منذ بدايته حتى الوقت الحاضر). وقد طغت عليه وجهة النظر المسيحية المحافظة.

ثم ظهرت مصنفات أخرى أكثر أهمية، أنتجها مؤرخون عقلانيون، فضمنوها رؤاهم النقدية، واستنتاجاتهم العلمية، ومن أولها وأشهرها: كتاب أوجست شولزر (محاضرات في التاريخ العالمي) 1772. ويعقوب دانيال ويجلين (التاريخ العالمي) 1775. وتحت العنوان نفسه كتاب يوحنا كريستوف 1787، وكارل رونيك الذي صدر ما بين 1812و 1827. ثم كتاب حنا آدمز (نظرة على التاريخ العالمي) 1795، وكتاب ألكسندر تيتلر (عناصر التاريخ

العام) 1801، وغيرهم كثير، وكلها مؤلفات ضخمة في مجلدات عديدة. واستمر الاهتمام بهذا المنهاج حتى منتصف القرن العشرين في أعمال لعل أشهرها: (قصة الحضارة) لـ ول ديورانت، و(بحث في التاريخ) لأرنولد توينبي.

ولم تكن فكرة (التاريخ العالمي) بعيدة عن أذهان المؤرخين القدماء، فقد كتب هيرودوتس (حوالي 480 ق.م) كتابه في التاريخ (إيستوريا) وضمنه تواريخ الشعوب والامم التي شملتها رحلاته الواسعة.

وخصص اليعقوبي (ت 292 هـ 905 م) الجزء الأول من تاريخه لتواريخ الأمم المجاورة التي تعرف عليها وعلى مدونات مؤرخيها. ومثله فعل الطبري (ت 310هـ 923 م) في المجلد الأول من تاريخه الكبير الذي أسماه (تاريخ الأمم والملوك). أما مسكويه (ت 421 هـ 1030 م) فقد اختار لكتابه في التاريخ عنواناً فريداً، فأسماه (تجارب الأمم). وكان لهؤلاء جميعاً أفكار تأملية في فهم التاريخ قبل ظهور فلسفة التاريخ.

التاريخ الكلي Overall History

هو عمل تحليلي مقارن للأحداث والظواهر التاريخية المتشابهة التي تحدث في أماكن ومجتمعات متباينة، ويعتمد في مادته على التاريخ العالمي الذي يوفر المادة التاريخية لأكبر عدد من البلدان والشعوب والأمم.

وأكثر ما اتضحت ثمرات التاريخ الكلي، لدى توينبي في دراسته المقارنة المفصلة لأكبر عدد من الحضارات. وكذلك دراسة شبنجلر التي انتهى منها الى خضوع كل الحضارات لقانون دورة الحضارة، التي تتطابق مع دورة حياة الكائن الحي. ومن قبل يعد ابن خلدون السابق في اعتماد هذا النهج، على الرغم من محدودية الحقب التاريخية التي توفرت لديه أخبارها.

التاريخ المقارن Comparative history

التاريخ المقارن، هو منهج في البحث التاريخي يعتمد تسليط الضوء على الاختلافات والنقاط المشتركة، أو حتى رسم بعض التأملات العامة في التاريخ، ويتفاعل مع العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية. وأسماه بعضهم (التاريخ التطبيقي).

رائده المؤرخ الفرنسي مارك بلوخ الذي وقع في أسر الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي أسره كتب كتابه (المتوسط وشعوب البحر الأبيض المتوسط) الذي أحد ثورة في كتابة التاريخ. وقتله الألمان رميا بالرصاص سنة 1944.

يقول بلوخ إن ممارسة التاريخ المقارن تعني البحث من أجل التفسير عبر مقارنة معطيات لمجموعات اجتماعية متباينة.

ويتوقف التاريخ المقارن على شرطين:

الأول: وجود نوع من التماثل والمشابهة بين الظواهر التي يلاحظها المؤرخ.

والثاني: تحقق نوع من التباين والاختلاف بين المجتمعات التي أنتجتها. هذا المنهج يمكن أن يطبق حسب، مارك بلوخ، بطريقتين:

المقارنة بين مجتمعات متباعدة في الزمان والمكان، بحيث يتعذر تفسير التماثل بوحدة الأصل أو بالتأثير المتبادل.

المقارنة، عبر الدراسة المتوازية، بين مجتمعات متجاورة ومتزامنة، لتقصي ولو جزئياً الأصل المشترك.

ويتمخض هذا المنهج عادة عن نتائج في غاية الأهمية، ففضلاً عن الوظيفة الكشفية التي تسمح باكتشاف ظواهر لم تكن مكتشفة، ولا يمكن اكتشافها لو تمت

محاصرة الظاهرة المدروسة في وسط بعينه، فضلاً عن هذا يقدم المنهج قابلية المساعدة على تأويل وتفسير الظواهر التاريخية.

التاريخية Historisme

التاريخية، والتاريخانية، نظرية فلسفية وتاريخية، تأسست في القرن التاسع عشر، في ألمانيا باسم «Historismus». ويراد بها إعادة كل شيء إلى جذوره التاريخية، إلى بيئته التاريخية، وفهم الحدث ضمن سياقه التاريخي. إنها تعني تاريخية الإنسانية وتاريخية الثقافة والتقاليد، وبهذا فإن المؤسسات البشرية، مثل اللغة، والفن، والدين، والقانون، والدولة، جميعها نتاج تاريخي، وعرضة للتغيير الدائم.

من ناحية أخرى فهي فلسفة تؤمن بأن التاريخ يسير وفق قوانين تاريخية، أو تطورية، وأنها قادرة على الكشف عن هذه القوانين، قادرة على التنبؤ التاريخي.

فالتاريخية تهدف إلى تحديد العلّة النهائية للتاريخ، من خلال تجاوز الوقائع المتفرّدة اللانهائية، نحو الاهتمام بما هو عام وكلّي، بقصد استخلاص قوانين ومبادئ تفسر حركة التاريخ. وكان تأثيرها واسع النطاق في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث لم يكن هناك علم طبيعي أو إنساني أو فلسفي، إلا ويعكس، بطريقة أو بأخرى، النوع التاريخي للفكر. ويعرف يسبرز التاريخية بأنها: التضامن والوحدة بين الأنا التاريخي وبين الآنيّة.

ويسمي الشعور بهذه الوحدة باسم «الشعور التاريخي».

والتاريخية من ناحية أخرى، بحسب يسبرز أيضاً، هي الوحدة بين الضرورة وبين الحرية. فهناك مواقف نهائية مفروضة فرضاً، وهناك من جهة أخرى حرية تعمل في هذه المواقف، وعند نقطة التقاطع بين الضرورة التي فرضتها المواقف النهائية، وبين الحرية التي يعمل في ضمير كل موجود، تقوم التاريخية الحقيقية.

وفُسرت التاريخية أيضاً بأنها مصطلح يرمز الى رأيين مختلفين حول طبيعة الأبحاث التاريخية:

- يذهب أحدهما إلى أن المؤرخ يجب أن يفسر كل مرحلة تبعاً للقيم السائدة فيها، وأن الحكم عليها من منظور حديث يشوّه الظواهر التاريخية.

- أما الرأي الثاني فيقول بضرورة الحاجة إلى فهم التغير التاريخي على ضوء القوانين الشاملة للتطور التاريخي.

وتعرضت التاريخية لوجهات نظر ناقدة، لعل أشهرها أطروحة كارل بوبر، الذي ينفي وجود قوانين للتاريخ، وعليه يرى عدم إمكان التنبؤ في التاريخ. وجادل بأن القول بوجود قوانين وتعميمات للأحداث التاريخية يعني أنها خاضعة للتجريب، والتحقق التجريبي، لكنّها في حقيقتها عكس ذلك تماماً، فهي فردية واستثنائية، وغير متكرّرة، ولا تسمح بالتعميم، أو استنباط قوانين للتاريخ أسوة بالعلوم الطبيعية.

يميل أصحاب هذه الفكرة إلى استخدام اصطلاح «تاريخانية» بدلاً من «تاريخية»، لأن هذه الصياغة الجديدة «تاريخانية» تضفي بنحوٍ ما على التاريخية سمة الأدلجة، رغبة في التقليل من قيمتها العلمية.

وينسب بعضهم إلى بوبر حافزا أيديولوجيا دفعه إلى هذا الموقف، وهو رفضه العنيف للماركسية، التي تُفسّر التاريخ بنظرية الصراع الطبقي، وتتنبأ بسقوط الرأسمالية، وقيام الشيوعية. لكن بوبر من ناحيته رأى في طريقة الماركسية في قراءة المستقبل والتنبؤ به بهذا الوضوح، اعتقاداً مطابقاً لليوتيوبا السياسية، وهذا ما يمقته بوبر، ويعدّه أمراً خطيراً ومدمراً للإنسانية.

تاين، هيبوليت (1828-1893) Hippolyte Taine

فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي فرنسي، وواحد من أوائل ممارسي النقد التاريخي. أستاذ تاريخ الفن وعلم الجمال في مدرسة الفنون الجميلة بباريس، وأستاذ التاريخ والألمانية في المدرسة الخاصة العسكرية للقديس- سير، درّس أيضاً في جامعة أكسفورد، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية.

من رواد الوضعية الاجتماعية، ويُنسب إليه أنه صاغ الهيكل المعماري لتاريخ الجناح اليميني الفرنسي الحديث. من مؤلفاته: (تاريخ الأدب الإنجليزي) في خمسة مجلدات، (الفن في اليونان)، (الفن في هولندا)، (الوضعية الإنجليزية: دراسة عن جون ستيوارت ميل)، (العقل)، و(فلاسفة فرنسا الكلاسيكيون في القرن التاسع عشر).

عمله التاريخي الرئيسي: (أصول فرنسا المعاصرة) والذي عمل فيه حتى وفاته. صممه بهدف فهم فرنسا في عصره، وقد حقق العمل المكون من ستة مجلدات أصالة في استخدامه لمنظور طويل لتحليل أسباب الثورة الفرنسية على وجه الخصوص، رفض تاين اصطناع البنى السياسية للثورة (الروح المجردة والعقلانية المفرطة لروبسبير، والقراءة الماركسية، التي وصفت بالأرثوذكسية للثورة، على سبيل المثال)، والتي، في رأيه، تتناقض بعنف مع النمو الطبيعي والبطيء لمؤسسات الدولة.

التحضر Urbanization

هو استيطان المدن، والانتقال من البوادي والأرياف لتكوين مدن أكبر، وغالباً ما يصاحبه تراجع في مجالات الرعي والزراعة والمحصولات الريفية. ولم يتوقف التحضر على هجرة سكان المناطق الزراعية إلى المدن، بل يحصل كثيراً بإضفاء الصفة المدنية على المناطق الزراعية، عن طريق تحديث البنى التحتية واستحداث المباني والمعامل الصناعية الصغيرة والمتوسطة. وللتحضر أثر مباشر على البنية المجتمعية والمجتمعات الصناعية،

سواء في الريف أو في المدينة. وقد ظهر(علم الاجتماع الحضري) كمادة دراسية خاصة بهذه الظاهرة وانعكاساتها.

الترف Luxury

المبالغة بالتنعم بوسائل الرفاهية والعيش الرغيد. وهو حال تميل إليه النفوس عادة، ويتحول إلى ظاهرة واسعة الانتشار في المجتمعات المستقرة سياسياً، والمتطورة حضارياً، الغنية مادياً. وكل هذه مقاييس نسبية، فالاستقرار والتطور والثروة تقاس نسبة إلى زمانها ومكانها.

وحين يظهر الترف في سائر طبقات المجتمع، أو حين يغلب على أحوال القادة ومساعديهم، سيمثل المرحلة الأولى من مراحل الضعف التي تصيب الدولة، أو الحضارة. وبحسب دورة الحضارة عند ابن خلدون وشبنجلر، يأتي الترف في المرحلة قبل الأخيرة، المرحلة التي تسبق السقوط.

ترويلتش، إرنست(1865-1923) Ernest Troeltsh

لاهوتي ومؤرخ وفيلسوف ألماني، أستاذ جامعي في هيدلبرغ وبرلين، وسياسي ليبرالي، وعضو في مدرسة تاريخ الأديان. من مؤلفاته في اللاهوت: (الطابع المطلق للمسيحية)، عرض فيه نظريته في الدين.

وفي فلسفة التاريخ: (في المذهب التاريخي ومشكلاته)، رأى أن علاقة النسبي التاريخي بقيم الثقافة تشكل المشكلة العامة لفلسفة التاريخ، وذلك لأن التاريخ مصنوع من كليات فردية، من قبيل (الهيلينية) و(الجرمانية) المستقلتين بذاتهما بشكل تام، واللتين لا تفسران عن طريق الاقتصار على جمع عناصر سابقة، في حين أن المدلول التاريخي قوامه فهم وحدة الصيرورة التي تحرك الأحداث، وليس ربط هذه الأحداث بسلسلة سببية علية.

طور ترويلتش ثلاثة مبادئ متعلقة بالتأريخ النقدي، وكان كل مبدأ منها بمثابة رد فلسفي على الأحكام المسبقة المدعومة من قبل المؤرخ. هذه المبادئ هي: (النقد، والقياس، والارتباط).

يخلص ادّعاء ترويلتش في مبدأ النقد إلى أنه لا يمكن وجود أي مطلق في التاريخ. ويعتقد بوجوب تنوع الأحكام المرتبطة بالماضي، إذ لا يمكن، حسب رأيه، أن توجد حقيقة مطلقة للواقع التاريخي، بل ادّعى أن فحص الظروف التاريخية يجب أن يكون من خلال تحديد احتمالية حدوثه. وبذلك أكد على ضرورة عدم تشكيل ادعاءات محدودة وغير قابلة لإعادة النظر في القضايا التاريخية.

ويتعلق مبدأ القياس بمنع المؤرخ من تطبيق أحداث عصر ما، على أحداث وقعت في الماضي. فمن غير الممكن التحقق من الاحتمالية في مبدأ القياس إلا إذا كان الوضع الحالي للمؤرخ، عند تقييمه للاحتمال، لا يختلف بشكل جذري عن الماضي. ويعتقد أن الطبيعة البشرية ثابتة مع مرور الوقت. كما حاول ترويلتش تفسير حالة تراجع التدين في العصر الحديث، من خلال وضع توصيف للتطور التاريخي لدور الدين في المجتمعات، فقسم الحضارة الأوروبية إلى ثلاث فترات تاريخية، القديمة والوسطى والحديثة. وكان رأيه في الحدود الفاصلة بين العصور الوسطى والحديثة فهما مختلفاً، فبدلاً من الادعاء بأن العصور الحديثة بدأت مع صعود البروتستانتية، يعتقد ترويلتش أن البروتستانتية المبكرة ما هي إلا استمرار لفترة العصور الوسطى، أما العصور الوسطى، حسب رؤيته، فقد بدأت في القرن السابع عشر. وقد مهد عصر النهضة في إيطاليا والثورة العلمية في أوروبا الطريق أمام انطلاق العصور الحديثة، أما البروتستانتية فقد أخرت، حسب رؤية ترويلتش، من قدوم العصور الحديثة، ولم تعجل منه.

التعاقب الدوري/ نظرية Cyclical succession theory

نظرية التعاقب الدوري، أو «النظرية الآلية»، من أقدم النظريات في فلسفة التاريخ، وهي الأقدم بعد نظرية العناية الإلهية. قال بها إخوان الصفا (القرن الرابع من الهجرة- العاشر من الميلاد)، وقال بها ابن خلدون (1332-1404) على نحو دقيق ومفصل، فالحضارة تمر بمراحل محددة؛ ولادة، نمو، تطور وازدهار، تراجع وانحطاط، ثم النهاية بالانهيار، لتعود الدورة نفسها مع الحضارة الجديدة الناشئة.

وإليها ذهب بعض فلاسفة عصر التنوير، فأخذت شكلها الجديد عند فيكو (1668 - 1744) في أن لكل أُمة أدواراً تاريخية معينة تمر بها في طريق تطورها، حتى إذا انتهى عمر الدور الأخير، عاد الدور الأول للظهور، إما بظهور بطل يجدد دورة الحياة، وإما بغزو شعب آخر أرقى. لكن هذه الحركة الدورية، عند فيكو، لا تمضي وكأنها تدور في محلها، إنما لها حركة حلزونية، فهي في صعود وتقدم. فجمع فيكو بين «التعاقب الدوري» وبين «التقدم».

واتخذ النظام الدوري شكلاً آخر في تشبيه تاريخ الحضارة بالأدوار التي يمر بها الإنسان في حياته: (ولادة وطفولة، شباب، قوّة، ضعف وتدهور، انحطاط). وممن قال بهذا التمثيل: يوهان (يوحنا) جويرس (1776 - 1848). ويمثل هذا الترتيب القانون العام للنظرية الدورية، وهو في حقيقته يعبر عن ظاهرة شديدة الوضوح، أكثر من كونه كاشفاً عن معنى أو غاية للتاريخ.

يقول شارل فردريك كراوز (1781 - 1832): إن البشرية تمر بمراحل من التطور من المفيد جداً مقارنتها بحياة الإنسان: نجد في البداية المجتمع البدائي، الذي يقابل عصر البراءة، أو الطفولة عند الإنسان، يليه عصر الشباب والنمو، أما العصر الثالث فهو ذلك العصر الذي يسيطر فيه الإنسان على كل من الطبيعة والمجتمع، وبذلك تتحقق وحدة كل الشعوب في دولة عالمية عظيمة يسودها الرفاه.

مثل هذه الرؤية تتضمن أيضاً فكرة التقدم، غير أنها تعود، وفق التعاقب الدوري، لتمر بمرحلة الشيخوخة والانهيار، لتبدأ الدورة تأخذ فصولها من جديد.

أخذت هذه الأدوار بعد دارون، في القرن التاسع عشر، طابعاً نفسياً، عند والتر باجهوت (1821 - 1877). فدور المجتمع البدائي، الطفولة، هو دور تكوّن العادات.

ودور النمو وتكون الدول، هو دور الصراع بين العادات.

أما الدور الأخير، فهو دور البحث والنقاش، حيث أمكن التخلص من المعتقدات والشعائر الجامدة، وإخضاع كل ذلك لمنطق وأحكام المناقشة الحرة.

التقدم في التاريخ/ نظرية Progeess of History

نظرية «التقدم في التاريخ» تعني أن سيرورة التاريخ سيرورة غائية، فالتاريخ عبارة عن تقدم نحو هدف كمال وضعية الإنسان على الأرض.

أول ظهور لهذه النظرية كان مع البشارات الإنجيلية لاقتراب «العصر الألفي السعيد» بعودة المسيح الذي سيحكم العالم. ثم توافقت مع هذه البشائر الرؤية الدينية في الإسلام التي بشرت بظهور المسيح ثانية ليعهد إلى المهدي الموعود حكم العالم وإقامة العدل والقضاء على جميع أنواع الظلم، معتمدة رؤية تقول إن الإنسان في ذلك العهد سيبلغ درجة الكمال والعصمة، وأن المجتمعات البشرية بأسرها ستكون مجتمعات كاملة.

أما فلسفياً فظهرت هذه النظرية إثر تقدم العلوم الطبيعية، وشيوع المذهب التجربي، وتوسع الثورة الصناعية، لتكون تلك أدلة على أن المستقبل سيكون أفضل من الماضي والحاضر، فالحياة البشرية تسير نحو التقدم والازدهار في خطى تكاد تكون معلومة.

وكان من أبرز رواد هذه النظرية: جان بودان (1530 - 1596) الذي رأى أن للتاريخ

مساراً عاماً باتجاه التقدم، مع أنّه تقدم إجمالي تتخلله حقب من الانحطاط والتراجع. وكان بودان من القائلين بالنظرية البيئية أيضاً، مع الاحتفاظ بقدرة الإنسان على الفعل والتغيير في وجه القوى الخارجية.

تعززت هذه النظرية باكتشاف «قوانين حركة التاريخ» في عصر التنوير، على نحو أكثر وضوحاً وشيوعاً.

ففي عصر التنوير، القرن الثامن عشر، أصبحت نظرية التقدم في التاريخ هي السائدة والغالبة على فلسفة التاريخ، فالتاريخ عند فولتير (1694 - 1778) لا يسير وفقاً لمفهوم العناية الإلهية لدى اللاهوتيين، وإنما يسير بمقتضى العقل البشري، نحو الأفضل والأحسن. فالقرن الثامن عشر أكثر القرون استنارة وتقدماً، بفضل سيادة النزعة العقلية من جهة، والانجازات في مجال العلوم الطبيعية من جهة أخرى. ولكن هذا لا يعني أن حركة التاريخ سوف لا تتعرض لمفاجئات وانتكاسات، غير أن التفاؤل بصدد إمكان العقل في إحراز التقدم، هو الأصل.

وعند كوندورسيه (1743 - 1794) طوى التاريخ البشري مراحل متعددة، في تقدم وتكامل، وهو لن يتوقف، بل إن الإنسانية ستخطو قدماً نحو المساواة والتخلص من العبودية، ويحدو الإنسان الأمل في مستقبل قائم على احترام حقوق الفرد، وتقدم العلم، وبذلك تسير الإنسانية نحو سعادة فكرية وخلقية واجتماعية.

والقائلون بنظرية التعاقب الدوري، قد ألّفوا غالباً بينها وبين نظرية التقدم، فالحركة الدورية للحضارة عند فيكو (1668 - 1774) هي في مسار حلزوني، أي أن الحضارات كافة تمر بمراحل نشأة ونمو وازدهار وانحطاط، غير أنها لا تسير على خط دائري لتعيد نفسها، بل تسير على خط حلزوني في تقدم مستمر.

وهكذا لاحظ يوهان (يوحنا) جويرس (1776 - 1848) أن المراحل التي طواها الإنسان في تاريخه، والمطابقة للمراحل التي يمر بها الفرد في حياته، إنما تمثل مراحل التقدم نحو النضوج.

ووفق بعضهم بين القول بالتقدم وبين القول بالعناية الإلهية، فوضع هردر قوانين للتقدم مبنية على العمل المشترك للطبيعة و«العناية الإلهية».

لقد طبعت نظرية التقدم بطابعها الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر أيضاً، وتأكدت عند هيجل وماركس. وقد ساعد على ذلك، التقدم المطرد في علوم الطبيعة، ثم شيوع نظرية دارون في تطور الأنواع، والانتخاب الطبيعي.

وبحسب المذاهب الفلسفية تعددت أسباب التقدم إلى ثلاثة أسباب، فهو بفعل الحتمية التاريخية، أو بفعل العناية الإلهية، أو بفعل الغائية. كما يتخذ أنماطا ثلاثة أيضاً، فهو تقدم على شكل خط مستقيم عند بعضهم. وعلى شكل الخط المنحني الصاعد عند آخرين، وعلى شكل حلزوني عند فريق ثالث. وأياً كان سبب التقدم وشكله، فهو في جوهرة انتقال تدريجي في نظام متصل من الأدنى إلى الأعلى.

لكن بعد الحرب العالمية الأولى برزت الفكرة المضادة التي تشكك بفكرة التقدم والسير نحو الكمال البشري، ثم تعززت هذه الرؤية الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية، لتعود إلى الظهور تلك الرؤية الكلاسيكية التي ترى أن الزمان يفسد البراءة والفضيلة والحكمة الطاهرة التي ميزت المجتمعات القديمة الأولى، هذه الرؤية التي تتميز بالحنين دوماً إلى الماضي السعيد.

التقليدية Traditionalism

اتجاه في فلسفة التاريخ، ذهب إليه جماعة الفلاسفة الفرنسيين خاصة، الذين اعتنقوا مبادئ الثورة الفرنسية. أبرزهم: دي ميسنر (1753-1840)، دي بونالد (1754 - 1840)، ودي لاميه (1782-1854).

يقول هؤلاء بتأييد سلطة البابا المطلقة، ويعارضون الفردية في الأخلاق والمعرفة. ويرون أن العقل الوحيد الذي يمكن الركون إليه هو العقل الجماعي، الذي يتمثل في التقاليد والمؤسسة الدينية. وأن الإنسان جزء من الكل الذي هو المجتمع.

تمرد الجماهير Rebellion of the masses

اصطلاح وضعه الفيلسوف الوجودي الاسباني خوسيه أورتيجا أي جاسيت (1883 - 1995)، يستهدف به الظاهرة الجديدة في كثافة المجتمعات الحديثة. وهي ظاهرة التجمهر والزحام في كل المجتمعات، وفي كل مكان، في المدن والقرى، في الشوارع والبنايات والفنادق والقطارات والميادين والمدارس والمقاهي والملاهي والحدائق والشواطئ، كثرة وزحام في كل مكان، حتى أصبحت هذه الكثرة هي المقياس والميزان لكل القيم. فصارت قيمة المسرحية تقاس بمقدار الزحام عليها، وقيمة الكتاب بأعداد الناس الذين اقتنوه، أو أعداد نسخه التي تم توزيعها، وقيمة الحزب بأعداد جماهيره في الانتخابات، وقيمة السلعة بتكالب الناس عليها، والصحيفة الأكثر قراءة هي الأفضل. وهكذا، فالأكثف هو الأعلى في سلم القيم.

هذا العصر أذن هو «عصر الجماهير»، و«زمن الغوغائية». وفيه يهبط الذوق، وتتسطح الأفكار، ويطلب الإنسان فيه القوة المادية، ويدخل في الحروب، ويخترع الأسلحة الأكثر تدميراً للمدن والمجتمعات.

والسياسة التي تقوم على التجمهر، هي سياسة العولمة وإلغاء الحدود، وتجاوز المكان والزمان. هذا النماء هو علامة قوة مادية، وليست قوة روحية. والجمهرة دليل خصوبة بيولوجية. والجماهير تخترع مصيرها، ولم تعد تستهويها المعايير والمبادئ القديمة.

والقدوة التي تمثلها الجماهير هي التي توجه الأحداث، وأحكام الجمهور هي التي يراعيها السياسيون. ورجل الشارع هو ممثل الجماهير. والحياة الواعدة الجديدة هي حياة الاستعلاء والانتصار للشعوب، ولرجل الشارع، والسلوك السائد هو سلوكه، وهو مندفع في طريقه، لا يراعي سلطة ولا دين، ولا يسمع لأحد سوى نفسه وحاجته ومصلحته، ولا يتشكك في أفكاره، ويعمل وكأنه وحده الموجود، تستغرقه ذاته.

والنتيجة أن البشرية تسير إلى البربرية، وتتجه إلى اللاحضارة، والفوضوية، فلا مبادئ، ولا قوانين، ولا قيم، وإنما قوة غاشمة فقط لا غير.

توفلر، آلفين (1928-2016) Alvin Toffler

عالم ومفكر أمريكي، اشتغل أولاً في مجال الثورة الرقمية وثورة الاتصالات وعلوم التكنلوجيا، وتأثيرها على الناس، ثم تحول إلى دراسة التغيرات في المجتمع، ثم كرس دراساته في علوم المستقبليات، حتى عرف بـ «أشهر عالم دراسات مستقبل في العالم».

وقد شاركته زوجته (هايدي توفلر)، وهي عالمة دراسات مستقبلية أيضاً، معظم مؤلفاته التي ظهرت باسمه.

من مؤلفاته: (الثورة واقتصاد المعرفة)، (تحول السلطة)، (الحرب ضد الحرب)، (صدمة المستقبل)، (إعادة تفكير في المستقبل)، و(حضارة الموجة الثالثة) وهو أشهرها وأهمها. في كتابه (حضارة الموجة الثالثة)، يقسم مراحل تطور المجتمع البشري ككل وفق مفهوم «الموجات». والموجة مرحلة تطور وتغير شامل تحدث بعد «ثورة» معرفية تقنية،

تمكنت من إحداث هذا التغيير. وكل موجة تزيح طبيعة المجتمعات وطبيعة الثقافات السابقة عليها جانبا.

مثّل «الموجة الأولى» مجتمع ما بعد «الثورة الزراعية» الذي أزاح وتجاوز ثقافة مجتمع الصيد. ثم «الموجة الثانية» المتمثلة بمجتمع «الثورة الصناعية»، بدءا بأواخر القرن السابع عشر، وحتى أواسط القرن العشرين. وهو مجتمع صناعي، قائم على أسس من: الإنتاج الضخم، والتوزيع الواسع المجال، والاستهلاك الكبير، والتعليم الالزامي، ووسائل الإعلام ذات الجمهور العريض، وانتشار وسائل التسلية والترفيه، حتى نصل إلى انتشار أسلحة الدمار الشامل.

يقول توفلر: تبزغ في حياتنا حضارة جديدة، يحاول البعض إجهاضها. إنها تجلب معها أساليب أسرية جديدة، ووعياً متغيراً. وظهرت إلى الوجود أجزاء من هذه الحضارة، وبدأ ملايين من الناس مناغمة حياتهم مع إيقاع المستقبل. ويحاول آخرون ترميم العالم المحتضر الذي يمنحهم الحياة في هروب يائس غير ذي جدوى. إن فجر هذه الحضارة الجديدة هو الحقيقة الوحيدة الأكثر ثورانا في حياتنا، وهي الحدث الرئيسي الذي سنفهم من خلاله السنوات القادمة مباشرة. وهي حديثة وعميقة عمق موجة التحول الأولى التي أطلقت عنانها قبل عشرة آلاف سنة باكتشاف الزراعة، أو زلزال موجة التحول الثانية الذي سببته الثورة الصناعية، ونحن أطفال التحول التالي، الموجة الثالثة. فمن المرجح أن تقوم «الموجة الثالثة» وتصبح واقعاً مقرراً، خلال عدة عشرات من السنين، وعلى ذلك فإن الذين سيكونون على هذا الكوكب في مثل هذه اللحظة الحرجة، سيعيشون ويشهدون صدمة الحضارة الثالثة. وفيها سوف تتجدد الحياة، وتستند إلى موارد متنوعة من الطاقة قابلة للتجدد، وطرق إنتاج تستبدل بأكثر سلاسل التصنيع المعهودة في المصانع الحالية نموذجاً جديداً للصناعة، وصورة من الحياة العائلية تتميز بعلاقات أكثر رخاوة (أو حرية)، وبمؤسسة لم يرها أحد من قبل يمكن أن نسميها باسم «البيت الإلكتروني» وصورة من

التربية طريفة جذرياً. إن الحضارة الجديدة الناشئة عن «الموجة الثالثة» تقدم صيغة جديدة للسلوك.

وفي كتابه (صدمة المستقبل) كان توفلر قد تنبأ بالتغيرات الجذرية التى ستطرأ على شكل الحياة البشرية، والاتجاهات المستقبلية، بفعل الثورة المعرفية والتكنولوجية باعتبارها تغييراً جذرياً سيؤدي إلى نسق حياتي مغاير لما عرفته الإنسانية عبر تاريخها الطويل.

كما تنبأ بنهاية الاشتراكية، وزوال الاتحاد السوفياتي، قبل سقوطه بعقد من الزمان، وبحسب رؤيته لم يكن هذا أمراً من قبيل المصادفة، إذ دخلت الاشتراكية في مرحلة الاصطدام بالمستقبل، ولم تسقط الأنظمة الاشتراكية بفعل المؤامرات التي حاكتها الاستخبارات المركزية الأميركية، أو بسبب محاصرة رأسمالية، ولا بسبب اختناق اقتصادي أعد من الخارج. بل ذلك سيحدث بفعل صدمة المستقبل.

كما ذهب إلى أنه بعد نحو ربع قرن من انهيار الاتحاد السوفيتي فإنه على العالم أن ينتظر انهيار الولايات المتحدة الأميركية نفسها وتفككها إلى دويلات مستقلة. يقول توفلر إن قائمة المشكلات التي تجابه مجتمعنا الأمريكي لا نهاية لها، ونحن نعاني من التفسخ الأخلاقي لحضارة صناعية شبه ميتة، نرى فيها مؤسسات تنهار واحدة بعد أخرى بسبب الطبقية والفساد المتشابكين تشابكاً عنيفاً، وهكذا فإن الجو العام يميل إلى الجفاف والمطالبة بتغيرات سياسية.

يسوق في إطار نظرياته المستقبلية احتمالات عدة لسيناريوهات تفكك وانهيار الولايات المتحدة الأميركية، وفي مقدمتها الصراع العرقي، وثورة الأميركيين الأفارقة على نحو خاص، وازدواجية الحياة السياسية الأميركية، تلك التي تحمل شعارات من أجل دمقرطة العالم، في حين يرى أن الديمقراطية الأميركية الحالية منقوصة، فيما الإنسان

يبقى تحدياً حقيقياً، ذلك أن الرأسمالية المتوحشة، والسوق الحرة، واتفاقيات التجارة الدولية والمؤسسات المالية والاقتصادية الكبرى، جميعها جعلت من الإنسان «سلعة» تباع وتشترى، ولذا يصح أن يقال إننا نحيا في زمن «تسليع الإنسان».

توماس كارليل (1795-1881) Thomas Carlyle

مؤرخ وأديب اسكتلندي، تأثر بالفلسفة المثالية الألمانية، وكتب عن فيختة وعن غوته، وكتب عن تاريخ الثورة الفرنسية. وهو القائل بنظرية البطل، أو التفسير البطولي للتاريخ، في كتابه (في الأبطال وعبادة البطل).

وخلاصة أفكاره: أن كل ما تمّ إنجازه في العالم إنما هو الحصيلة المادية الخارجية، والتحقيق العملي، والتجسيد الحي، لأفكار عاشت في عقول عظماء عاشوا في هذا العالم، إنهم روح التاريخ العالمي كله.

ويُرجع عناصر البطولة في الرجل العظيم إلى ثلاثة أسباب:

1. الايمان بأن البطل قد اختاره الله.

2. الايمان بالجبرية التي يعبّر عنها البطل برسالته، إذ كان كروميل يرى نفسه أداةً في يد العناية الإلهية، وكان لينين يرى نفسه أداة تسيّرها المادية الجدلية.

3. أن يتحلى البطل بالشجاعة.

وللبطولة ستة مظاهر: البطل كإله، البطل كنبي (مثاله محمد)، البطل كشاعر (دانتي وشكسبير)، البطل كقسيس (لوثر ونوكس)، البطل ككاتب (جونسون وروسو)، والبطل كملك (كروميل ونابليون). ومع أنه لم يقصر البطولة على السياسة والحرب، إلاّ أنه يعد البطولة السياسية والعسكرية أسمى البطولات، وأن أبطالها هم خلاصة سائر صور البطولات.

توينبي، آرنولد (1889-1975) Arnold Toynbee

المؤرخ والفيلسوف الانجليزي، من أشهر مؤرخي العالم عبر التاريخ. من أعماله: (الإنسان وأمنا الأرض) بحث فيه تاريخ العالم على نحو مسلسل. و(دراسة للتاريخ) في 12 مجلداً، تضمن واحدة من أهم النظريات في فلسفة التاريخ. تستند فكرته على مبدأ «التحدي والاستجابة».

والحضارة، عند توينبي، ليست من نتاج «العرق» أو «الرس» الجنس البشري المميز بخصال ممتازة، ولا هي من صنع البيئة وحدها، ولا هي نتاج التناقض الطبقي وعوامل الاقتصاد وحده. وإنما هذه كلها عوامل تدخل في تكوين الحضارة، وتندرج تحت عنوان «التحدي» الذي يأخذ شكلين: تحدي الطبيعة، والتحدي البشري. هذه التحديات هي بمثابة الحوافز التي تحرك الشعوب لتنتج عند ذلك حضارة.

وقد ظهرت في تاريخ الحضارات خمسة أنواع من الحوافز، كانت وراء نشأتها ونموها، وهي:

1. حافز الأقاليم الصعبة.
2. حافز الأرض الجديدة.
3. حافز الضربات، وهو التحدي البشري الناجم عن تعرض المجتمع لهجمات البلدان المجاورة.
4. حافز الضغط، وهو التحدي البشري الناجم عن ضغط خارجي مستمر.
5. حافز عقوبة الحرمان، وهو تحد ناشئ من تعرض جماعة أو فصيل في مجتمع للحرمان من حقول ومجالات معينة من العمل، إما لسبب ذاتي، أو خارجي، أو نتيجة

صدفة، فيوجهون عندئذ مواهبهم إلى حقول أُخرى يبرزون بها على الآخرين.

وإن وراء كل حضارة ديانة عالمية، فالحضارات «المجتمعات الحية» الخمس في عالمنا المعاصر، يصنفها توينبي على الأساس الديني، فهي:

1. مجتمع مسيحي غربي: في أوروبا الغربية والشمالية.
2. مجتمع مسيحي اورثوذكسي: في أوروبا الجنوبية الشرقية، وفي روسيا.
3. مجتمع إسلامي: مركزه المنطقة المجدبة الممتدة امتداداً قطرياً عبر أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط، من الأطلسي إلى الوجه الخارجي من سور الصين العظيم.
4. مجتمع هندي (هندوسي): في قارة الهند الحارّة.
5. مجتمع الشرق الأقصى: في المناطق دون الحارة والمناطق المعتدلة بين الإقليم المجدب والمحيط الهادئ.

وهناك ثلاثة مميزات للانتقال من المجتمع القديم إلى المجتمع الجديد:

الأول «دولة عامة» أو عالمية، تظهر بصفتها آخر الأطوار في عمر المجتمع القديم.

والثاني «دين» ينشأ ويتدرّج في المجتمع القديم، وينتج بدوره المجتمع الجديد.

والثالث ظهور «عهد البطولة» البربري.

ويرى أن أهم هذه العوامل هو الثاني، «الدين»، وأقلها شأناً العامل الثالث.

وخلاصة هذه النظرية «نظرية التحدي والاستجابة»: إن قوام الانقلاب من مجتمعات بدائية إلى حضارات هو في الانتقال من حالة الركود، إلى حالة الحركة والنشاط.

وهذا لا يأتي إلاّ من حافز أو دافع من الخارج، ممثلاً بجملة قضايا ومشاكل متتابعة تعترضه في سير حياته، يواجهها بالحلول المناسبة، والمتتابعة هي أيضاً، هذه الحوافز أو المشاكل تمثل «التحدي»، وحلول المجتمع لها هو «الاستجابة»، والتفاعل المستمر بين التحدي والاستجابة، هو الذي يمثل حركة المجتمع نحو الأمام، لتتشكل الحضارة. وهذا التحدي المحفز هو الشرط والعلّة التامة في نشوء الحضارة، فالحضارات تولد في بيئات صعبة صعوبة خلاف المألوف، وليست سهلة فوق المألوف، فليس هناك حافز ما لم يظهر التحدي، وكلما كان التحدي أكبر كان الحافز أكبر، ولكن هذا القانون لا يمضي إلى النهاية، فقد نصل إلى مرحلة تبلغ فيها شدة التحدي درجة بحيث تزول فيها إمكانية الاستجابة الناجحة، إذن فالقانون الصحيح، هو أن أعظم تحدّ محفّز هو ما كان وسطاً في المقدار بين الافراط في الشدة، والنقصان فيها، إذ يجوز أن يخفق التحدي الناقص في تحفيز الجماعة المتحداة، في حين أن التحدي المفرط في شدته قد يحطم عزمها وروحها.

وقسم توينبي الحضارات إلى: «حضارات أصلية» و«حضارات فرعية».

فالحضارات الأصلية هي التي تنشأ دائماً عن التحدي الطبيعي. أما الحضارات الفرعية فنشأت عن التحدي البشري، الذي كان ناشئاً من علاقتها بالمجتمع الذي تنتسب إليه بصلة «البنوّة» أي للحضارة السابقة عليها، مع احتمال وجود شيء من التحدي الطبيعي، يعمل على تنبيهها كذلك.

وتفسير ذلك: أن تبايناً وتنوعاً يحدث في هذه العلاقة متى ما بدأت الحضارة السابقة (الأُم) تفقد قوة الابداع التي مكّنتها إبان عهد نموها من أن تجتذب إليها ولاءً عن اختيار في قلوب الناس الذين هم في داخلها أو في خارج حدودها. ومتى ما حدث ذلك فإن الحضارة العليلة تنقسم إلى أقلية مسيطرة تحكم باستبداد يزداد باطراد، لكنها رغم ذلك تفقد زمام القيادة، وإلى بروليتاريا تستجيب لهذا التحدي والاستثارة بأن تصبح واعية

شاعرة بأن لها كياناً خاصاً بها، فتعمد على تخليص نفسها. وعزيمة الانفصال هذه تستثير بدورها الأقلية المسيطرة في فرض الخضوع على البروليتارية، فيستمر الصراع بين هاتين الإرادتين، بينما تقترب الحضارة المتداعية من نهايتها حتى تدخل في «أزمة احتضار الموت» فتنفصل عندئذ البروليتارية وتحرر نفسها مما كان في السابق وطنها الروحي ولكنه أصبح لها سجناً ثم وطن هلاك. وبهذا الانفصال الديناميكي تولد الحضارة الفرعية. ويمكن تشبيه هذه الحالة بالحالة التي يتجدد بها الخلق بنقل الحياة من «ركود الخريف» من خلال «مصائب الشتاء» إلى «نمو الربيع».ثم ان هذه الحضارة الناشئة حين تؤسس موطنها خارج موطن الحضارة السابقة، كلياً أو جزئياً، فإنها تواجه هذه المرّة تحدّي بيئة الطبيعة الجديدة.

وإن الذي يقود عملية النمو في المجتمع إنما هم الأفراد المبدعون، فهؤلاء تميّزهم صفة خاصة يسميها توينبي «الشخصية»، قادرة على استئناف عملية الخلق والابداع، وذلك من خلال ما تخلقه من تناقض بين مؤهلاتها وطموحاتها وبين واقع المجتمع الذي توجد فيه.أما الأمر الذي يحقق الشخصية الكامنة في الفرد المبدع، فهو «الاعتزال» لوقت مناسب، ثم «الظهور» بعد الاعتزال.

أما توقف الحضارة عن النمو، فيلخصه توينبي في ظواهر ثلاث: انعدام ملكة الابداع عند الأقلية المسيطرة، وانعدام مقابل للمحاكاة من جانب الأكثرية إذ افتقدت الأقلية مؤهلاتها، ثم فقدان الوحدة الاجتماعية بظهور النزعة الانفصالية عند البروليتارية (الأكثرية). وهذا ما يسميه توينبي بـ «زمن الشدائد» وهو زمن فقدان القدرة على تقرير المصير، الذي هو المعيار الصحيح للتوقف عن النمو. وسيعقب «زمن الشدائد» هذا، دور «الدولة العالمية» حيث تحاول الأقلية المسيطرة استعادت هيبتها وسلطانها، ثم يعقبها ما أسماه بـ «فترة الحكم» وهي الفترة التي تفصل بين انحلال الحضارة، وولادة مجتمعات جديدة.

وعادة ما يكون انهيار الحضارة على شكل إيقاع:

«هزيمة - تجمّع، هزيمة - تجمّع، هزيمة»، أو: «فرّ - كر، فر- كر، فر».

وبالعودة إلى التقسيمات السابقة فإن «زمن الشدائد» هو الهزيمة الأولى، و«تكون الدولة العالمية» تجمّع، ثم «فترة الحكم» التي تعقب انهيار الدولة العالمية، هي الهزيمة النهائية. وقد يكون في تاريخ أي دولة عالمية أكثر من انتكاسة واحدة وانتعاش واحد، لكنه يتخذ الايقاع نفسه.

تيرجو، آن روبير جاك (1727-1781) Turgot Anne Robert Jacques

فيلسوف وسياسي واقتصادي فرنسي كبير، أستاذ الاقتصاد في السوربون، وأصبح نائباً في البرلمان الفرنسي، ثم مستشاراً في البرلمان الفرنسي، ثم عضواً في الغرفة الملكية التي قامت خلال فترة نفي البرلمان، وأصبح أيضاً وزيراً للبحرية.

كان تيرجو وراء تغيير السياسة الاقتصادية في فرنسا في القرن الثامن عشر، وكان له تأثير كبير على آدم سميث صاحب الكتاب الشهير (ثروة الأمم). ويعد تيرجو من أوائل المناصرين للحرية الاقتصادية. زار فولتير الذي أصبح من أبرز أصدقائه وداعميه.

من مؤلفاته: (تأملات في تشكيل وتوزيع الثروة)، (رسالة عن التسامح المدني)، وكُتيب (الموفق) في التسامح الديني. في فلسفة التاريخ له كتاب: (حديث حول التقدم التاريخي للعقل البشري). أو (مراجعة فلسفية للتطورات المتوالية للعقل البشري). صدر سنة 1750 وفيه قدم أول تصريح بفكرة التقدم في التاريخ.

والتقدم في نظر تيرجو لا يكون إلا شاملاً لكل مفاصل العلوم والمعارف وجوانب الحياة بأسرها، فهو لا يقتصر على تطور الفنون والعلوم فحسب، بل يمتد ليشمل أسسها

أيضاً، ويشمل كل الحضارة من السلوك الحسن والتقاليد والمؤسسات والمدونات القانونية والاقتصاد والمجتمع.

قسم مراحل تقدم العقل البشري إلى ثلاث مراحل: اللاهوتية، والميتافيزيقية، ثم العلمية. وهو سابق لأوجست كونت (1798-1857) في هذا التقسيم.

تيرنر، شارون (1768-1847) Sharon Tiernar

مؤرخ إنجليزي، كتب تاريخاً مطولاً تحت عنوان (تاريخ الانجلو ساكسون)، صدر بين سنتي 1799 و1805، مركزاً اهتمامه بتاريخ بريطانيا المبكر.

وكان ممن يتبنى نظرية العناية الإلهية، ونظرية التقدم أيضاً، لكنه التقدم الذي تديره وتوجهه الإرادة الإلهية. الرب هو صانع التاريخ، وهو الذي يدير أحداثه، وأننا في دراسة التقدم البشري نجد يد الله هي الموجهة والصانعة والراعية له.

حرف الجيم

ج. دي. بيوس (1909-1991) J. G. De Beus

مفكر هولندي معاصر، له في فلسفة التاريخ كتاب: (مستقبل الحضارة)، الصادر في سنة 1953. لا يؤمن بيوس بالفناء الأبدي للحضارة بعد انهيارها، كما يذهب الآخرون، بل يرى أنه في استطاعة كل حضارة أن ترتفع إلى ذُرا أعظم، ولو في طورها الأخير المزعوم، الذي لم تدخله بعد. لقد عادت مصر من جديد بعد خمسة عشر قرناً، وعادت آشور بعد ستة قرون، وعادت بابل بعد خمسة عشر قرناً. لقد قامت في كل منها إمبراطورية جديدة أكثر مجداً وروعة من الأولى. كل هذا يدعو للإيمان بأن أوروبا وأمريكا تملكان القوة الخلاقة للتغلب على أزمة الحضارة الغربية الحالية، وتوجيهها إلى ذُرا جديدة.

وبعد دراسة نقدية في نظريات كبرى في فلسفة التاريخ، يذهب إلى استشراف المستقبل، بناء على القوى الخلاقة التي تمتلكها أوروبا، وتلك التي تمتلكها أمريكا، حيث يتمثل العالم الغربي الديمقراطي، وبعد احتمالات ثلاثة، يتطلع إلى السلام العالمي، إن لم يتحقق العالم الواحد. وكل هذا بالإمكان أن يتحقق بقدر من المصالحة بين الديمقراطية الغربية، وبين الاشتراكية الروسية، كما نجحت تجارب هذا التزاوج في عدة بلدان أوروبية، تشاركت فيها الأحزاب الاشتراكية اليسارية والأحزاب المسيحية في الحكم مع الأحزاب الديمقراطية، دون ان يؤدي هذا إلى تشويه أي من هذه الاتجاهات.

وفي الوقت نفسه لا يستبعد أن السلام العالمي أو العالم الواحد قد لا يتحقق إلا إثر حرب كونية مدمرة. لكنه يستبعد شبح الحرب بناء على إدراك الجميع خطورتها الفائقة التي تهدد مجتمعات بأسرها بالفناء أو الاضمحلال.

جاسيت = خوسيه أورتيجا

جان بودان (1530 - 1596) Jean Bodin

هو أقدم فلاسفة أوروبا الحديثة الذين مُنحوا لقب «مؤسس فلسفة التاريخ»، أو «الأب لفلسفة التاريخ». فيلسوف وسياسي وقانوني ومؤرخ فرنسي، من فلاسفة عصر النهضة، عاش في عصر الحروب الدينية في أوروبا، وانتمى إلى جماعة السياسيين الكاثوليك التي عارضت الحرب ضد البروتستانت. دافع عن النظام الملكي، وعاش مقرباً من ملوك فرنسا في عهده، وهو صاحب نظرية السيادة، وبها اشتهر. وهو واحد من المفكرين السياسيين الذين تمردوا على تلك الحروب الدينية، ورأوا في السلطة الملكية عماد السلم والنظام، ولذلك سعوا إلى أن يرفعوا الملك، باعتباره مركزاً للوحدة الوطنية، فوق جميع المذاهب الدينية والأحزاب السياسية.

من مؤلفاته: (مسرح الطبيعة)، (منهج التاريخ السهل)، (نظرية المناخات)، و(ستة كتب في الجمهورية)، ويعد (مبدأ السيادة) أهم نتاجاته الفكرية.

يعرف بودان السيادة بأنها السلطة العليا التي يخضع لها جميع المواطنين، ولا تتقيد بالقوانين، وأنها ضرورة لازمة للمحافظة على النظام السياسي، ووظيفتها الأساسية وضع القوانين.

وعلى عكس مكيافيلّي فإن الأساس في فن السياسة، ليس الوصول إلى السلطة بكل الوسائل الممكنة، بل الوصول إلى الحق، أي إلى تطابق ممارسات الحكم مع كل قوانين الكون والإنسان الكبرى. ما يعني أن بودان يرى روح الدول في تلك القوى التي أهملها مكيافيلّي تماماً: الدين، الأخلاق، العدالة، والغريزة العائلية.

ويعرف بودان الدولة بأنها: حكومة شرعية من أسر عدة، ومن ممتلكاتها المشتركة، ولها سلطة غالبة. وقد اقتبس بودان فكرة السلطة والسيطرة للدولة من واقع سيطرة

الأب على الأسرة من الكتاب المقدس والقانون الروماني، ناظراً إلى أن حق الملكية متأصل في قانون الطبيعة.

فالعائلة ومفهومها يلعبان دوراً أساسياً لدى بودان، ذلك أن العائلة المسيّرة تسييراً حسناً، هي الصورة الحقيقية للجمهورية. كما أن القوة داخل البيت تشبه قوة الملك داخل الأمة. ذلك أن العائلة هي التي تصور أفضل تصوير، بتماسكها ووظائفها، الصورة التي يريدها بودان للجمهورية. ولا نعني هنا بالطبع الحكم الجمهوري بالمعنى الحديث للكلمة، بل حكم الجمهور من قبل ذلك المستبد العادل.

ولا يرى بودان الملك مسؤولاً قانوناً أمام رعيته، وإن كان مسؤولاً أمام اللّه وخاضعاً لقانون الطبيعة. فالحاكم مقيد بقانون الرب وقانون الطبيعة، وأما القانون الذي يحكم الدولة فهو مجرد عمل ناشئ عن إرادة الحاكم.

ومع أنه لم يبتعد عن نظرة القرون الأوروبية الوسطى للسياسة، فالسلطة عنده هي التي تصنع القانون، وإرادة المَلك هي القانون الأسمى. إلاّ أن له في فلسفة التاريخ رؤى جديدة استحقّ بها السبق على من تلاه.

فقد ذهب إلى الفصل بين ما هو إلهي وما هو طبيعي في الكون، مع محاولة التوفيق بينهما، فالتاريخ يشمل الطبيعة والله معاً. والإنسان بتركيبه المزدوج من جسد وفكر، أو روح، يمتلك بعض المميزات التي تنظم العالم المادي والعالم الإلهي.

إن الإلهي يجب أن يُعد غير قابل للتغيير، وكذلك فإن العالم المادي يشكل نظاماً راسخاً، لذا فإن المعالجة الكاملة للتاريخ، التي تُدخل في الاعتبار طبيعة الإنسان المزدوجة، يتوجب عليها أن تتضمّن علوم الطبيعة كما تتضمن الدين على حد سواء. إن التاريخ ينشأ من ابتداع إلهي، وتكون له نهايته على الصعيد الأرضي.

وبودان هو أول من قال بالنظرية البيئية في التاريخ، في أوروبا، فآمن بتأثير البيئة على النشاط الإنساني، وبالتالي على التاريخ كلّه، فالسلالة والمناخ عاملان مؤثران في التاريخ عند بودان، لاعتقاده بأن أخلاق الناس وسلوكهم تتباين بتباين سلالاتهم، وباختلاف بيئاتهم الجغرافية. فهو يرى أن الشعوب الشمالية كبيرة وقوية جسمانياً ولكنها بطيئة الحركة والتفكير، بخلاف الشعوب الجنوبية التي تكون نحيفة البنية خفيفة الحركة، وتتفوق في النباهة والمهارة.

لكن ذلك التأثير ليس بالتأثير الذي تنعدم معه قدرة الإنسان على الفعل، فالتاريخ الإنساني ليس محدداً تحديداً تاماً بالظروف المادية والعادات الاجتماعية، ولكنه في بعضه يستند إلى حرية الفرد في الاختيار، ويستطيع الإنسان الصمود في حدود هائلة في وجه القوى الخارجية، ويستطيع أن يحولها لصالحه.

وأهم من ذلك كله فهو أول من قال بوجود «قانون شامل» في التاريخ، فلاحظ أن تطور القانون المدني يكشف وجهاً من النظام في التاريخ، لذلك يوجد «قانون شامل» للتاريخ وراء القوانين الخاصة لدى مختلف الشعوب، ودراسة وقائع التاريخ تتيح التحقق من وجود هذا القانون الشامل.

ويرى بودان أن للتاريخ مسيرة عامة باتجاه التقدم، مع أنه تقدم إجمالي تتخلله حقب من الانحطاط والتراجع. فهو أيضا أول القائلين بنظرية التقدم في التاريخ.

ويقوم المنهج البوداني على حالة الموافقة بين اتجاه العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية، بل أن حالة الربط كانت تتبدى من خلال إبراز العلاقات الأفقية من خلال الاستفادة من حالة الربط بين الطبيعي والإنساني، والعلاقات العمودية المستندة إلى الحفر التاريخي العميق، مستفيداً من مجمل التراث السياسي بدءاً من أرسطو، وصولا إلى حالة التجلي والتفاعل مع التوجهات الموسوعية التي طبعت جهود المفكرين في تلك المرحلة.

وهكذا تكون محاولة بودان وقد تركزت في مجال الربط بين القانون والسياسة ذلك الربط الذي أتاح له الوصول إلى منجز بحثي، قوامه التوافق بين الممارسة والفكر في سبيل تحليل إشكالية السيادة، تلك التي ارتبطت بالجهد المعرفي لبودان وبامتياز لا يقبل اللبس.

والواقع أن الجهد الفكري والمعالجة المعرفية، كانت قد اتخذت المزيد من العمق، لاسيما في ما يتعلق بمسألة طبائع الشعوب، وهو المبحث الساعي إلى تفسير العلاقة القائمة بين تأثير الطبيعة على الإنسان، ومحاولة تفسير الخصائص الطبيعية للمجتمعات، وتوافق الأنظمة والمؤسسات الحاكمة لها، ومدى انسجامها معها.

في الدولة البودانية، تستند السيادة إلى ثنائية «الدائم والمطلق»، الدائم بمعنى السيادة المباشرة الناقضة لأي نيابة أو توكيل. والمطلق باعتبار حالة الانسجام بين المقدس والطبيعي، وبين طرفي العلاقة هذه، تكون واجبات الأمير الحاكم وقد تمثلت في:

1. الإشراف المباشر على سن القوانين التي تضمن الحقوق والواجبات للرعية.

2. القدرة على تغيير القوانيين وفق متطلبات المصلحة والتطورات التي يفرضها الواقع.

3. توكيد إرادة الأمير الحاكم، تلك التي يتم ربطها بإرادة الله ومشيئته.

جان بودان كان همه، أصلاً، أن يستعيد للسلطة قوتها ومكانتها وسط مناخ من التسامح الديني، وذلك في زمن كان أبعد ما يكون عن ذلك التسامح. فهو عاش في منتصف القرن السادس عشر وسط عالم ممزق بالصراعات الدينية، تفقد فيه السلطة السياسية، مهما كانت قوية، قوتها لمصلحة صراعات المجتمع وتمزّقه وتعصبه. من هنا عُرف بودان دائماً بكونه (فيلسوف سياسة ذا تطلع طليعي يسعى إلى وضع الأسس لحكم مثالي، يقوم على أساس ملكية ديموقراطية، تنسف الملكية القائمة والبرلمان، عبر سلطة دستورية مطلقة تتأسس على «حق إلهي» لايحده سوى «القانون الطبيعي»).

جان جاك روسو (1713 - 1778)Rousseau Jean-Jacques

فيلسوف سويسري من أصل فرنسي، من فلاسفة عصر التنوير، كان معاصراً لفولتير وأصغر منه سناً. ولد ونشأ في جنيف، ثم عاد شاباً إلى فرنسا وتعلم الموسيقى وفنون الدراما قبل أن يشتغل بالكتابة. تسببت كتاباته بمحاربته في فرنسا، فهاجر إلى إنجلترا، ورافق الفيلسوف ديفيد هيوم، حتى سُمح له بالعودة إلى فرنسا.

آمن روسو بالطبيعة الطيبة للإنسان، وبقدرته على التكامل، وعلى حرية الاختيار، وبمبدأ «المساواة الطبيعية» بناءً على أن الإنسان ولد حراً، لكن تطور المجتمع أتاح مجالاً لنشأة ألوان من عدم المساواة المدنية تخالف القانون الطبيعي، فقاد هذا إلى أفظع الشرور، لذا ينبغي على المجتمع أن ينظّم وفقاً لـ «عقد اجتماعي» يؤمّن المساواة المدنية.

يقول روسو: «إننا نرى أولاً: وضع قانون وحق الملكية الفردية، ونرى ثانياً: إقامة المحاكم، ونرى ثالثاً وأخيراً: تحول السلطة الشرعية إلى سلطة استبدادية. فالمرحلة الأولى خلقت الفقراء والأغنياء، والمرحلة الثانية خلقت الضعفاء والأقوياء، والمرحلة الثالثة خلقت العبيد والأسياد، وهي أقصى درجات عدم المساواة التي تنتهي إليها جميع المظالم».

وآمن روسو بالعناية الإلهية، وبوحدة الكون الذي تديره إرادة واحدة «لأنني أرى كل شيء مرتباً في نظام كلي واحد، وسائراً نحو هدف واحد، وهو حفظ الكل في النظام القائم».

وفي تكون المجتمعات البشرية ومظاهرها الأساسية ثلاث قضايا قال بها روسو:

أ. إن «المِلكية الشخصية» هي العامل الأول في تكوين المجتمع المدني، وانتقال المجتمع من حياة بدائية تسودها الحرية والسلام، إلى حياة مدنيّة، فقدت فيها المساواة،

وانقسم الناس إلى عبيد وأسياد.

ب. الدولة الصغيرة تكون، نسبياً وبصورة عامة، أقوى من الدولة الكبيرة، أي أكثر تماسكاً، فبقدر ما يمتد الرابط الاجتماعي، فإنه بقدر ذلك يرتخي.

ج. النظام الديمقراطي يصلح للدول الصغيرة، المعتدلة الثروة والمساحة، والنظام الارستقراطي يصلح للدول المتأخرة، المعتدلة الثروة والمساحة، أما النظام الملكي فلا يلائم إلا الأمم الغنية والدول الكبرى.

الجبرية Determinism

اصطلاح مرادف للحتمية، ويستعاض به أحياناً عن اصطلاح الحتمية.

راجع: الحتمية التاريخية.

جورج زيمل (1858-1918) Georg Simmel

فيلسوف وعالم اجتماع وأستاذ جامعي ألماني. واجه زيمل صعوبة في الحصول على القبول ضمن المجتمع الأكاديمي، لأن مقالاته كُتبت للجمهور العام بدلًا من علماء الاجتماع الأكاديميين. لكنه حصل عام 1901 على رتبة أستاذ استثنائي، أي أستاذ كامل ولكن دون كرسي. كان رائدًا لأساليب التفكير البنيوية في العلوم الاجتماعية. اعتُبر زيمل مقدمة لعلم الاجتماع الحضري والتفاعل الرمزي وتحليل الشبكات الاجتماعية من خلال عمله في المدينة. وله مؤلفات عديدة في علم الاجتماع، منها: (فلسفة المال)، (الغريب والحدود الاجتماعية)، (علم اجتماع الحواس)، (علم اجتماع الفضاء)، (الإسقاطات المكانية للأشكال الاجتماعية)، و(المسائل الأساسية لعلم الاجتماع)، و (مقال في فلسفة الفن).

له في فلسفة التاريخ: (مشاكل فلسفة التاريخ).

اعتمد زيمل توظيف فلسفة كانت النقدية، وفلسفة برغسون النفسية، كما استعار المذهب النسبي، في فهم وتحليل السيرورة التاريخية. لذا ركز على علاقة السيكولوجيا بالتاريخ، وذهب الى أن الحقيقة التاريخية هي حقيقة سيكولوجية، لكن المؤرخ لا ينظر اليها نظرة الباحث النفسي، فالباحث النفسي يحرص على حركة المضامين أكثر مما يحرص على المضامين نفسها، ويحاول أن يجد القوانين التي تتتابع المضامين في إطارها. أما المؤرخ فعلى العكس، فهو يركز على المضامين، لا على حركاتها، ويحلل تسلسلها الواقعي، لا الآليات السيكولوجية للسيرورة. وقد شهدت فلسفة زيمل تطورا مستمرا في الطبعات الثلاث لكتابه المذكور.

جوزيف هورس Joseph Hours

مؤرخ وفيلسوف فرنسي. في كتابه (قيمة التاريخ) يبرز أولاً أهمية التاريخ، والسجالات حولها، فيرى أن التاريخ ليس إلا حياة الناس، وأننا لا نستطيع أن نتقدم في الزمن إلا مع حفظ تضامن حاضرنا وماضينا تضامنا وثيقا. وعلى هذا الأساس يتصدى التاريخ لكل المشاركات البشرية.

لكن هورس انحاز بوضوح إلى الفكرة التي تنفي كون التاريخ علماً من العلوم، وتنفي إمكان اكتشاف قوانين في التاريخ. فبين التاريخ وبين العلوم، بحسب هورس، فارق أساسي، يباعد بينهما حتى المعارضة.

فالعلم يبحث في الحوادث الملحوظة، عن المشابهات التي تظهر، ويكشف عن العناصر المشتركة في الوقائع، فيبحث بعد ذلك عن أسباب تكرار هذه الملامح تكراراً متشابها في وسط ظروف مختلفة جدا. فيصوغ لهذه النتائج احتمالات تثبت حقيقتها في ما بعد بالاستدلال العقلي، أو بالاختبار. وهكذا ينتهي العلم إلى اثباتات تقرر ميزة عامة، أو قوانين، ويجتهد في تنسيقها في نظام.

أما التاريخ فعلى العكس، لأنه لا يرتبط بالوقائع التي يضع لها حدوداً، إلا بحكم ما هو موحد بينها. صحيح أن التاريخ يبحث عن الأسباب التي كانت وراء تتابعها، ويجتهد في جعلها مترابطة متسلسلة، أي يبحث عن أن يصل إلى تفسير يرضى عنه العقل، ولكن صفة العلم تبقى غير متوفرة على حقيقتها. إذ يمكن في التاريخ أن يبحث عن أسباب، دون البحث عن قوانين. فالتاريخ إذن لا يمكنه الاستدلال بالشواهد النظرية، ولا بالتجارب المختبرية. وبما أنه يهتم بما يحدث مرة واحدة، فهو لا يعرف الانتهاء إلى إثباتات عامة.

وهذا عند هورس ليس نقصاً، أو عيباً في التاريخ، بل هذه هي وظيفته التي تعبر عن هويته وطبيعته. لذا فهو لا يقول بأن التاريخ يفشل في الوصول إلى اثباتات عامة، إنما يقول إن التاريخ يرفض السعي إليها، فكأنها تجربة تخالف وحيه الحميم، فيكون السعي إليها خيانة ذاتية لا يرتكبها مؤرخ جدير بالصفة. أما صياغة القوانين التي تتناول العلاقات بين الناس، فهي وظيفة علم الاجتماع.

لكن تبقى العلاقة بين التاريخ وبين الفلسفة علاقة وثيقة، مع علو مرتبة الفلسفة. فالتاريخ لا يستطيع أن يفرض على الناس حكمة مستخلصة من الوقائع، بل الفلسفة هي التي تفعل ذلك، وهي التي تنسق التاريخ وتبنيه، وتعطيه اللحمة التي يحتاجها. وبلا فلسفة نستطيع أن ننكر وجود التاريخ.

جوسيب فيراري (1812-1876) Ferrari Giuseppe

فيلسوف ايطالي له: (فلسفة الثورة)، و(نظرية العصور السياسية). يقول فيراري بتعدد العوامل التي تقود وتوجه حركة التاريخ، فالتقدم البشري جاء نتيجة تأثير عوامل رئيسية عديدة، ولكل واحد من هذه العوامل أمد محدود ليلعب دوره ويترك أثره كعامل رئيسي. فكل عامل يتصدر ويسود زمنا قدره 125 عاماً، ثم تعقبه سيادة عامل آخر.

ويمارس كل واحد من عوامل صناعة التاريخ دوره على أربع مراحل: مرحلة الإعداد والتحضير، مرحلة النمو والازدهار، مرحلة التراجع والارتداد، ثم مرحلة التحلل والانحلال.

ويبدو أنه استعار فكرة عمر الدور التاريخي ومراحله من ابن خلدون، على نحو دقيق. وينظر فيراري إلى الثورات نظرة ايجابية، ويرى أنها جهود بناءة في مجال التطور البشري.

جوفروي، ثيودور سيمون (1796-1842) Theodore Simon Jouffroy

فيلسوف فرنسي، له كتاب (مقالات في تاريخ الفلسفة)، وكتاب (فلسفة التاريخ).

في كتابه (فلسفة التاريخ) رأى أن التاريخ هو تاريخ الفكر البشري. وأن التغير في أفكار البشر يحدد كل مراحل التطور البشري الأخرى. لذا فإن فلسفة التاريخ في جوهرها ما هي إلاَّ ملاحظات وتحليل التعديل والتغير الذي يطرأ على أفكار البشر، وتأثيره على حقائق التاريخ الخارجية، أي على السلوك والعادات والنظم والدول.

ويرى أنه كانت هناك ثلاثة نظم رئيسية للحضارة في تاريخ البشرية، وهي:

النظم البرهمية، والنظم المسيحية، والنظم الإسلامية. واعتقد أن النظام المسيحي سيتفوق على النظم الأخرى.

ورأى أن في العالم المسيحي ثلاث أمم، لكل منها رسالة تؤديها من أجل تقدم الحضارة، وهي:

1. الأمة الألمانية، وهي أمة العلم والثقافة والمعرفة، وتمد البشرية بالحقائق.

2. الأمة الفرنسية، وتركزت مواهبها في الفلسفة، أي تفسير الحقائق التي يأتي بها الألمان.

3. الأمة الإنجليزية، وهي الأمة العملية التي تستغل الحقائق والنظريات الفلسفية في الصناعة والنظم الدستورية والروح العامة.

وواجب هذه الأمم الثلاث هو أن تدرك صفاتها ومواهبها الخاصة، وأن تتعاون جميعاً من أجل خير البشرية.

جون لوك (1632-1704) John Locke

طبيب وفيلسوف ومفكر سياسي إنجليزي، أسس نادياً للمناقشات الفلسفية والدينية، وشغل مناصب حكومية، فكان سكرتيراً لهيئة التجارة، ثم مندوباً للاستئناف، ومستشاراً لسك النقد. كتب: (رسالتان في الحكم)، (رسالة في التسامح)، (مقال في الفهم البشري)، (آراء في التربية)، و(معقولية المسيحية).

وهو فيلسوف تجريبي، لكن تتميز تجريبيته بأنها جمعت بين عمل العقل والتجربة من جهة، وبين الإيمان والوحي من جهة أخرى. وهذا هو جوهر الفرق بينه وبين هيوم وسائر التجريبيين.

وبناء على مذهبه التجربي أنكر لوك «المعرفة الفطرية» التي قال بها أصحاب المذهب العقلي، لكنه لم ينفها تماماً، بل ذهب إلى أنها، قبل التجربة، إنما كانت توجد ضمنياً على هيئة إمكان، ولا يمكن تحصيلها إلا عن طريق التجربة.

وتحدث لوك في «العقد الاجتماعي» على أسس النظرية الطبيعية التي قال بها توماس هوبز أيضاً. فافترض لوك حالة من الطبيعة تنظمها قوانين مستمدة من الله، وفيها يكون الناس أحراراً ومتساوين أمام الرب، وتجاه بعضهم البعض. وإزاء هذه الحرية سيكون سلطان القانون ضرورياً، اجتناباً للفوضى. ولذا يصل الناس إلى اتفاق اجتماعي يقبله سائرهم، وهذا الاتفاق يقوم على قوانين عملية ضرورية لضمان الحرية الفردية.

وفي حالة الطبيعة كانت السلطة التنفيذية قائمة في كل فرد، وبعد ذلك، إما فجأة، أو تدريجياً، اتفق الناس على العيش في مجتمع مشترك تنظمه السلطة التنفيذية المشتركة القائمة على تنفيذ القانون الطبيعي. وظل أمل لوك العميق هو الإيمان بمستقبل للبشرية جمعاء، ليس مستقبل وحدة سياسية بعينها، وإنما مستقبل حضارة واعدة، مداها الجغرافي وفترتها التاريخية غير محدودين.

جويرس = يوهان جويرس

حرف الحاء

الحتمية التاريخية Determinism Historycal

مفهوم فلسفي مفاده أن للتاريخ البشري مساراً نحو اتجاه معين، وأن لهذا المسار أسباباً موضوعية كائنة لا محالة، وعليها تترتب نتائج طبيعية ضرورية التحقق. وعندئذ سيكون استخلاص قوانين سيرورة التاريخ ميسوراً، ويكون التنبؤ بأحداث التاريخ المستقبلية أمراً ممكناً. فالحتمية التاريخية تعني أن كل حدث في الكون يخضع لتسلسل سببي، ضمن سلسلة غير منقطعة من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض وفق قوانين محددة.

في الحتمية، لا يمكن حدوث أشياء خارج منطق قوانين الطبيعة، ويتفق هذا مع التفسير الديني للحتمية، حيث ترى أن الله تعالى وضع لكل شيء في الطبيعة قوانينه التي يسير وفقها، وبالتالي لا مجال لحوادث غير معروفة الأسباب.

لكن قانون الحتمية جعل منها مذهباً بديلاً عن المذهب اللاهوتي الذي يُخضع سير الأحداث وتطور المجتمعات والأمم، إلى قوة خفية، أو إلى الإرادة الإلهية، ليجعل ذلك كله خاضعاً لقانون العلة والمعلول، فجميع ظواهر الكون، الأخلاقية والفيزيائية معا، تخضع لحتمية العلل المتقدمة.

ويتجلى هذا المفهوم في العديد من نظريات فلسفة التاريخ، فكل النظريات التي تؤمن بوجود قوانين للتاريخ، وبالسببية في التاريخ، تؤمن بالحتمية التاريخية.

ففي نظرية التعاقب الدوري للحضارات، تقطع الحضارة أدواراً معلومة، تتخذ شكل الحتمية التاريخية. وفي ديالكتيك هيجل/ وديالكتيك ماركس، يحدث التطور كنتيجة حتمية لصراع الأضداد. وحتى وفق نظرية التحدي والاستجابة، تتخذ الاستجابة طبيعة

الحتمية عند حضور التحدي المناسب. لكن الحتمية التاريخية تكاد تبدو أنها اختصت بالمادية التاريخية، لتركيز الأخيرة عليها تحت تأثير الدافع السياسي للنظرية المادية.

ويؤكد برجسون سلطة قانون الحتمية الشاملة فيرى أنه لو كان علمنا كاملاً، وقدرتنا على الحساب لا محدودة، لعلمنا مسبقاً كل ما سيحدث في العالم المادي اللاعضوي، في كتلته وفي عناصره، وذلك مثلما نتنبأ بكسوف الشمس أو خسوف القمر.

وبالضد منها تأتي نظرية «اللاحتمية» التي تستند على مبدأ حرية الإنسان، فالإنسان يمتلك حرية الاختيار، فهو قادر على تغيير المسارات، وعلى صناعة أسباب للوصول إلى نتائج يتوخاها. ومن أشهر القائلين بها، كارل بوبر. وفي إطار الابستمولوجيا الحديثة، قال باللاحتمية عالم الفيزياء الشهير، هايزنبرغ، بعد أن أثبت أن قانون الحتمية لا ينطبق على العالم الذرّي، اذ لا يمكن تحديد حركة الالكترون ومكان وجوده في وقت واحد، دون أن يبقى هامش من اللاتحديد، فالإلكترون قد يغير من نسبة حركته، أو مكان استقراره، فيخرج بهذا عن قانون الحتمية، الذي رأى هايزنبرغ نفسه أنه يحكم العالم المنظور فقط.

الحتمية الجغرافية Determinism Geographical

نظرية تقرر أن البيئة الجغرافية، بعناصرها، من المناخ، والتضاريس البيئية، والجبال، والبحار، والسهول وغيرها، هي الأساس في طبائع المجتمعات، وفي التغيرات الاجتماعية في المجتمع.

قال بها ابن خلدون، وتسلح بها مونتسكيو، واعتمدها في الرد على القائلين بنظريات أخرى في التحولات التاريخية، كنظرية العناية الإلهية وغيرها. وبالغ بعضهم في توصيف مدى تأثيرها، حتى قال: «الطبيعة تفرض، والإنسان يُنفّذ».

راجع أيضاً: النظرية البيئية.

حرب الجميع ضد الجميع The war of all against all

هو اصطلاح توماس هوبز في وصف الطبيعة البشرية، فالفرد في حال الطبيعة لا يؤمن إلاَّ بفرديته، ولا يرى إلا نفسه، ويجعل من ذاته أساساً للعالم بأسره، ولا يتمثل الآخرين إلاَّ من خلال نفسه هو، فوجودهم إنما يُستمد من وجوده، ومن تمثله لهم. وهو لذلك على استعداد طبيعي لأن يضحي بالعالم كله من أجل بقائه هو. ولو فني هو فلا قيمة للحياة بعده، بل تلك هي نهاية التاريخ عنده. ولذلك هو في صراع مع الآخرين.

وعلى هذا فالوجود كله قائم على الصراع، والحضارات والأديان والوجود كله في صراعات لا تنتهي، والجميع في حرب ضد الجميع. ولذا وضع هوبز «العقد الاجتماعي» الذي يتنازل بحسبه أفراد المجتمع عن حقهم الطبيعي هذا، لصالح الحاكم الذي يمثل الجميع ويحكمهم بالقوة، ليحمي الجميع من عدوان الجميع.

راجع: هوبز، توماس

الحضارة Civilization

الحضارة خلاف البداوة، وتتمثل في مجتمع إنساني متطور، فيه تقسيمات هيكلية للعمل، ونظم إدارية، وقوانين تنظم شؤون المجتمع والحياة.

والحضارة أوسع من المدنية، فالمدنية هي جزء الحضارة الذي يتمثل بالجانب العمراني منها. أما الحضارة فهي كل ما يشتمل على العقيدة، والفن، والقانون، والأخلاق، والعادات، وهي مجموعة من النظم التي تميز مجتمعاً ما عن غيره من المجتمعات، كما أنها حصيلة ما يكتسبه الفرد في مجتمعه.

وحضارة أي شعب هي مجموعة أدوات فكرية ومادية تُمكّن هذا الشعب من

قضاء حاجاته الاجتماعية والحيوية بانتظام، وتمكنه كذلك من أن يتكيف مع بيئته بشكل مناسب.

وفي تعريف جامع وضعه إدوارد تايلور: هي الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأي عادات، أو سلوكات، أو إمكانات، يُمكن أن يحصل عليها فرد ما في مجتمعٍ ما.

ومن زاوية أخرى يمكن تعريف الحضارة على أنّها إرث الإنسان المادي والمعنوي الذي خلفه في الماضي، والذي اعتمد عليه الإنسان لإكمال مسيرة حياته وتقدمه اللاحق، سواء أكانت مظاهر معنوية كأسلوب الحياة والمعيشة اليومية والعلوم والمعارف، أو أدوات ووسائل مادية بقيت أثراً لوجوده كالبُنيان، والمسكوكات، والأعمال اليدوية المختلفة، مثل الخزف، والفخار، وغيرها.

وقد بدأ نشوء الحضارات أولاً على أُسس قَبليّة، حيث استمدت عناصر وجودها من قوّة رابطة الدم والقرابة، فكونت القبيلة بذلك مجالاً حضرياً له العديد من الأنماط والعادات الخاصة به، والتي تنظم سلوك أفراده في نسق اجتماعي واحد. ثم بدأت تتطور لتنتقل من النطاق القَبليّ إلى النطاق الديني الذي ضمّ بدوره قبائل عديدة. ومن ثم تطوّرت للنطاق السياسي الذي أسهم في اندماج جماعات منعزلة مع جماعاتٍ أخرى.

وكانت أولى الحضارات نشوءاً في التاريخ البشري هي دويلات المدن السومرية، التي تكاملت لتكوّن لاحقاً دولة سومر الواسعة حدود 3500 ق.م. والحضارة المصرية حدود3000ق.م. والصين حدود 2200ق.م. وحضارة بابل الأولى حدود 1800ق.م. وحضارة اليونان وحضارة آشور حدود 1200 ق.م. والبيرو حدود 800 ق.م.

وهناك عوامل عديدة تتحكم في نشأة الحضارات وفي خصائصها، منها: البيئة

الجغرافية، والحس المشترك الذي يخلق منظومة القيم المشتركة لدى أفراد المجتمع الواحد، والدين. وتمر الحضارات عادة منذ نشوؤها بمراحلَ تشبه المراحل التي تمثل عمر الإنسان.

وقد ذهب البعض إلى أن الثقافة والحضارة هما مصطلحان يحملان معنى واحداً، وذهب آخرون إلى التمييز بينهما في نقاط اختلاف وتمايز عديدة:

- فالحضارة تقتصر على التقدم المادي للمجتمع، في حين تقتصر الثقافة على أفكار وعقائد الإنسان.
- والحضارة وصف مُختص بالأمة، والثقافة وصف قد يأتي للأمة وقد يختص بالفرد.
- والحضارة نتاج عملي وأثر ملموس، والثقافة إرادة وتصور.
- والحضارة تتشكل وتتضح في العديد من الأنظمة كالنُظم السياسية والإدارية والقانونية، وفي مختلف الاختراعات والصناعات والعلوم، أمّا الثقافة فتظهر جلياً في الفلسفات واللغات والآداب والعلوم الإنسانية بصفةٍ عامة. وفي النهاية لا توجد حضارة بدون ثقافة ترافقها.

الحوليات (مدرسة الحوليات التاريخية) School of Historical Annals

مدرسة تاريخية تشكلت في ستراسبورغ، بفرنسا، سنة 1929، ثم انتقلت إلى باريس.

تشكلت على أيدي مجموعة من كبار المؤرخين، في مقدمتهم: لوسيان فيبر (1866 - 1956)، وهنري هاوزر (1866-1946)، ومارك بلوخ (1866-1944). وفي أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا في الحرب العالمية الثانية، أسر الألمان أحد رواد الحوليات، مارك بلوخ، ثم اطلقوا عليه النار وقتلوه رمياً بالرصاص لعضويته النشطة في المقاومة الفرنسية. واستمر

فيبر في نهج الحوليات في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي.

ثم قاد الجيل الثاني فرناند براديل (1902-1985)، وقاد الجيل الثالث إيمانويل لو روي لا دوري (1929 -)، وترأس الجيل الرابع روجر شارتييه (1945 -).

اتخذت المدرسة اسمها من اسم المجلة: «حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي» التي نشروا فيها أبحاثهم باستمرار. واحتفظت المجلة بهذا الاسم في الفترة 1929-1939، ثم أعيدت تسميتها إلى «حوليات التاريخ الاجتماعي»، ثم «حوليات الاقتصاد والاجتماعيات والحضارات» من سنة 1946 إلى 1994، ثم «حوليات التاريخ والعلوم والاجتماعيات».

انفصلت هذه المدرسة جذرياً عن التاريخ التقليدي بالإصرار على أهمية الأخذ بجميع مستويات المجتمع في الاعتبار، وتأكيد الطبيعة الجماعية للعقليات. ونظرت إلى الأحداث باعتبارها أقل أهمية من الأطر العقلية التي شكلت القرارات والممارسات، فارتبط هؤلاء المؤرخون بنمط من البحث التاريخي يُعنى بتأكيد التاريخ الاجتماعي طويل الأمد.

وقد سيطرت المدرسة على التاريخ الاجتماعي الفرنسي وأثرت في التاريخ في أوروبا وأمريكا اللاتينية، خاصةً فيما يتعلق باستخدام المؤرخين للأساليب العلمية الاجتماعية، مع التركيز على الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية بدلًا من الموضوعات السياسية أو الدبلوماسية.

وشدد الجيل الثالث على التاريخ من وجهة نظر العقليات أو العقلانية، ثم نأى الجيل الرابع من المؤرخين في مدرسة الحوليات، بقيادة روجر شارتييه، بوضوح عن نهج العقليات، الذي حل محله التحول الثقافي واللغوي، الذي يؤكد تحليل التاريخ الاجتماعي للممارسات الثقافية.

نطاق الموضوعات التي تغطيها المجلة واسع وتجريبي، هناك بحث عن التاريخ

الكامل والنهج الجديد. ويتم التركيز على التاريخ الاجتماعي، والاتجاهات طويلة الأمد، وغالبا ما يُستخدم القياس الكمي وإعطاء اهتمام خاص للجغرافيا وللنظرة الفكرية للعالم، ويُمنح القليل من الاهتمام للتاريخ السياسي أو الدبلوماسي أو العسكري أو السير الذاتية للأعلام.

سلطت مدرسة الحوليات الضوء على تجميع الأنماط التاريخية المحددة من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والإحصاءات والتقارير الطبية والدراسات الأسرية وحتى التحليل النفسي. وابتكروا نهجاً لدراسة الهياكل التاريخية طويلة المدى حول الأحداث والتحولات السياسية، والجغرافيا، والثقافة المادية. وما أطلق عليه لاحقًا العقلانية، أو علم النفس العصري، هي أيضاً مجالات مميزة للدراسة.

كان هدف الحوليات مجابهة عمل السوربونيين (كما أسمتهم هذه المدرسة، نسبة إلى جامعة السوربون، وهم سائر المؤرخين التقليديين)، لتحويل اهتمام المؤرخين الفرنسيين بعيداً عن السياسة والدبلوماسية الضيقة، نحو آفاق جديدة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

غيرت مدرسة الحوليات تصور المؤرخين من البحث في الأحداث إلى البحث في البنيات، ومن البحث في التاريخ السياسي والعسكري إلى البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والذهنيات، ثم إن هذه المدرسة استطاعت على مدى ثمانية عقود أن تتكيف معرفياً مع المنعطفات الابستيمولوجية التي عرفتها العلوم الاجتماعية خاصة في القرن العشرين، وذلك بالقدرة على صياغة المفاهيم، وإعادة صياغتها وتحديدها، وإيجاد مخارج للأزمات التي عرفتها الكتابة التاريخية، كما سعت إلى إنتاج أبحاث ودراسات متميزة بتوظيف مفاهيم وأدوات مستعارة من علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة. وبالتالي تأثر التاريخ بالمناهج والنظريات المتداولة في شتى العلوم، وكانت الغاية

هي الانسلاخ من الكتابة التاريخية التقليدية، ودراسة الإنسان والمجتمع بكل أبعادهما، وفي كل محطاتهما التاريخية، دراسة علمية تجريبية وموضوعية على غرار الدراسات التي تتم في العلوم كالفيزياء والرياضيات. وبرز بروديل، الذي سيصبح أحد أشهر الدعاة لهذه المدرسة، وقائداً للحقبة الثانية من تاريخها. طور بروديل فكرة لأنماط مختلفة من الزمن التاريخي: «شبه التاريخ الثابت» للجغرافيا التاريخية، وتاريخ الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتاريخ الرجال والأحداث، في سياق هياكلهم. فتحققت النقلة الابستمولوجية التي عرفتها الكتابة التاريخية مع المؤرخ فرناند بروديل، الذي أعطى رؤية جديدة للزمن التاريخي من خلال مده إلى أزمنة متعددة: «الزمن الطبيعي»، «الزمن الاجتماعي»، «الزمن السياسي». وأزمنة متفاوتة المُدَدْ: «الزمن الطويل»، «الزمن الدوراني»، «الزمن القصير». وإدخال مفهوم البنية كأساس للتغيير يُحدد الانتقال من زمن إلى آخر.

وثمة عوامل تتابعت، كانت وراء انحسار سلطان هذه المدرسة الكبيرة؛ فقد تجاهلت مدرسة الحوليات تطور الدراسات الكمية الجارية في أمريكا وبريطانيا، التي أعادت تشكيل البحوث الاقتصادية والسياسية والديموغرافية. من ناحية أخرى ظهر أواخر القرن العشرين ما يوصف بانحسار الثقة بالسرديات الكبرى الشاملة.

وفي حين يواصل مؤلفون مثل إيمانويل لو روي لا دوري، ومارك فيرو، وجاك لو جوف، حمل راية الحوليات. وأصبح نهج الحوليات اليوم أقل تميزاً إذ صار الكثير من المؤرخين، من خارج نطاق هذه المدرسة، ينهجون هذا النهج في توسيع مجال البحث التاريخي ليشمل التأريخ الثقافي والسياسي والاقتصادي.

حرف الخاء

ابن خلدون (1332 - 1404)م

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، أبو زيد ولي الدِين الحَضْرمي، المؤرخ والفيلسوف وعالم الاجتماع الإشبيلي. من أوائل القائلين بنظرية الدورة الحضارية، ومن أول القائلين بالحتمية التاريخية وفق القوانين الطبيعية، مستبعداً دور الصدفة في التاريخ.

وهو أول من أدخل التاريخ في قائمة العلوم، في كتابه (المقدمة) وعده علماً بالمعنى الدقيق للعلم، واعتمد فيه مناهج البحث المتبعة في العلوم الطبيعية، لذا أصبح يمنح لقب «مؤسس علم التاريخ».

ونظر إلى أن التاريخ جزء من الفلسفة، فوصف التاريخ في باطنه بأنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفية الوقائع وأسبابها، فهو لذلك أصيل في الحكمة، جدير بأن يعد في علومها. فكان هذا التعريف لهو الاعلان الأوّل عن ولادة «فلسفة التاريخ».

آمن ابن خلدون بتأثير البيئة على طبائع الناس وأشكالهم، وعلى العلاقات المجتمعية بشكل عام، وعلى نمط تكوين الدول والحضارات، إذ يخضع العمران، وجوداً وعدماً، لعوامل البيئة. وللهواء أيضاً تأثيره البالغ في الخصائص النفسية الدقيقة للإنسان، فله تأثيره في «الأخلاق» من حيث «الانبساط والانقباض وتوابعها». وتشكل «العصبية» محور نظرية ابن خلدون في الدولة، فهي أساس الملك، ولها مظاهر ومراتب وأدوار مختلفة، وبانحلالها تنحلّ الدولة. والعصبية عنده هي: «الروح المثيرة للنَعرة والتناصر». و«العصبية» من أهم ما يميز «البداوة» عن «الحضارة». وأن «الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك».

ابن خلدون لايرى الدين ضرورياً للاجتماع، فالاجتماع يتحقق حتى مع عدم وجود الدين. غير أن للدين دوره الأساس في تطوير الاجتماع والبلوغ به إلى مراتب التمام والكمال. فهو يلاحظ أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها. بل يبدو الدين ضرورياً في هذه المرحلة، مرحلة ما بعد الاجتماع، لتحقيق المملكة الواسعة، فغالباً ما تكون الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك، أصلها الدين، إما من نبوّة، أو دعوة حق.

وتحدث ابن خلدون بإسهاب عن مراتب العمران، وجادل بأن الاختلاف بين المجتمعات أمر طبيعي، يعود إلى اختلاف أساليبهم في المعاش. فبتدرج أساليب المعاش من الضروري إلى الحاجي والكمالي، تتدرج مراتب العمران البشري، ليكون على قسمين رئيسيين، هما: البداوة، والحضارة.

البداوة: وهي الاجتماع القائم على القدر الضروري من المعاش، وفيه مرتبتان من مراتب الاجتماع: اجتماع القفار، واجتماع القرى والجبال.

فإذا اتسعت أحوال مجتمعات تلك المراتب المتقدمة، وحصل لهم ما فوق الحاجة، دعاهم ذلك إلى السكون والتعاون في الزائد على الضروري، واستكثروا من الأقوات والملابس وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار، للتحضر، وإحداث الصنائع وتطويرها إلى غايتها، وهؤلاء هم أهل الامصار والمدن. وهذه المراتب كلها طبيعية في العمران ولابدَّ منها.

ثم إن جودة الصنائع وتقدم العلوم إنما يكون على مقدار العمران في البلد، وتوفر دواعي الترف والثروة، فتكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة. وتمضي باطراد مع تزايد العمران وازدهار الحضارة، وقد تخرج عن الحد إذا كان العمران خارجاً عن الحد. ثم تترسخ وتستحكم برسوخ الحضارة وطول أمدها.

فإذا قاربت الامصار الخراب، انقضت منها الصنائع، وذلك لأنه إذا أخذت أحوال الدولة في الهرم بانتقاص العمران وقلة السكان، تناقص الترف، ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم، فتقل الصنائع مع قلة الاحتياج إليها وقلة الطلب لها. ومن هذه الصنائع التعليم للعلوم. وهكذا تأخذ العلوم بالتناقص أيضاً، إذ الاشتغال بالضروري يصرف عما هو كمالي، من الفكر والعلم والنظر.

من القوانين الثابتة في السيرورة التاريخية، أن الدول لا تسير على وتيرة واحدة، من أول نشأتها وحتى زوالها، بل تطوي مسيرتها هذه في أطوار مختلفة، وهي أطوار طبيعية في كل دولة، ولكل واحد من هذه الأطوار سماته المميزة، التي تنعكس بالضرورة على رجال الدولة.

فالطور الأول هو طور الظفر بالبغية، والاستيلاء على الملك، يليه طور الاستبداد، ثم طور الفراغ والدعة، فطور القنوع والمسالمة، وأخيراً طور الإسراف والتبذير.

فالملوك في هذه الأطوار الخمسة يتوزعون على أربع مراتب من حيث أدوارهم في الدول، وهي: «بانٍ» في الطور الأوّل. و«مباشر» في الطورين الثاني والثالث. و«مقلّد» في الطور الرابع. و«هادم» في الخامس.

وللدول والحضارات أعمار، فالدولة لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال. الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها، من شظف العيش، والبسالة والافتراس، والاشتراك في المجد. والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، ويبقى لهم الكثير من ذلك لمعاشرتهم الجيل الأوّل. والجيل الثالث ينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويبلغ فيهم الترف

غايته، فيصيرون عيالاً على الدولة، وتسقط العصبية بالجملة، فيحل في الدولة الهرم، حتى يتأذّن الله بانقراضها.

والدولة عند ابن خلدون في أجيالها الثلاثة تمر بمراحل عمر الحيوان الثلاثة: مرحلة النمو، ومرحلة التوقف، ومرحلة الرجوع. وكل هذا إنّما يحصل وفق أسبابه الطبيعية.

وربما يحدث عند آخر الدولة قوة تُوهِم أن الهرم قد ارتفع عنها، لكن الأمر ليس كذلك، فهي في حالها هذه إنّما يومض ذُبالها إيماضة الخمود، كما يقع في الذُبال المشتعل، فإنّه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة تُوهِم أنها اشتعال، وهي انطفاء.

ثم تبدأ دورة الحضارة من جديد، يقول ابن خلدون: إذا بلغت الدولة الواسعة الشوط الأخير من عمرها، وأشرفت على الزوال والفناء بعد أن استحكم فيها الهرم، فإنّ السيرورة التاريخية مازالت قائمة، والحياة البشرية قادرة على أن تجدد نفسها، سواء في بلاد هذه الدولة نفسها، أو في بلاد أخرى، لتبدأ دولة جديدة مسيرتها، وتطوي أطوارها ومراحل عمرها الطبيعية «الحتمية» وصولاً إلى نهايتها، مؤذنةً بقيام دولة جديدة أخرى في مكانها أو في مكان آخر. وهكذا في حركة دورية دائبة، مادامت الحياة البشرية قائمة، ووفق تلك القوانين الطبيعية نفسها.

ويميز ابن خلدون بين ثلاثة أشكال من أنظمة الحكم، هي: الملك الاستبدادي، الملك السياسي «الدستوري»، الحكم الديني. ويؤمن بأن مجتمع الحكومة العادلة، حيث تتوفر الحريات والحقوق، يكون الناس فيه قادرين على التعبير عما في أنفسهم، واثقين بعدم المانع، حتى يصبح لهم هذا جبلّة لايعرفون سواها. أما الاستبداد، فإنّه يكسر من سورة بأسهم، فيكفّون عن الادلال بما في أنفسهم، لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة.

خليل، عماد الدين (1941 -)

أديب ومؤرخ ومفكر عراقي معاصر، أستاذ جامعي، له العديد من المؤلفات في الأدب والمسرح والتاريخ، والفكر التاريخي، من أهمها كتاب (التفسير الإسلامي للتاريخ).

سعى الدكتور عماد الدين خليل إلى البحث عن الخطوط الشاملة للتفسير الإسلامي للتاريخ من خلال الرؤية القرآنية، وفق رؤية تقوم منهجياً على مقدمتين:

الأولى: إن القرآن هو المصدر اليقيني الثابت.

والثانية: إن القرآن قدم نماذج عديدة للمعطيات التاريخية، لكي يخرج بنا إلى بلورة عدد من المبادئ الأساسية في حركة التاريخ البشري، مستمدة من صميم التكوين الحدثي لهذه العروض.

انطلاقاً من هاتين المقدمتين عمد إلى مسح شامل لآي القرآن الكريم ذات الصلة، وصنفها إلى طوائف ومجموعات، بحسب الأفكار التي تتضمنها والمبادئ التي تفصح عنها، ليتشكل، من كل هذا، النسيج الكامل لنظرية، تصح تسميتها بالنظرية القرآنية، أو الإسلامية، في تفسير التاريخ.

ليقرر من ذلك أن «السننية» بطبيعتها تؤكد «الحتمية» إلى حد بعيد، أي حتمية النتائج المتعلقة بأسبابها. إلاّ أنّ السننية تؤكد في الوقت نفسه «الحرية» و«المسؤولية» الإنسانية المباشرة في حركة التاريخ، وتلغي بالدرجة نفسها «العبثية» و«اللا جدوى».

فالسننية إذن تنطوي على مفهومين يبدوان متناقضين: (الحتمية) و(الحرية). فالجماعة البشرية حرة في اختيارها أُنموذج حياتها ونظم علاقاتها، ونظرتها الشاملة للحياة، وهذه الاختيارات الحرة ستمثل بالضرورة (العلل) التي تترتب عليها نتائجها بصورة (حتمية) لطبيعة علاقة العلة بالمعلول، والسبب بالمسبب. وهذه الحتمية التي

هي علاقة ضرورية، هي المراد بالسنن الإلهية الماضية التي لا تتبدل ولا تتخلف مهما واجهت من عقبات.

لكن هذا لا يعني أن الإنسان وحده هو الذي يقود حركة التاريخ، كونه مختاراً مريداً، فإرادة الله فوق كل شيء، وحتى الحرية الإنسانية إنما تجيء ضمن نسيج الإرادة الإلهية المحيطة بالكون وما فيه، فإن أي حدث تاريخي إنما يجيء تعبيراً عن إرادة الله التي تصوغه من خلال إرادة الإنسان، أو ـ تصوغه ـ مباشرةً عن طريق اتصالها بالزمن والتراب.

و(المشيئة الإلهية) تتجاوز اعتماد السنن الطبيعية المادية، في بعض أمثلة التاريخ، هنا حيث الفعل الإلهي المباشر هو الذي يتجسد في التاريخ، وحيث المشيئة الإلهية هي الموجهة لسير التاريخ. فلابد أن نرضى بتعطيل السنن الإلهية، الكونية والاجتماعية، بوصفها قوانين ثابتة ومطردة، لا تتبدل ولا تتحول، لنفتح الباب لعنصر«الغيب» الذي لا يمكننا إخضاعه لمثل هذه القوانين.

خوسيه أورتيجا أي جاسيت (1883-1955) José Ortega y Gasset

فيلسوف وجودي إسباني، شغل كرسي ما بعد الطبيعة في جامعة مدريد، وأسس فَي عام 1915 مجلة (إسبانيا)، ثم مجلة (الغرب) وكانت أهم مجلة أدبية وفكرية عرفتها إسبانيا، ومن خيرة المجلاَت الأدبية والثقافية في العالم، داعياً في مجلته إلى الحريات وعودة الحياة النيابية وإقامة الجمهورية. وكافح النظام الدكتاتوري في إسبانيا، وأسس بعد سقوط الدكتاتور (بريمو دي ريفيران) جمعية سياسية باسم (في خدمة الجمهورية). لكن سرعان ما خاب أمله في الجمهورية.

من أعماله: (مخاوف السنة الألفية: نقد الأسطورة)، (إسبانيا اللافقرية)، (موضوع عصرنا)، (الرجل المُفرد والناس)، (انحطاط الفن)، (دروس في الميتافيزيقا)، و(تمرد الجماهير). تدور فلسفته حول المشكلات الاجتماعية، ومستقبل البشرية.

راجع: تمرد الجماهير

حرف الدال

الداروينية الاجتماعية Social Darwinism

نظرية اجتماعية في التاريخ الأمريكي، ارتكزت على أعمال تشارلز دارون، وهربرت سبنسر. قدمت هذه النظرية تسويغاً علمياً للرأسمالية في أواخر القرن التاسع عشر، عن طريق مبدأ حرية التجارة دون قيود. واشتهرت بين الأكاديميين ورجال الأعمال، وتم توظيفها لجعل المنافسة الفردية ممارسة شرعية، ولتبرير عدم تدخل الحكومة في تنظيم الاقتصاد. وحاججت بأنَّ الأفراد الأقوياء، والمؤسسات الكبرى القوية، هي التي تنعش البيئة الحرة، والسوق الحرة.

دانيلفسكي، نيقولاي (1822-1885) Nikolai Danilevsky

مؤرخ وعالم أحياء روسي، وسياسي متنفذ في الحكومة الروسية. له مؤلفات في التاريخ وفي علوم الأحياء ونظرية دارون، وفي الاقتصاد السياسي.

له في فلسفة التاريخ مادة نشرها أولاً على هيئة مقالات أو أبحاث في مجلة زاريا، تحت عنوان: (روسيا وأوروبا – وجهة نظر في العلاقات السياسية بين العالم السلافي والعالم الجرماني - الروماني). أثارت اهتماماً بالغاً في روسيا، وترجمت في سنوات لاحقة إلى الفرنسية، ثم الألمانية، ثم الإنجليزية. وفي أفكاره التي تبناها عدّه البعض الرائد الروحي لشبنجلر، ثم توينبي، لاسيما من حيث المبدأ الذي وضعه دانيلفسكي، ومضى عليه كل من شبنجلر وتوينبي، وهو المبدأ القائل: «إن الحضارة هي الوحدة الحقيقية للدراسة التاريخية».

يذهب دانيلفسكي إلى أن مجوع تاريخ البشرية يتألف من عدد من الأنماط التاريخية

– الثقافية، المختلفة. وأن لكل منها خصائص ذاتية، ودوراً في رصيد البشر الحضاري. ويميز اثنتي عشرة حضارة، وهي وفق الترتيب الزمني بحسبه: الحضارة المصرية، فالصينية، فالآشورية – البابلية، فالفينيقية – الكلدانية، أو السامية القديمة، فالهندية، فالفارسية، فالعبرانية، فاليونانية، فالرومانية، فالعربية أو السامية الجديدة، فالجرمانية - الرومانية أو الأوروبية. وفي نصف الكرة الغربي هناك حضارة المكسيك وبيرو، وقد واجهت كلتاهما انهياراً عنيفاً قبل أن تكملا مجرى نهضتهما. ثم يقسم القبائل والشعوب البشرية إلى ثلاث مجموعات، حسب الدور الذي تلعبه بالنسبة للحضارة.

المجموعة الأولى: يمثلها الأقوام الذين يشكلون القوى الإيجابية، الخلاقة، التي أنتجت الحضارات السابق ذكرها.

والمجموعة الثانية: تمثلها الشعوب التي تلعب دوراً سلبياً، أو هداماً، مثل المغول، والهون، والترك في الأزمنة الغابرة.

والمجموعة الثالثة: تمثلها الشعوب التي لم تبلغ مستوى الحضارات، ولم تلعب دوراً في هدمها. وهي الجماهير غير المتبلورة، التي لا تصنع تاريخاً، سواء في الاتجاه الإيجابي أو السلبي، وإنما تستخدمها القوى التاريخية الإيجابية أو السلبية، كمادة سلبية لنشاطها وعملها. فهي تمثل فقط عناصر في نشوء السلالات، ونوعاً من عوامل غير عضوية تدخل في التكوينات التاريخية، أي الأنماط التاريخية – الثقافية. ولا شك في أن هذه القبائل تزيد في تنوع الأنماط التاريخية وثرائها، لكنها لا تشكل بحد ذاتها أي تفرد تاريخي.

وفي بعض الأحيان تتحلل الحضارة المتدهورة إلى مستوى المادة السلالية هذه، إلى أن ينشأ مبدأ إنشائي خلاق جديد، يربط عناصرها بخليط من العناصر الأخرى، ويكون منها بنياناً تاريخياً جديداً، وبذلك يصل بها هذا المبدأ الجديد إلى حياة تاريخية مستقلة،

في شكل طراز تاريخي – ثقافي جديد. ومن أمثلة ذلك؛ الشعوب التي أقامت الامبراطورية الرومانية الغربية، فقد أصبحت مادة سلالية بعد تحلل الامبراطورية، ثم ظهرت مرة أخرى في شكل جديد يُعرف بالشعوب الرومانية، بعد أن تعرضت لتأثير المبدأ الجرماني.

وهكذا، فإن للدور التاريخي الذي يلعبه الشعب أو القبيلة، ثلاثة وجوه: فهو إما أن يكون دوراً إيجابياً خلاقاً من الطراز التاريخي – الثقافي، أو دوراً هداماً، وهو ما يعرف بالعقوبات الإلهية التي تدفع بالحضارة من ذروة النشاط إلى هوة الشيخوخة والعذاب، أو الدور الذي يخدم الآخرين كمادة سلالية.

ويذهب دانيلفسكي إلى أن النمط الثقافي – التاريخي يمر عادة بثلاثة أطوار من النمو:

الطور الأول: هو مرحلة المادة السلالية، والتي قد تستمر آلاف السنين، وتنتهي بالانتقال من شكل الحياة الشعوبية السلالية البحتة، إلى مجتمع منظم.

الطور الثاني: وهو المرحلة المتوسطة، ويمثل عملية بناء الاستقلال الثقافي والسياسي، وهو طور تجميع وتنظيم القوى الخلاقة، تمهيدا للطور الثالث.

والطور الثالث: وهو الذي يسميه طور الحضارة، وفي هذه المرحلة يبلغ النمو الثقافي – التاريخي أوج ازدهار طاقته الانتاجية الخلاقة، وتحقيق مثله العليا في ما يتعلق بالفرد والرفاهية الاجتماعية.

دراي = وليم هربرت

دلتاي، ويلهيلم (1833-1911) Wilhelm Dilthey

فيلسوف ألماني، وفيلسوف تاريخ وحضارة، ومؤرخ للفلسفة. سعى دلتاي إلى إحداث ثورة كوبرنيكية في العلوم الإنسانية، وذلك بتأسيس «علم تجريبي بالظواهر الروحية»، ويريد بها الظواهر العقلية. ويعرف العلوم الروحية بأنها: «مجموع الدراسات التي موضوعها هو حقيقة التاريخ والمجتمع».

ارتبط ارتباطاً وثيقا بفلسفة التاريخ، واعتبرها فلسفة للفهم، فهي أداة للكشف عن الحياة في الحياة. بدأ من التجربة التاريخية، متأثراً بهيجل وكانط، لإنشاء فلسفة تفعل في العالم المعنوي، بعد أن تستخرج قوانين خاصة به.

كانت لأبحاثه التاريخية عن عصر النهضة والإصلاح الديني وعصر التنوير، تأثيرات عظيمة في فهم وضع الإنسان في العالم، وتنوع تجاربه، واتساع معنى الحياة، لتشمل كل ما يصدر عن الإنسان من نظم وقوانين ونتاج عقلي.

اشتغل دلتاي على نقد العقل التاريخي، مؤكداً في البدء ضرورة فهم الإنسان بوصفه موجوداً تاريخياً في جوهره، وأن وجوده لا يتحقق إلاَّ في جماعة. أي أن للإنسان بُعداً أساسياً هو التاريخ، لذا ينبغي دراسة العقل الإنساني من زاوية التاريخ. فالإنسان الفرد تاريخي في جوهره، لأنه يعيش في الزمان، ويتحدد بأحوال وظروف معينة. ووجوده عملية زمنية تتحدد بالميلاد والموت، وتتألف من سلسلة متصلة الحلقات، تتألف من ماض وحاضر ومستقبل. وهذه العملية تجري في إطار علاقاته مع الآخرين وعلاقاته مع الطبيعة. ولما كان الفرد كذلك فإن العلاقات بين الأفراد هي أيضاً علاقات تاريخية، وأن حياة الإنسان حياة تاريخية، وعالم الإنسان هو عالم تاريخي.

واتساقاً مع هذه التاريخية يرفض دلتاي المبادئ المطلقة، والقيم المطلقة. من هنا

يرفض أي محاولة لتفسير التاريخية بواسطة أي مبدأ غير مشروط، لأن عالم الإنسان هو من عمل الإنسان، والتاريخية تنتسب إلى العالم الإنساني وحده، فلا مجال إذن للعودة إلى مبدأ غير إنساني.

الدولة The State

الدولة هي تجمع سياسي يؤسس كياناً ذا اختصاص سيادي في نطاق إقليمي محدد، ويمارس السلطة عبر منظومة من المؤسسات الدائمة. وبالتالي فإن العناصر الأساسية لأي دولة هي الحكومة والشعب والإقليم، بالإضافة إلى السيادة والاعتراف بهذه الدولة، بما يكسبها الشخصية القانونية الدولية، ويمكنها من ممارسة اختصاصات السيادة لاسيما الخارجية.

عرّفت اتفاقية مونتيفيديو الدولة بأنها: مساحة من الأرض (بلد محدد) يقطنها سكان دائمون، وحكومة قادرة على المحافظة والسيطرة الفعالة على أراضيها، وإجراء العلاقات الدولية مع الدول الأخرى.

وتعرف الدولة أيضاً بأنها رابطة تعمل بموجب قانون حكومي، وقوة قسرية، للمحافظة على النظام الاجتماعي والقانوني الدولي. ويؤكد ماكس فيبر خاصية أن الدولة تحتكر وسائل العنف الشرعي في المجتمع. لذا فإن أي مجتمع، له حكم مطلق، لمنطقة جغرافية محددة، هو دولة.

وبحسب التعريف الفلسفي فإن الدولة هي مجموعة من المؤسسات القانونية الإدارية والعسكرية، التي تم انشاؤها من لدن جماعة من الناس، بموجب عقد مشترك، لغرض تنظيم حياتهم في المجالات كافة، داخل مجال ترابي معين.

ولابد من التمييز بين الدولة وبين مفاهيم أخرى تبدو متداخلة معها، مثل مفهوم

البلد، والأمة، والحكومة. فالبلد هو المنطقة الجغرافية المحددة التي تقوم عليها الدولة، فهو عنصر من عناصر الدولة. أما الأمة، فهي الجماعة من الناس التي تجمعها روابط مشتركة من عِرق وتاريخ ولغة ونحوها. وأما الحكومة، فهي السلطة السياسية العليا التي تشرف على أحوال الشعب وتنظيم شؤونه وعلاقات افراده، وهي المسؤولة عن توفير وسائل الأمن ورد العدوان عن أراضي البلد وشعبه. والهيئة الحاكمة للدولة تشمل السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية. والهيئة الحاكمة بمجملها هي جزء من الدولة وعنصر من عناصرها. أما الدولة فهي كيان شامل يتضمن جميع مؤسسات المجال العام وكل أعضاء المجتمع بوصفهم مواطنين، والدولة كيان أكثر ديمومة مقارنة بالحكومة التي هي مؤقتة بطبيعتها.

وفي تفسير نشأة الدولة، هناك ثلاث نظريات رئيسية:

- نظرية القوة: التي ترى أن الدولة نشأت من خلال سيطرة الأقوياء على الضعفاء.

- النظرية الطبيعية: والتي تعتمد مبدأ أن «الإنسان مدني بالطبع»، فلا بدَّ أن يتعاون أفراد كل مجتمع من خلال تفاعلاتهم الاجتماعية المختلفة، ومن هنا رغبت الجماعات في أن يكون لها قيادة أو سلطة، من ثم دولة ذات سيادة وسلطة.

- ونظرية العقد الاجتماعي: وترى أن أفراد الشعب أجمعوا على قيام الدولة من خلال عقد اتفقت عليه مجموعة الأفراد مع الحاكمين، حيث يتقبل الشعب حكم الدولة مقابل تلبيتها حاجات الناس الأمنية وتنسيق علاقاتهم مع بعض، وهي النظرية التي قال بها توماس هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو.

وقد شهدت نهايات القرن العشرين ظهور اتجاهات ساعية لإفراغ الدولة من مضمونها، بحجة عدم تلاؤمها مع التطورات الجديدة، مثل تنامي الاتجاه للخصخصة، وتفضيل آليات السوق على التخطيط المركزي، وتأثيرات العولمة، واندماج الاقتصاديات

الوطنية في الاقتصاد العالمي غير الخاضع لسيطرة أية دولة منفردة. فضلاً عن تنامي النزعات المحلية وما تولده من ضغوط على الدولة عبر تعزيز الولاءات والتفاعلات السياسية على مستويات مختلفة عن المستوى الذي تقدمه الدولة.

وعلى النقيض من ذلك كله تقدم «اللاسلطوية» أو «الأناركية» أو الفوضوية، رؤية متفائلة للطبيعة البشرية في ظل تأكيدها على النظام الطبيعي والتعاون التلقائي بين الأفراد. على هذا الأساس تطرح منظومة من المؤسسات الاجتماعية، مثل الملكية المشتركة أو آليات السوق، الكفيلة بتحقيق الاستقرار الاجتماعي في غياب الدولة. **(راجع: الأناركية).**

الديالكتيك Dialectics

الديالكتيك، أو الـ «جدلية»، مفردة مشتقة من الفعل اليوناني dialegein. ويعني وفق الفلسفة الكلاسيكية: «الكلام عبر المجال الفاصل بين المتحاورين كطريقة استقصاء». وضعها الفيلسوف اليوناني زينون ، ثم تعمق فيها أفلاطون، واتخذت نحواً آخر عند أرسطو. أما الديالكتيك، أو الـجدلية، في فلسفة التاريخ فلها معنى آخر، وهي على نمطين:

ديالكتيك مثالي، أو الجدلية المثالية، وهي جدلية هيجل. وديالكتيك مادي، الجدلية المادية، جدلية ماركس. وبتأثيرهما أصبحت الجدلية تعني كل فكر يأخذ بعين الاعتبار، بشكل جذري، دينامية الظاهرات التاريخية وتناقضاتها.

وهي عند هيجل وماركس: قانون يحدد مسيرة الفكر والواقع عبر تفاعلات النفي المتتالي لـ «الاطروحة» والـ «النقيض»، للارتقاء إلى «التركيب» الناتج عن الصراع بينهما. وما أن يحصل التركيب حتى يتحول إلى أطروحة، تحمل في داخلها نقيضها، ليبدأ الصراع من جديد، لتتجدد عملية النفي بتركيب جديد. وهكذا يصبح الفعل السلبي جزءاً من الصيرورة، ليكون محركاً للتاريخ وللطبيعة وللفكر.

إن مبدأ التطور يتضمّن وجود بذرة كامنة، أي وجود بالقوة يكافح لكي يتحقق، فالتقدم في الوجود الفعلي يبدو أنه سير من شيء ناقص إلى شيء أكثر كمالاً. ولكن هذا الناقص إنما هو شيء يتضمّن نقيضه الصريح، «الكامل»، بوصفه بذرة، أو دافعاً. ولكن هذا التناقض ينحل ويتلاشى باستمرار.

ومعنى هذا، في الهيجلية: أن إنجاز الروح ما هو مقدّر لها أن تنجزه، إنما هو في الوقت نفسه انحلالها، وظهور روح أُخرى، وشعب آخر من شعوب تاريخ العالم، وحقبة أُخرى من التاريخ الكلي. إذن فالتاريخ بصفة عامة هو تطور الروح في الزمان.

أما الماركسية، فتأخذ بتطبيق هذا التناقض على الظواهر التاريخية والاجتماعية، وبشكل خاص على دراسة الظواهر الاقتصادية. فالمادية الجدلية ترى أن الفكر هو نتاج المادة، وأن المادة تسبق الوعي، وليس الوعي هو الذي يسبق المادة، وأن الوضع المادي والاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية، وأنه هو الأصل الذي تنبثق منه الأفكار والمؤسسات والنظم التي يُنشئها البشر في أطوار تاريخهم المختلفة. لذا وجد ماركس أنه أقام المنهج النقيض لمنهج هيجل، فيقول: «إذ يعتقد هيجل أن حركة الفكر، والتي يجسدها باسم الفكرة، هي مبدعة الواقع، الذي ليس سوى الصورة الظاهرية للفكرة، أما أنا فأعتقد على العكس أن حركة الفكر ليست سوى انعكاس حركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الانسان».

ولا تكون المادية الجدلية (الديالكتيكية) ممكنة دون المادية التاريخية، وذلك لسببين:

أولهما: إنه لا يمكن صياغة النظرية المادية الجدلية ما لم يتم التحقق من أن المجتمع هو أيضاً شكل لحركة المادة، خاضع في تطوره لقوانين موضوعية كقوانين الطبيعة المادية.

والثاني: لأن الاجابة الصحيحة على المسألة الأساسية في المادية الجدلية حول أولوية المادة وثانوية الوعي، غير ممكنة بدون توضيح سبب وكيفية ظهور الوعي الإنساني، والدور الذي لعبه في ذلك التطبيق العملي الاجتماعي التاريخي للناس، إذ إن الاجابة على هذا السؤال تقدّمها المادية التاريخية.

الديستوبيا Dystopia

تعني المجتمع الفاسد، أو المخيف، أو غير المرغوب فيه بطريقة ما. ويمثل النمط المعاكس لليوتوبيا، أو المدينة الفاضلة. فالديستوبيا مجتمع غير فاضل تسوده الفوضى، ليس للخير فيه مكان، يحكمه الشر المطلق، وفيه تتجسد أبرز ملامح الخراب، والقتل، والقمع، والفقر، والمرض. فهو عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته، ويتحوّل فيه المجتمع إلى مجموعة من المسوخ تناحر بعضها بعضاً.

ومعنى الديستوبيا باللغة اليونانية: البيئة الخبيثة، وهي نتاج الحكومات الشمولية، والكوارث البيئية، أو غيرها من الخصائص المرتبطة بانحطاط كارثي في المجتمع، اذ تشمل عناصر الديستوبيا القضايا السياسية، والقضايا الاقتصادية، والبيئية.

توجد الديستوبيا عادة في القصص الخيالية، لكن عادة تستخدم هذه القصص والروايات لتسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي المتعلقة بالمجتمع والبيئة والسياسية والدين وعلم النفس والقيم الروحية، وحتى التكنولوجية المتخيلة التي قد تصبح حقيقة في المستقبل. من هنا اتخذت الديستوبيا شكل العديد من التكهنات، مثل التكهن بالفقر والتلوث والقمع السياسي والانهيار المجتمعي بأشكاله.

وقد استخدم جون ستيوارت مل اصطلاح الديستوبيا في أحد خطاباته البرلمانية عام 1868 كنقيض لليوتوبيا، واستُخدمت لشجب سياسة الحكومة المتعلقة بالأراضي الأيرلندية. لكن قبل عقود من أول استخدام موثق لكلمة «ديستوبيا»، اقتُرحت كلمة «كاكوتوبيا»cacotopia ، باستخدام مفردة «كاكو» الإغريقية القديمة، وتعني سيئ، أو شرير، للمرة الأولى عام 1818 من قبل جيرمي بنثام، بمعنى المكان المتخيل لأسوأ حكومة اكتُشفت، أو وُصفت. لكن بعضهم يرى أن كلمة كاكوتوبيا تبدو بلفظها أسوأ من الديستوبيا.

ومن أشهر الأعمال الأدبية في الديستوبيا، رواية (ألف وتسعمئة وأربعة وثمانون) لجورج أورويل. وسلسلة روايات (ألعاب الجوع)، التي تتحدث عن سيطرة الحكومة على شعبها عن طريق الحفاظ على حالة مستمرة من الخوف، بواسطة معارك مستمرة تشعلها حتى الموت.

دي فولني، كونستانتان فرانسوا دى شاسبوف (1757-1820)

Constantin François de Chassebœuf , comte de Volney

فيلسوف ومؤرخ ومستشرق وسياسي فرنسي، صاغ لنفسه اسم (فولني) كإدغام لاسمي (فولتير)، و(فرني). أسهم في إدارة الامبراطورية الفرنسية الأولى، فمنحه نابليون لقب (كومت) وعينه في مجلس الشيوخ. وبعد عهد نابليون أصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وأسهم بتأسيس الدراسات الشرقية في فرنسا.

من مؤلفاته: (المناخ والتربة في الولايات المتحدة)، (رحلة إلى مصر وسوريا)، (اعتبارات حول حرب الأتراك وروسيا)، (العبرية مسهّلة)، (الألفباء الأوروبية المطبقة على اللغات الآسيوية)، و(خطاب حول الدراسة الفلسفية للغات). وله في الفكر التاريخي

وفلسفة التاريخ: (أبحاث جديدة حول التاريخ القديم)، و(أطلال الامبراطوريات أو تأملات حول ثورات الامبراطوريات).

تحدث بأسلوب روائي أن شبحاً ظهر له وكشف له سر ولادة الشعوب وتطورهم وقوانينهم وعباداتهم ودياناتهم. وجادل بأن البشر جميعهم، على اختلافهم، هم أخوة، لذا يجب أن يعملوا بجهد من أجل الوصول بقوانين الطبيعة إلى الكمال، تلك القوانين المزروعة في نفوسهم بغية إرشادهم.

حرف الراء

رالف ولدو إمرسون (1803-1882) Ralph Waldo Emerson

فيلسوف وخطيب وشاعر أمريكي، نظر إليه كثيرون بوصفه رائد الفردية، وبطل من أبطال الحرية، والرائد في مجال الثقافة الفكرية في الولايات المتحدة الامريكية.

له عشرات المقالات المطولة، جمعها في مؤلفات على هيئة سلسلة مقالات، في موضوعات مختلفة، منها: (الطبيعة)، (الرسائل والأهداف الاجتماعية)، (مسيرة الحياة)، و(رجال نموذجيون). تناولت بعض هذه المقالات أفكاره في التاريخ والفكر التاريخي، على نحو مميز، وإن بدا تأثره بفكرة هيجل الاولية في التاريخ واضحا. يرى إمرسون أن التاريخ هو «سجل أعمال العقول». ولما كان التاريخ سابقا في وجوده لوجود الإنسان، فالفكر يسبق الواقع دائما.

بعد هذا يتفرد إمرسون في فهمه للتاريخ وعلاقته بالعقل وبالإنسان، فبسبب سبق التاريخ في وجوده لوجود الإنسان، فإن كل حقائق التاريخ موجودة في الذهن الإنساني سلفا بصورة قوانين. فكل فرد هو موسوعة كاملة لحقائق التاريخ، لذا فإن جميع أنظمة الحكم التي عرفتها البشرية عبر التاريخ هي موجودة أصلا في الإنسان الاول. ولو لم تكن موجودة فيه، كامنة في ذاته، لما ظهرت تمظهراتها حقبة بعد حقبة؛ في المعسكر، والمملكة، والإمبراطورية، فالجمهورية، والديمقراطية. فكل هذه المظاهر ما هي إلا تطبيقات لروح الإنسان الواحدة الجامعة، أو الشاملة، التي تتعدد لتعدد صفات العالم وتنوع أشكاله.

لذا يرى إمرسون «أن التاريخ بمجموعه يكمن في رجل واحد». و«أن كل فرد من أفراد البشرية هو تجسيد آخر للعقل الكلي». وكلما أتى فرد جديد بخصائص جديدة، تمكنا من معرفة شيء جديد من العقل الكلي.

وعلى هذا يفسر الثورات عبر التاريخ بأن كل ثورة قد كانت في البدء فكرة في ذهن رجل واحد، وعندما تخطر الفكرة ذاتها لرجل آخر، يؤدي ذلك الى تكوين المفتاح لاستدعاء الحدث الكبير. ومن هنا يشعر كل فرد ينتمي لهذه الثورة بأنها ثورته هو.

ويذهب إمرسون الى ان القراءة العقلية للتاريخ ينبغي أن تنطلق من أساس التماثل بين القديم والحديث، لذلك يقول: «أنا لا أتوقع أن يقرأ التاريخ على الوجه الصحيح أي رجل يعتقد أن ما وقع في عصر بعيد، من قِبل رجال تردد أسماؤهم في الماضي، يحمل معنى أعمق مما يفعله هو نفسه اليوم». لذا فهو يطالب كل فرد أن يعلم أنه أعظم من الجغرافيا، وكل الحكومات، وكل العالم. عليه أن يحول زاوية النظر التي يقرأ بها التاريخ عادة، من روما وأثنا ولندن، إلى نفسه هو.

رانكه، ليوبولد فون (1795-1886) leopold Von Ranke

مؤرخ ألماني، تولى منصب المستشار الخاص بملك بروسيا، كما تم تعيينه عضو الشرف الأول للجمعية الأمريكية التاريخية.يعد رانكه رائد البحث التجربي وتحليل المصادر في التاريخ، وتعد أفكاره بداية التاريخ الحديث. أشهر مؤلفاته (تاريخ البابوات في القرنين السادس والسابع عشر)، و(حروب الثورة الفرنسية)، و(تاريخ العالم) أنجز منه ستة مجلدات، وبلغ فيه تاريخ القرن الحادي عشر، ثم أتمه مساعدوه بناء على ملاحظاته، فبلغوا فيه منتصف القرن الخامس عشر. ويعد كتابه الآخر: (تطور الشعوب الألمانية) من الأعمال الفلسفية الداخلة في فلسفة التاريخ. وجه رانكه نقده للمؤلفات التاريخية، حيث نظر إليها على أنها لا تعدو كونها مجموعة من الحقائق جمعها أحدث المؤرخين. فوضع التاريخ نصب اهتمامه، ليعمل على تطويره، ليصبح أكثر احترافاً من ناحية، وليجد تفسيرا لـ «**يد الله**» في الأعمال التاريخية من ناحية أخرى.

روبرت د. كابلان (1952-) Robert D. Kaplan

مفكر أمريكي معاصر، عمل في الصحافة مراسلاً صحفياً في معظم بلدان الشرق الأوسط على مدى 16 عاماً. له مقالات عديدة في الصحف الأمريكية. عمل مستشاراً لكبار المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية، وأستاذاً في الكليات العسكرية الأمريكية، وفي مكتب التحقيقات الفدرالي، ووكالة الأمن القومي، وقيادة الأركان المشتركة في البنتاغون، وفي العديد من الجامعات الأمريكية الكبرى.

له خمسة عشر كتاباً، اختارته مجلة السياسة الخارجية في عامي 2011 و 2012 واحداً من أفضل مئة مفكر في العالم. له في الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ: (انتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير).

يعتمد توظيف «الحتمية الجغرافية» في التنبؤ بالمستقبل القريب للعالم، ورسم التغيرات الجيوسياسية المحتملة فيه، ذاهباً إلى أن الجغرافيا تمثل ستارة خلفية لتاريخ البشرية نفسه. فإن موقع دولة ما على الخريطة هو أول ما يحددها بصورة أكثر حتى من الفلسفة الحاكمة لها. فالجغرافيا مثل الواقعية نفسها، يصعب تقبلها. فالخرائط تمثل دحضا للمفاهيم المتعلقة بمساواة ووحدة الجنس البشري، لأنها تذكرنا بجميع البيئات المختلفة للأرض، والتي تجعل البشر غير متساوين، ومفككين على نحو عميق، مما يؤدي إلى الصراع الذي تعيش عليه الواقعية.

تكتسب الجبال والقبائل أهمية أكبر من عالم الأفكار النظرية، فإن الجبال والرجال الذين يخرجون منها، يمثلان الدرجة الأولى من الواقع. أما الأفكار، مهما كانت باعثة على السمو، فهي تأتي في المرتبة الثانية.

ومهما كانت التغيرات التقنية هائلة في اختصار الزمان والمكان، فان جغرافية اليمن، مثلاً، جعلته مكاناً يصعب حكمه على الاطلاق، وعملت تضاريسه على إفساد كل

محاولات الوحدة فيه، وعلى إضعاف حكومته المركزية، وبالتالي زيادة أهمية الكيانات القبلية والجماعات الانفصالية.

وماذا عساه يمثل حقيقة أكثر محورية للتاريخ الأوروبي من كون ألمانيا قوة قارية، وبريطانيا العظمى جزيرة؟ تواجه ألمانيا كلاً من الشرق والغرب، في غياب سلاسل جبلية تحميها، ما جعلها عرضة لعديد من العلل؛ من السياسة العسكرية، إلى النزعة الناشئة إلى السلم من أجل أن تتكيف مع موقعها الخطير. أما بريطانيا، فلكونها مؤمّنة ضمن حدودها، مع توجه محيطي، فقد تمكنت من تطوير نظام ديمقراطي قبل جيرانها. ولو لم تكن بريطانيا جزيرة، لكانت مؤسستها العسكرية بنفس عجرفة مثيلاتها في القارة الأوروبية.

وفي أنموذج آخر، لماذا اكتسبت الصين أهمية أكبر من البرازيل؟ كل ذلك جاء بفعل الموقع الجغرافي أساساً. فحتى لو افترضنا أن تحظى البرازيل بالمستوى نفسه من النمو الاقتصادي للصين، وبالعدد نفسه من السكان الصينيين، فإن البرازيل لا تمتلك خطوط الاتصال البرية الرئيسية التي تربط القارات والمحيطات مثلما تفعل الصين. كما أنها لا تقع أساساً في منطقة معتدلة المناخ مثل الصين التي تمتلك طقساً منعشاً.

من هذا وغيره يدعوا إلى الانتباه بأن كل ما يحققه التقدم التقني من نجاحات في اختصار الزمان والمكان، فإن سلطة الطبيعة الجغرافية لا يمكن تجاهلها، وأننا جميعاً بحاجة إلى استعادة إدراكنا للزمان والمكان، الذي ضاع في عصر الطائرة النفاثة وثورة المعلومات.

غير أنه لا يتماهى كلياً مع أصحاب الحتمية الجغرافية المطلقة، الذين يذهبون إلى أن: «الطبيعة تفرض، والإنسان ينفّذ». إيماناً منه بأن الفاعلية البشرية تمتلك أكثر من مساحة كافية للمناورة.

روبرت فلنت (1838-1910) Robert Flint

عالم دين وفيلسوف إسكتلندي، كانت له عدة إسهامات في علم الاجتماع. له دراسة عن فلسفة فيكو. وله في فلسفة التاريخ: (فلسفة التاريخ في أوروبا وألمانيا). ثم عاد ووسع مباحثه الخاصة بفرنسا في كتاب منفصل. استطاع التوفيق بين الإيمان بالله وبين المذهب التجربي، وعارض الفلسفة المثالية التجريدية ومثالية هيجل.

روسو = جان جاك روسو

رينان، إرنست (1823-1892) Ernest Renan

مؤرخ وفيلسوف فرنسي، شغل منصب رئيس جامعة (كولج دي فرنس) منذ 1883 حتى وفاته. كتب معظم مؤلفاته في تاريخ المسيحية، وكان من أول وأشهر مؤلفاته: (حياة المسيح) الذي ذاع صيته وأثار ردود أفعال متناقضة، حيث وصف المسيح بأنه «رجل منقطع النظير» وليس نبياً.

كان رينان يعتمد إحلال مقولة «الصيرورة» محل مقولة «الوجود» في فهم الكون وتاريخ الإنسانية. فكان يرى أن العالم تحكمه «قوانين التقدم» التي بفضلها يتزايد وعي العقل الإنساني بذاته، ويرى أن غاية العالم نمو، أو تطور العقل. وأن المادة تحيا بقوة مجهود يدفعها إلى الخارج عن الفوضى، والارتفاع مرحلة تلو أخرى، إلى ظهور الإنسانية التي تهب الكون الوعي ونموذج العلة الحرة، في عملية خلق مستمرة. وعملية الخلق المستمرة هذه تتلخص بكلمة واحدة، هي «الله». فالله ليس يكون، بل يصير من خلال تقدم الإنسانية، هذا التقدم الذي سيتم بانتصار الروح على المادة.

و«الله» هو المثل الأعلى الذي تنشده الإنسانية. إنه ليس كائناً، بل هو غاية الصيرورة، وهدف التطور.

رينوفييه، شارل (تشارلز) (1815-1902) Chales Renouvier

فيلسوف فرنسي، تخرج من كلية العلوم والتكنولوجيا، لم يتول أي منصب أكاديمي، فانقطع للتأليف في الفلسفة. أسس مجلتين، هما: (النقد الفلسفي)، و(النقد الديني). وأصدر برفقة صديقه (فرنسيس بيلون) fransois pillon حولية فلسفية بعنوان: (الحولية الفلسفية). من أعماله: (الوجيز في الفلسفة الحديثة)، (الوجيز في الفلسفة القديمة)، (محاولات في النقد العام)، (علم الأخلاق)، (الشخصانية)، و(المتن الجمهوري للإنسان والمواطن).

كتب في فلسفة التاريخ: (التاريخ وحل المسائل الميتافيزيقية)، و(الفلسفة التحليلية للتاريخ).

يؤكد رينوفييه مبدأ الحرية في الأحداث التاريخية، وينفي الجبرية والحتمية في مجرى التاريخ، ويستبدل بالنظرة التركيبية للتاريخ، كما نجدها عند هيجل، نظرة تحليلية.

وكتب في فكرته هذه، لتأكيد دور الحرية في أحداث التاريخ، كتب قصة تاريخية بعنوان: (لا في زمان). رسم فيها مخططاً تاريخياً لتطور الحضارة الأوروبية كما لم يحدث، وكما كان من الممكن أن يحدث، وهو يريد أن يبين أنه لو كان الناس قد آمنوا إيماناً راسخاً صلباً بتجربتهم في عصر من العصور، بدلاً من الاقتراب من الإيمان بالحرية ببطء شديد، وعلى نحوٍ غير مشعور به، وبتقدم، لعله أن يكون جوهر التقدم نفسه، إذن لكان وجه العالم قد تغير منذ ذلك العصر تغيراً مفاجئاً. وذلك لأن الحروب الدينية ما كانت لتقوم، بسبب التسامح العام نتيجة احترام مشاعر الآخرين ومعتقداتهم. كذلك كانت الحروب التجارية ستنتهي، إذ سيتبين للدول أنَّ من المستحيل احتكار الخيرات. كذلك الحروب الوطنية للسيطرة على الدول الأخرى كانت ستخلي مكانها لتصور عادل لكل حكومة داخل أراضيها.

حرف السين

سان سيمون، كونت كلود هنري (1760-1825) Sant-Simon

فيلسوف فرنسي، وخبير اقتصادي، ومفكر اشتراكي كبير من الذين مهدو بأفكارهم للثورة الفرنسية، ومن ألمع أصحاب الفكر الثوري في تاريخ أوروبا. له عدة مؤلفات في الاقتصاد والصناعة، وله رؤية خاصة في الدين وضعها في كتابه (المسيحية الجديدة).

أطلق سيمون على ميدان اهتمامه اصطلاح «الفيزياء الاجتماعية»، ورأى أنه عن طريق التحليل الفيزيائي للمجتمع، يصبح التاريخ علماً يقينياً، كعلم الفيزياء. ومن خلال دراسة تاريخ أوروبا منذ سقوط الامبراطورية الرومانية حتى القرن الثامن عشر، رأى أن التاريخ يتلخص فى صراع متواصل بين فئتي الزّراع والصنّاع، الفلاحين والعمال من جهة، وقد أطلق عليهم اصطلاح «الطبقة الثالثة»، وبين الطبقتين الأعلى في المجتمع؛ طبقة النبلاء والإقطاعيين، وطبقة كبار رجال الدين (الإكليروس) من جهة أخرى.

وذهب إلى أنه هناك فترتين رئيستين في تطور الفكر البشري:

1. فترة الظن والتخمين اللاهوتي، غير المبني على أدلة كافية.
2. فترة الإيجابية العقلية، التي بدأها بيكون وديكارت.

وتبنى القول بـ (النظرية الآلية) في تطور التاريخ ونمو المجتمعات والدول والحضارات، والتي تقول بالتماثل بين مراحل تطور أدوار حياة الفرد، وبين مراحل تطور المجتمع. ففي عصور التاريخ المنتظمة يتحد المجتمع ويترابط سلمياً، بفعل مجموعة من الآراء والنظم. ثم تأتي بعد ذلك فترة نافدة تمهد للتغيير والتقدم، وتتميز بالنقد الاجتماعي، والمدارس الفكرية المعارضة، وعدم الاستقرار العام بالنسبة للأنظمة القائمة في المجتمع.

سانتايانا، جورج (1863-1958) George Santayana

فيلسوف وشاعر وأديب، إسباني. وبالإسبانية: خورخي سانتيانا. فيلسوف موسوعي متعدد الاهتمامات، كتب المؤلفات والمقالات حول مجموعة واسعة من المواضيع، بما في ذلك الفلسفة، والنقد الأدبي، وتاريخ الأفكار، والسياسة، والطبيعة البشرية، والأخلاق، وتأثير الدين على الثقافة، وعلم النفس الاجتماعي.

آمن بالفلسفة الواقعية المشوبة بمثالية عالية، لذا وصف بأنه فيلسوف «واقعي نقدي».

من مؤلفاته: (حياة العقل)، (حكم العقل)، (تحولات الفكر الحديث)، (أناس وأمكنة)، (فكرة المسيح في الأناجيل)، (الهيمنات والقوى)، (معنى الجمال).

يقدم في كتابه (حياة العقل) فلسفة للتاريخ تقوم على تفسير ماضي الإنسان على ضوء تطوره المثالي. فالتطور عنده هو تطور العقل في الأساس، فحياة العقل هي التي تعطي التاريخ معناه.

يرى سناتيانا أن العقل نشأ في مرحلة متأخرة من التطور، وفي المراحل الأولى لم يكن العقل سوى الغريزة، ثم أصبحت الغريزة على وعي بأغراضها، متصورة لأحوالها. ذلك أن الحياة قد عالجت مشكلة حياة الجسم في المعامل المنظمة للطبيعة، وكان العقل يكتفي بالصور التي تتراءى له، بينما كان الجسم مستمرا في أداء وظيفته. ولا يسمى العقل عقلا بمعن الكلمة إلا بعد أن يميز بين هذه الصور وبين الموضوعات، ويدرك كيف يجري عمل الجهاز العضوي.

فبينما تعتمد الغريزة على الأمور الحاضرة، يستطيع العقل أن يستدعي الأفكار، ويقترح تسهيلات في العمل، ويوازن بين مختلف الاحتمالات، ويقدم أفكاراً ثمينة تتحول

إلى عادات وأعراف، وعن هذا الطريق تصبح للعقل حياته الخاصة به. ولكي يبلغ العقل نضجه هذا، فقد مر بخمس مراحل:

الأولى؛ العقل في الإدراك العام: حيث يتعلم العقل كيف يميز الطبيعة الثابتة القابلة للتنبؤ بها، ويدرك النظام والانتظام، ويلاحظ ما يتكرر، وما هناك من عادات.

الثانية؛ العقل في المجتمع: حيث يتابع مجرى ارتباطات الفعل الإنساني، بكل تنوعاتها ومستوياتها، ابتداء من روابط الأسرة، حتى تكوّن التجمعات والقبائل والشعوب والمدن.

المرحلة الثالثة؛ العقل في الدين: الدين، في نظر سانتايانا، مرحلة وسطى بين الخيال غير المسؤول، وبين الحقيقة. يلعب الدين في تاريخ التقدم الأنساني دوراً حضارياً، لكن وسط ظروف معوّقة، لأنه يعتمد على الخيال بدلاً من العقل والمنطق والتجربة. وليس لنا أن ننبذ الدين بوصفه خرافة، ولا أن نؤوله تأويلاً عقلياً لينطبق مع العلم.

المرحلة الرابعة؛ العقل في الفن: يسعى الفن إلى صياغة المثل الأعلى في العمل الفني الذي يبدعه، لذا فإن كل عمل فني هو خطوة على طريق تحقيق الغرض من الحياة العقلية.

المرحلة الخامسة؛ العقل في العلم: هنا تبلغ حياة العقل نتيجتها المنطقية، لأن العلم هو ذروة المثل الأعلى العقلي، وعلى ضوئه يتم تفسير سائر أوجه الحياة الإنسانية.

وكان سانتايانا يحمل أفكار التفوق العرقي ومفاهيم تحسين النسل، التي لا تشجع الأعراق التي يعتقد أنها متفوقة على التزاوج مع السلالة الأدنى.

من أقواله الشهيرة: «أولئك الذين لا يستطيعون تذكر الماضي، محكومٌ عليهم تكراره».

سبنسر، هربرت(1820-1903) Herbert Spencer

فيلسوف بريطاني، أحد مؤسسي علم الاجتماع، والأب الثاني له بعد اوغست كومت. وصفه بعضهم بـ «أرسطو القرن التاسع عشر»، وهو أول من أطلق اصطلاح (البقاء للأصلح) الذي اعتمده دارون ونسب إليه. من أهم مؤلفاته: (أسس علم الحياة)، و(أسس علم النفس)، و(أسس علم الاجتماع)، (معطيات الأخلاق)، و(المبادئ الأولى).

اشتهر بنظريته عن التطور، وقد استند على هذه النظرية في وضع الأسس لنسق ومنظومة اجتماعية (سوسيولوجية) تؤكد التطور تجاه تعقيد اجتماعي متزايد وارتفاع درجة الفردية. فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد، يتصف بحالة من التوازن الدقيق، وينبغي ألا يسمح إلّا لعملية التطور الطبيعية بالتأثير في نموه.

ولقد أدى هذا التأكيد على الفردية والتكيف الطبيعي إلى معارضة الإصلاح من خلال تدخل الدولة. فإنّ تقدم التطور من البسيط المتجانس غير المتمايز، إلى المعقد المتمايز غير المتجانس، يتضح ويتمثل بتطور المجتمع. وعلى أساس هذه النظرية ميز سبنسر بين نوعي المجتمع: (المجتمع المكافح)، و(المجتمع الصناعي) بشكل يتوافق مع تقدم التطور، فالمجتمع المكافح الذي تطغى عليه علاقات التسلسل الهرمي والانصياع، بسيط وغير متمايز. بينما يكون المجتمع الصناعي القائم على أساس من الالتزامات الاجتماعية الطوعية، معقداً ومتمايزاً.

وإن التطور الاجتماعي والثقافي يتفق مع قوانين التطور الكوني، فهناك تكامل تدريجي للمادة، يعقبه تميز تام بين الأجزاء.

عارض سبنسر نظرية (العناية الإلهية)، فالتاريخ عنده ليس خاضعاً لتوجيه الله وإرادته، وحتى الإنسان لا يستطيع التخطيط له والتحكم به. فتطور المجتمع هو عملية

طبيعية تماماً، كتطور الكون في مجموعه. وذهب سبنسر الى أن هناك ثلاث مراحل رئيسية للتطور الاجتماعي عبر التاريخ البشري:

1. مرحلة المجتمع القَبَلي، الذي نشأ من الجماعات الصغيرة المنتشرة.

2. عصر القوة العسكرية، الذي اندمجت فيه المجتمعات القبلية الصغيرة نتيجة الحروب، لتكوّن دولاً.

3. العصر الصناعي، وفيه كرس الجهد الاجتماعي قبل كل شيء لتحقيق الأهداف الصناعية والانتاجية.

سدني هوك (1902-1989) Sidney Hook

فيلسوف أمريكي، تتلمذ على يد جون ديوي، وأصبح أستاذاً للفلسفة في جامعة نيويورك. له إسهامات في فلسفة التاريخ وفلسفة التعليم والنظرية السياسية والأخلاق. له أكثر من عشرين كتاباً، واثنان وستون مشاركة في مؤلفات أخرى جماعية. كان ماركسيا، فكتب: (فلسفة المقاومة الجديدة)، (نحو فهم كارل ماركس)، و(من هيجل إلى ماركس). ثم تحول براغماتياً، وكتب: (الفلسفة والتاريخ)، و(البطل في التاريخ).

في كتابه الأخير ذهب إلى أن التاريخ يصنعه الأبطال العظماء، فهم القادرون على أداء الفعل البطولي الذي يقود الى التغيير وصناعة واقع جديد، وبدء مرحلة جديدة في التاريخ. لكنه اختلف عن توماس كارليل، حيث ذهب مذهباً أكثر واقعية، فلاحظ أن الأحداث التي أدى إليها مثل ذلك الفعل البطولي قد تقررت بواسطة النواميس التاريخية في الفترة التي ظهر فيها البطل، أو بواسطة احتياجات تلك الفترة.

وتختلف تسمية هذه الاحتياجات باختلاف الفلسفة التي ترسمها، فقيل هي

احتياجات «ميتافيزيقية» أو «مثالية» أو «ثقافية» أو «سياسية» أو «اقتصادية». وجمعها سدني هوك تحت اصطلاح «الاحتياجات الاجتماعية». فهذه الاحتياجات خليقة بأن تبعث من أعماق الجنس البشري بطلاً ما، تكون رسالته أن يؤدي المهمة التاريخية التي تتطلبها المرحلة التي يظهر فيها.

وعلى هذا فإن العظماء ليسوا هم الذين يصنعون التاريخ ويكيفونه بقدراتهم الخارقة، إنما تستدعيهم الأزمنة العظيمة، وهي تلك الفترات الانتقالية التي ينهض فيها الجنس البشري من مستوىً ما من مستويات الحرية والتنظيم إلى مستوى آخر.

فهذه الرؤية إذن لا تنفي دور البطل في التاريخ، ولا تنكر ضرورته، ولكنها وضعته ضمن النسق التاريخي، فهو لا يستطيع أن يفعل إلاّ ما تسمح به حضارته، فهو أداة للقوى التاريخية والاجتماعية، وليس صانعاً لها.

وقد ميز سدني هوك بين صنفين من الأبطال: البطل رجل الأحداث، والبطل صانع الأحداث. وهما يشتركان في أنّ كلاًّ منهما يظهر في الفترات الشائكة من التاريخ، حيث يكون اتجاه الأحداث السابقة قد مهّد لكل منهما مجال العمل. لكنهما يفترقان عند مستوى التمهيد هذا، فمع رجل الأحداث يكون التمهيد قد بلغ مرحلة متقدمة جداً، فلا يتطلب الخيار الحاسم غير فعل بسيط نسبياً، قد ينجح رجل الأحداث أن يؤدي دوره فيه ببراعة، أما صانع الأحداث فهو الذي يجد تشعباً في الطريق التاريخي، فيعمل على زيادة فرص نجاح الطريق الذي اختاره، بفضل المؤهلات الاستثنائية التي يستخدمها لإدراك النجاح. وهذا الأخير هو الذي يترك طابع شخصيته الإيجابي على التاريخ.

سوريل، جورج (1847-1922) Georges Sorel

فيلسوف وعالم اجتماع ومهندس فرنسي، تخرج من مدرسة الصناعات والفنون بباريس، واشتغل بهندسة الطرق والقناطر إلى أن بلغ الخامسة والأربعين، وحصل باجتهاده وأمانته على وسام فرقة الشرف، ثم ثقلت على نفسه آفات الفساد والاختلاس فترك الهندسة، وعوّل على الدعوة إلى إصلاح المجتمع، فكانت له فلسفته الخاصة، ونزعته الثورية المتمردة الخاصة. ولهذا تمرد على مذهب داروين، وعلى تقديس العلم والعقل، وعلى عصمة الحياة النيابية، كما تمرد على الشيوعية الماركسية.

ويعتبر سوريل أستاذاً لكثير من الكتاب في فلسفة الحكم والسياسة، وكان موسوليني يقول: «إن الذي جعلني أنا ما أنا، لست مديناً به لنيتشه ولا لوليام جيمس، بل لسوريل».

له مؤلفات عديدة، منها: (مدخل إلى الاقتصاد الحديث)، (حول فائدة الذرائعية)، (المستقبل الاشتراكي للنقابات). وفي الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ، كتب: (مذهب رينان التاريخي)، (انهدام العالم القديم)، (أوهام التقدم)، (مبادئ نظرية بروليتارية)، و(تأملات في العنف). قال سوريل بتنازع القوة والسيادة بدلا من تنازع البقاء، وقال بالدورات التاريخية بدلاً من التقدم المطرد في أدوار التاريخ.

وخرج من تعقيبه على تواريخ النهضات جميعا بفكرة لازمته طوال حياته، وهي أن نهضات الأديان والحضارة كانت على الدوام من عمل نخبة قليلة تفرض مشيئتها على الكثرة الكبرى، فتنقاد لها كما ينقاد القطيع لرائده أو لراعيه. اعتقد أن آفة الإنسانية في زمانه هي الاستكانة إلى الدعة، والركون إلى الرغد والرخاء، وتهيّب الإقدام على أخطار البطولة والفداء، وهي الأخطار التي لا غنى عنها لاستنقاذ «المجتمع البشري» من الإسفاف والابتذال والنهوض به إلى المُثل العليا وعظائم الطموح والآمال الجسام.

لذا كان يرى أنه من الواجب أولا أن تنصرف الجماهير عن لغط الديمقراطية، وتلتف حول راية واحدة، ثم تسعى بها النخبة المختارة إلى غايتها المنشودة.

وهو رغم مخالفته لكارل ماركس، يؤمن بقوة العوامل الاقتصادية، ويستند إليها في اختيار الحركة التي تؤدي إلى الإصلاح، فلا بد من التعويل على طبقة اقتصادية لإنشاء المجتمع الجديد، ولن تكون هذه الطبقة بالبداهة الطبقة العليا، لأنها هي التي فسدت وجنت بفسادها على المجتمعات الحاضرة. ولن تكون هي الطبقة الوسطى، لأن أوساط الناس يتحرون الأمثلة العليا التي يتحراها علية الناس ولا يجدون في شؤون معاشهم موضعا لفكرة جديدة يجرون وراءها لتقويض مجتمع وإقامة مجتمع في مكانه. فلم يبق إلا سواد الدهماء من الأجراء والمعوزين للنهوض بأمانة الرسالة الجديدة وراء هذه «النخبة المختارة».

لذا فهو لا يؤمن ببرامج التثقيف ونشر الوعي كأداة للتغيير، لأن أمثال هذه البرامج، في نظره، لا تُقدم ولا تؤخر في حوادث التاريخ، ولا يبلغ من أثرها أن تستجيش نفوس الجماهير وتُلهب فيها الحماسة والنخوة، وترتفع بها إلى روح الفداء والاستشهاد. إنما اللازم في هذه الحالة: «خرافة» أو «أسطورة» أو «أمثولة» أو «فكرة ساحرة». ولا يلزم عند عرض هذه الفكرة إلا أن تروق للسامعين بصيغتها، وتلقي في روعهم أنها قابلة للإنجاز في جملتها. ومهمة «النخبة المختارة» هي توكيد هذه الفكرة بالتكرار والتعزيز والعمل الذي لا يحجم عن العنف إذا اقتضاه.

سيمل، جورج (1858-1918) Georges Simmel

فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، أستاذ جامعي، رُقي في عام 1901 إلى رتبة أستاذ استثنائي (أستاذ كامل ولكن دون كرسي). شارك ماكس فيبر، وفرديناند تونيس في تأسيس

الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع، حيث عمل عضواً في أول هيئة تنفيذية لها.

له مؤلفات عن كل من (كانط)، (غوتيه)، (رامبرانت)، (شوبنهاور)، و (نيتشة). وله أيضا:(علم الاجتماع)، (الدين)، (فلسفة المال)، (حدس الحياة)، و(مشكلات الفلسفة الأساسية). وفي فلسفة التاريخ كتب: (صراع الثقافة المعاصرة)، و(مشكلات فلسفة التاريخ)، في ثلاثة أجزاء، يتناول فيها: الشروط العامة للبحث التاريخي، وقيمة القوانين التاريخية، ومعنى فلسفة التاريخ.

بحث سيمل مشكلة السلطة والطاعة في سياق علاقة انتقالية، وكيفية تأثر الناس بالعيش في البيئات الحضرية، وكيف يؤثر المال على المجتمع، والحدود الاجتماعية التي تتشكل من الرغبة في البقاء داخل منطقة الراحة الشخصية. وجادل بأن كل شيء يتفاعل مع كل شيء آخر بطريقة معينة، بحيث يمكن أن يصبح المجتمع قابلاً للتنبؤ استناداً إلى التناقضات والصراعات والازدواجية التي قد تكون موجودة.

سيوران، إميل (1911-1995) Emil Cioran

فيلسوف روماني، اشتهر بنقد الفلسفة، وبالرؤية السوداوية، لذا كان مهتماً بأفكار شوبنهور ونيتشه. له مؤلفات بالرومانية وبالفرنسية، أهمها: (المياه كلها بلون الغرق)، (اعترافات ولعنات)، (صانع الكون الشرير)، (لو كان آدم سعيداً)، (على مرتفعات اليأس)، و(تاريخ ويوتوبيا).

في كتابيه (تاريخ ويوتوبيا)، و(صانع الكون الشرير)، وفي حواريته مع ليو جيلي، ينثر سيوران أهم أفكاره في فلسفة التاريخ. وهي بالإجمال رؤية سوداوية ناتجة عن رؤيته لطبيعة البشر الشريرة.

يستمد سيوران مرجعياته من النصوص المؤسسة التي تكشف على نحو ما عن

معنى التاريخ المشترك للشعوب والأمم، بدءاً بالنصوص الأولى كالملاحم والأساطير والأناشيد البابلية، والهندية، والفارسية، والإغريقية، واللاتينية القديمة، واخبار الأوائل كسقراط، ولاتسو، وأصحاب الأناجيل، وغير ذلك من المراجع التي تحمل معنى إنسانياً مشتركاً، لا يخص حقبة معينة، أو أمة معينة، أو شعب معين دون غيره من الشعوب.

يخلص سيوران إلى أن للتاريخ مجرى يسير فيه ويتبعه، لكن ليس للتاريخ معنى. معتمداً أمثلة ذات دلالة في مجرى التاريخ؛ فلماذا فتحت الامبراطورية الرومانية العالم كله، تاركة وراءها المجال للجرمانيين البرابرة لاجتياحها وهدمها؟

لماذا شقيت أوروبا لمدة قرون طويلة من أجل تأسيس حضارة كان واضحاً أنها مهددة بالزوال من داخلها؟ هكذا هو التاريخ الكوني، يرى سيوران، أن كل حضارة في لحظة معينة تنضج للاختفاء. فالتاريخ إذن له مجرى وسيرورة، لكن ليس له معنى.

إن الرغبة في السيطرة على العالم تنبثق من دفع بدئي، ومن أعماق تكاد لا تبين، وهي لا تظهر إلاَّ لدى أفراد معينين، وفي عصور معينة، دون ارتباط بنوعية الأمة التي تظهر فيها. إلاَّ أن هذه الأعماق وذلك الدفع، قابلان للنضوب والإنهاك؛ شارلمان، وفردريك الثاني، وشارل الخامس، وهتلر، كلهم راودتهم تلك الرغبة، كلٌ على طريقته، في تجسيد إمبراطورية كونية، ونجحوا جميعاً في الفشل، كلٌ على طريقته.

فالامبراطوريات إذن يبنيها الطغاة، يقول سيوران: «إني أرى أن الطغاة، وإن كنت أمقتهم، هم الذين يصنعون التاريخ، ولولاهم ما كان لأحد أن يتصور كيف تنشأ، ولا كيف تُسيّر إمبراطورية. إنهم بفضاعتهم الفائقة، وبهيمنتهم الملهمة، لميثلون الإنسان وقد دفع إلى حدوده القصوى، إلى أقصى درجات حقاراته ومزاياه».

والإمبروطورية، لكي تقوم وتستمر، هي بحاجة إلى الرعب كمبدأ تماسكي لتأمين بقائها، وما إن تنفتح على التسامح حتى يدمر وحدتها وقوتها. ذلك لأن التسامح ليس مرادفاً للحرية فحسب، بل هو مرادف للروح أيضاً، والروح أشد وبالاً على الامبراطوريات منها على الأفراد، فهي تقرضها وتهد صلابتها وتعجل بتآكلها، بل لعلها الأداة التي تضربها بها عناية إلهية ساخرة. فكلما تأنسنت الامبراطورية، تناسلت داخلها التناقضات التي تتسبب في هلاكها. ذلك لأن الطبيعة الإنسانية مجبولة على الأنانية، فنحن لا نتصور الحرية إلاَّ لأنفسنا، ولا نبسطها على القريبين منا إلا بشق الأنفس وكبح جماح الذات، لذا يرى سيوران هشاشة الأنظمة التي تدعو إلى التسامح والمساواة، لأنها تقوم على تحد لغرائز البشر. ولذلك أيضاً فإن الحريات لا تزدهر إلاَّ في جسد اجتماعي مريض، في كنف نظام محتضر، حيث تشرع الطبقة الحاكمة في الأفول والذوبان.

حرف الشين

شاتليه، فرانسوا (1925-1985) Fransois Chatelet

فيلسوف ومؤرخ للفلسفة ومفكر في التاريخ، فرنسي معاصر، أستاذ بجامعة باريس، زوج الفيلسوفة نويل شاتليه. من مؤلفاته: (اللوغوس والممارسة)، (هيجل)، (أفلاطون). وله في الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ: (ميلاد التاريخ)، و(تاريخ الأيديولوجيات).

كان ماركسياً متحرراً، اعتمد نظرية صراع الطبقات، لكنه آمن بأن التطور والصراع الطبقي لا يمكن أن يسجنا بقوانين محددة، بل هما يخضعان لعوامل تاريخية واجتماعية غير محددة، وغير أكيدة. ومن هنا آمن بأن العلاقة بين الأيديولوجيا وبين الحقيقة الواقعة، ليست علاقة أكيدة، وأن التطابق بينهما ليس حتمياً، بل هناك دائماً فارق بين سير الحياة وبين الأيديولوجيا التي تفسرها.

كتابه (تاريخ الأيديولوجيات) وضعه في ثلاثة أجزاء، وقسم فيه التاريخ إلى ثلاثة عصور، وأفرد جزءاً لكل عصر:

1. عصر العوالم الإلهية، حتى القرن الثامن الميلادي.
2. عصر التحول من الكنيسة إلى الدولة، من القرن التاسع حتى القرن السابع عشر.
3. عصر المعرفة والسلطة، من القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين.

شارل كريستيان فردريك كراوز = كراوز

شاف، آدم (1913-2006) Adam Schaff

فيلسوف وعالم اجتماع بولوني معاصر، عاش طويلاً في المنفى في الاتحاد السوفيتي، شارك في أبحاث الفلسفة في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي. وبعد عودته إلى بولندا أصبح أستاذاً بجامعة وارسو، وأصبح مديراً لمعهد العلوم الاجتماعية، ومعهد الفلسفة وعلم الاجتماع التابع لأكاديمية العلوم البولندية، وعمل كأستاذ زائر في جامعة فيينا.

تميز بحريته الفكرية وقدرته النقدية، نجح في تطوير فلسفة ماركسية بمعنى كلمة فلسفة، أسهم في تطوير نظرية المعرفة بتأكيده على دور العامل الذاتي.

له مؤلفات عديدة، منها: (اللغة والمعرفة)، (الماركسية والوجودية)، (الماركسية والفرد)، (البنيوية والماركسية)، (مشكلات النظرية الماركسية في الحقيقة)، و(مدخل إلى علم الدلالة). وفي فلسفة التاريخ كتب: (الطابع الموضوعي لقوانين التاريخ).

آمن فيه بأن قوانين التاريخ شبيهة بقوانين العلوم الوضعية، لذا فالتاريخ علمٌ قائم بحد ذاته، يبين لنا الجدلية كواقع حتمي للتطور المجتمعي.

شبنجلر، أوسفلد (1880-1936) Oswald Spengler

مؤرخ وفيلسوف موسوعي ألماني، عاش كعالم منعزل محدود الثروة، ولم يكن يمتلك كتباً، وعمل كمدرس أو كاتب في المجلات لكسب دخل إضافي. من مؤلفاته: (البروسية والاشتراكية)، (إعادة بناء ألمانيا)، و(سنوات حاسمة).

وفي فلسفة التاريخ له كتابه الشهير: (أفول الغرب) أو (انحلال الغرب)، وصف فيه الحضارات بالدوائر المغلقة على نفسها، والتي تمر بدورة حياة واحدة، مطابقة لدورة حياة

الإنسان، في مولده، وشبابه، وشيخوخته، ثم موته. ولدورة حياة النبات في ربيعه، وصيفه، ثم خريفه، فشتائه. ولما كان من خصائص كل حضارة أنها مغلقة على نفسها بخصائصها المميزة لها والنابعة من روحها الخاصة، فلا قيمة إذن للتأثر والتأثير بانتقال خصائص حضارة إلى حضارة ثانية، ولذا فليس في التاريخ ما يسمى استمرارية، فلا مكان إذن لنظرية التقدم في التاريخ.

التاريخ ليس مساراً متصلاً وخطاً مستمراً، إنما هو مسرح لعدد كبير من الحضارات العظمى، تنمو بقوة كونية في بطن بيئة بمثابة الأم لها. ولكل منها فكرتها، وعواطفها وحياتها، وإرادتها، وشعورها، وموتها الخاص بها. ولها- بكل ما تحتويه من خصائص ومكونات. نموّ وشيخوخة، كما أن لأنواع النباتات نموّ وشيخوخة.

ولاحظ شبنجلر في التاريخ ثمانية حضارات رئيسية تستحق الدراسة بصورة متكافئة، وهي:

(1) الحضارة المصرية. (2) الحضارة البابلية. (3) الحضارة الهندية. (4) الحضارة الصينية. (5) الحضارة اليونانية - الرومانية. (6) الحضارة العربية (الإسلامية). (7) الحضارة الغربية (الأوروبية - الأمريكية). (8) (الحضارة المكسيكية).

وللحضارات جميعاً، كما للأفراد، سياق واحد تسير عليه، فإذا استطعنا تعيينه بالنسبة إلى واحدة من الحضارات، استعطنا تعيينه لسائر الحضارات الأخرى، بل أصبح ميسوراً لنا حينئذ أن نعرف الأدوار التي ستمر بها أية حضارة سيُقدّر لها أن توجد في المستقبل. كما يكون من المُيَسّر أيضاً أن نتنبأ بما سيجري للحضارة الموجودة الآن على الأرض، ويتم هذا السياق على النحو الآتي:

تولد الحضارة في اللحظة التي فيها تستيقظ روح كبيرة، وتنفصل عن الحالة الروحية

الأولية للطفولة الإنسانية الأبدية. وتموت الحضارة حينما تكون الروح قد حققت جميع ما بها من إمكانيات، على هيئة شعوب، ولغات، ومذاهب دينية، وفنون، ودول، وعلوم. ومن ثم تعود إلى الحالة الروحية الأولى.

تُولّد الحضارة إذن روحاً زاخرة بالإمكانات والقوى الخصبة المتوثبة للتحقق، في بيئة تشيع فيها قوى عديدة في حالة فوضى مطلقة، فتبدأ بتوكيد صورتها ضد هذا الخليط واللاشعور، فتاريخها هو تاريخ هذا النضال الشاق العنيف بينها وبين هذه القوى. وتتحقق الحضارة حينما تفلح في تنظيم هذا الخليط حتى يكون على صورتها، وتدفع القوى التي تعترض سبيلها. وعلى هذا النحو تستمر الروح في نضالها، وطالما كانت تنطوي في باطنها على قوى خالقة، استمرت في هذا الخلق، وظلت تخوض النضال. أما إذا فقدت قواها الخالقة؛ إما باختناقها تحت تأثير روح أُخرى أقوى منها وأخصب، وإما لأنها بلغت غايتها، وحققت صورتها النهائية، ولم يعد باستطاعتها أن تعلو على الحد الذي بلغته، ينضب دمها، وتتحطم قواها، ويتحجّر كيانها، فتصبح «مدنية» بعد أن كانت «حضارة». لكن «المدنية» قادرة على البقاء زمناً طويلاً، قروناً أخرى، كما تبقى الشجرة، التي استنفد عصارتها الزمن، سنوات طوالاً لا تزال تمد فيها أغصانها التي أصبحت فريسة للسوس. وهذا هو عهد شيخوختها، أو خريفها، وأخيراً بعد أن تصبح منهوكة القوى، خالية من العصارة، تفقد الرغبة في الوجود، فتطمع بالعودة إلى عهودها الأولى، فتستهويها عندئذ نزعة دينية صوفية غامضة.

ويختص شبنجلر برؤية خاصة في الطبقات والصراع الطبقي، رؤية مختلفة عن رؤية المادية التاريخية، فهو يرى أن لكل أمة، طالما كانت تحيا وتناضل، دولة. ولا تكون الأمة ذات دولة «لها صورة» إلاّ إذا كانت مكونة من طبقتين، لا أكثر ولا أقل، هما: طبقة النبلاء، وطبقة الكهنوت. وطبقة النبلاء هي التي تصنع الحضارة بانتصارها على طبقة الفلاحين

السابقة على ميلاد الحضارة، ثم تظهر بعد ميلاد الحضارة طبقة الكهنوت، أو رجال الدين، وتستمر هاتان الطبقتان في ربيع الحضارة، وصيفها، ثم تفقدان سيادتهما شيئاً فشيئاً مع ظهور طبقة ثالثة، هي طبقة «البرجوازية». لكن التاريخ ذا الطراز العالي كان دائماً رد فعل لوجود طبقة النبلاء، فإذا زالت طبقة النبلاء، لا باعتبارها أصلاباً، بل باعتبارها تقاليد حية، زال التاريخ، فانتقل من دور الحضارة إلى دور المدنية، وهو في هذا الدور الأخير تاريخ سطحي متجه نحو غايات مشتّتة متنافرة، لا تحكمه صورة، ولا يخلق منظوراً باستمرار.

وسر التحول في طبقتي النبلاء والكهنوت هو التغيّر في فكرة الملكية، وفي فكرة النظرة في الوجود. فالملكية إما أن تكون للقوة أو تكون للغنيمة، فمعنى القوة هو الذي يسود ويسيطر في الدور الأول من الحضارة، أما في دور المدنية فالسيادة المطلقة تدريجياً للغنيمة. ومن الشعور بالقوة ينشأ الغزو والسياسة والقانون، ومن الشعور بالغنيمة تنشأ التجارة والاقتصاد والمال. لذا يكون «السياسي» هو ممثل الملكية في الدور الأول، و«رجل الأعمال» هو ممثلها في الدور الثاني. والسياسي يهدف إلى جعل الحياة الاقتصادية من اختصاص الدولة، بينما يريد رجل الأعمال دولة ضعيفة تخدم أغراضه. وفي كل حضارة توجد في البدء نبالة مربية ونبالة تاجرة، ثم من بعد نبالة أرض ونبالة نقد، وأخيراً خطط حربية واقتصادية، ومعركة مستمرة بين النقد وبين القانون.

ثم تتغير طريقة النظر في الوجود، بأن تستحيل العلّية المقدسة إلى علية علمانية أو طبيعية آلية. ويتطور العلم حتى يدعي حلوله نهائياً محل الدين، فيكون الممثل للنظرة في الوجود العالِم المدني العلماني، بعد أن كان رجل الدين. والبرجوازية هي الطبقة الجديدة التي ستمثل هذا الانقلاب في نطاقي «الملكية» و«النظرة إلى الوجود»، وسيزداد سلطانها عندما تنتقل المدنية من دور المدينة فقط، إلى دور «المدينة الكبرى»، إذ إن سلطة النقد ستكون أوسع مدى، لتصبح هي القوة الروحية الجديدة والتعبير عن الوجود الواعي الذي فقد كل جذوره.

وأخيراً تأتي «المدينة العالمية» وهي روح خالصة قد تمردت نهائياً من كل صلة بالبيئة، فتحدث عندئذ ظاهرة على جانب عظيم من الخطورة، هي عُقم رَجل المدنية. وهي ظاهرة تدل على أن الوجود قد تحوّل بوجهه نحو الموت، لأنه سَئِم الحياة وفقد الخوف من الموت، ولم يعد الإنسان يشعر بأن عليه واجباً نحو الدم، عندئذ يُشرف دور الحضارة على الزوال.

يتابع شبنجلر تطور هذه الأدوار في الحضارة الغربية، ليخلص إلى أنها قد طوت هذه الأدوار كلها وأنها الآن تعيش دورها الأخير، حيث تعالت الصيحات ضد طغيان الآلية، ونشطت الدعوات إلى تعديلها بنزعة روحية، ثم جاءت موجة هائلة من المذاهب التي يسودها اللامعقول والخوارق فطغت على الحياة الفكرية، وشاعت روح اليأس من الحياة في كل مكان، وهكذا دخلت أوروبا عصر شتائها، فالذي تعانيه أوروبا ليس هو أزمة طارئة، بل هو المصير الكارثي الذي سينهي مأساتها هذه حينما يحكم عليها بالأُفول والفناء.

شليجل، كارل ويلهام فردريك فون (1772 - 1829) Carl Wlh-ham Fridrich Shligel

فيلسوف وأديب وشاعر ألماني، أسس هو وشقيقه، أوغست، مجلة أثينيوم الألمانية، مسهما بملفات وأمثال ومقالات احتوت مبادئ المدرسة الرومانسية، والتي تعرف حالياً بشكل عام على أنها أعمق وأشمل تعبيرات المثالية الذاتية لدى الرومانسيين الأوائل.

في كتابه «فلسفة التاريخ» قدم أهم دراسة تطبيقية في فلسفة التاريخ وفق الرؤية المسيحية. ذهب إلى أن المشكلة الرئيسية في الفلسفة هي التوصل إلى كيفية إعادة الوحدة والانسجام لحياة الإنسان الباطنية، وكيف يستطيع الإنسان في شخصيته البشرية

أن يتصور الرب في صورته المفقودة. وأن مهمة التاريخ الأساسية هي تتبع ما بذله الجنس البشري من محاولات لتصحيح تصوره للإله. وقرر أن فلسفة التاريخ، من حيث هي روح التاريخ أو فكرته، يجب استخلاصها من الحوادث التاريخية الحقيقية، مجموع التاريخ.

ومن خلال تطبيق رؤيته الدينية لاحظ أن تاريخ الحضارة الإنسانية ليس سوى تاريخ اكتمال تدريجي، ومتقدم، باتجاه ترميم القضية الأساسية في طبيعة الإنسان، وهي التشبه بالله. ذلك أن النزاع بين المبدأ الطيب والإلهي، وبين المبدأ السيء أو الضد هو بكل دقة، الذي يمسك بالحياة وبالتاريخ البشريين منذ بداية الأزمنة إلى نهايتها. وكل ذلك تجري ملاحظته من خلال العقائد المسيحية الجوهرية، والتي بدونها لا يكون تاريخ البشرية كلها سوى لغزاً لا يُفقه له كنه، وستبقى مأساة التاريخ البشري العظيمة مجردة من أية حقيقة خاصة. ذلك ما يقرر ضرورة تلمّس سر النعمة الذي ينطوي عليه الخلاص الإلهي للبشرية. وذلك عن طريق دراسة ما بذلته العناية الإلهية من جهد في سبيل خلاص البشرية وطهرها على مر العصور، منذ الوحي الإلهي الأول، حتى الخلاص الأوسط ومجيء المسيح، ومنه إلى الكمال النهائي.

شيلنج، فردريك ويلهم جوزيف فون (1775-1854) Friedrich Wilhelm Shelling

فيلسوف ألماني وأستاذ جامعة يينا، معقل الفلسفة الألمانية، يضعه تاريخ الفلسفة على خط تطور الفلسفة المثالية، بين معلمه في سنواته الأولى يوهان غوتليب، وبين زميله الجامعي فردريش هيجل. تنقل في عدة جامعات ألمانية، ثم أصبح رئيس قسم الدراسات الفلسفية في أكاديمية العلوم، ومنح لقب «فارس»، ثم محافظاً عاماً لمجموعة الدولة العلمية، ثم رئيساً لجامعة بافاريا، ثم أصبح خليفة هيجل في جامعة برلين.

جمعت فلسفته المثالية بين مذهب الباطنية الرشيدة، وبين الإيمان بالتقدم عن طريق الرعاية السماوية. في كتابه (النظام المثالي التجريدي) حاول، متأثراً بآراء فيخته، الجمع بين خبرة البشرية وذكائها، وبين الطبيعة ومؤثراتها، وبيان تعاونهما في سبيل الكشف عن الوجود المطلق. فالطبيعة عنده روح منظورة، والروح طبيعة غير منظورة. وكلاهما يتقدم باستمرار في تتابع منتظم، وعلى مراحل وصور متدرجة. والتاريخ ليس إلاَّ عملية رؤيا ذاتية للوجود المطلق.

والتطور في التاريخ يختلف عن التطور في الطبيعة، فالتطور في التاريخ ليس له مراحل ثابتة، ولا يصل إلى هدف نهائي، بل هو يمضي إلى غير نهاية، فهو في تقدم متواصل. والتقدم هو تقدم النوع الإنساني، فالأفراد والأجيال تمضي وتتغير، لكن النوع الإنساني باق، وهو الذي يتقدم ويتخذ من كل مرحلة قاعدة للارتقاء إلى مرحلة أعلى، فالنوع هو الذي يتقدم مع تواصل الأجيال. لكن هذا التقدم لا يعني استمرار اكتمال الإنسان إلى غير نهاية، فهذا أمر لا نستطيع أن نقرره، لكن غاية التقدم، أو مآله هو النشوء التدريجي لدستور عالمي واحد يسود العالم بأسره. فالنشوء التاريخي لدستور عالمي، هو الأساس الوحيد للتاريخ، والموضوع الحق الوحيد للتاريخ.

آمن إذن بنظرية التقدم في التاريخ، وبأن التاريخ له غاية سيبلغها، لكن دون أن تكون للتاريخ قوانين يمكن على ضوئها التنبؤ بسيرورته، ذلك لأن الحرية، وليست الضرورة، هي التي تسود في التاريخ.

وبما أن موضوع التاريخ هو الحرية التي تريد أن تكون مؤمّنة عن طريق النظام، لئلا تكون فوضى، فلا ضمان للحرية إلاَّ بهذا القانون العام. وكلما تقدم تطور النوع الإنساني، اتضح التوفيق بين الحرية وبين القانون العام، وقلّت الانحرافات والاضطرابات الناشئة عن الأهواء الفردية.

إضافة إلى هذا، آمن شيلنج بتجلي القوة الإلهية في العالم، وفي ضوء هذا التجلي، يقسم التاريخ البشري إلى ثلاث مراحل، أو ثلاثة عصور:

1. المرحلة التي تحكمت فيها عوامل القدر أو المصير، وهي مرحلة الامبراطوريات القديمة.

2. المرحلة التي أفسح فيها القدر المجال للطبيعة، فكانت السيادة للقانون، مما أدى إلى انتظام أمور البشر. وبدأت هذه المرحلة بتوسع روما وفتوحاتها.

3. مرحلة المستقبل، التي سوف يثبت فيها تولي العناية الإلهية لأمور البشر، وهو عصر لا نعلم متى سيأتي.

شيني = أدوارد بوتس

الشيوعية/ المجتمع الشيوعي Communism

نُعرّف الشيوعية هنا بوصفها مرحلة تاريخية وفق المادية التاريخية، وليس بوصفها أيديولوجيا.

الشيوعية هي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور المجتمعات البشرية، بحسب المادية التاريخية، تسبقها مرحلة الاشتراكية، وهي المرحلة المتوسطة بين الرأسمالية وبين الشيوعية، وهي (أي الاشتراكية) مرحلة انتقالية سياسية لا يمكن أن تكون فيها الدولة سوى دكتاتورية البروليتاريا، وهي التي تمهد للشيوعية، ففي أثنائها ستعمل سيطرة الطبقة العاملة على وسائل الإنتاج على الدفع بالعلاقات الاجتماعية نحو المساواة، وستُلغي الطبقية في المجتمع، وتنفي الحاجة إلى وجود حكومة، لأن الجميع سيعمل وفق مبدأ «من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته»، وهذه هي الشيوعية. فليس ثمة

مبرر لوجود سلطة سياسية، فالشيوعية ستتجاوز مفهوم العدالة، وتخلق مجتمعاً دون صراعات، ومن ثم لن تكون ثمة حاجة إلى قواعد للعدالة.

وعند هذه المرحلة سيتوقف الديالكتيك المادي، فليس ثمة صراع طبقي، حيث ليس ثمة طبقات أصلاً، هذا مع أن الشيوعية تقوم على وفرة فائقة للثروة المادية، وهو ما يفترض أن ينتج عن التقدم المحرز في تكنولوجيا الإنتاج والتغيرات المناظرة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج، وتأمين ملكية مشتركة للموارد الطبيعية ولوسائل إنتاج.

وسوف تتسم هذه المرحلة بديمقراطية شاملة للبيئات الاجتماعية التعاونية، وبيئة العمل المفتوحة.

حرف الصاد

الصدر، محمد باقر (1935-1980) M.Baker Alsadr

فقيه ومفكر وفيلسوف إسلامي عراقي، يعد من أبرز علماء الدين في عصره، مؤلف لمجموعة كتب تعد الأبرز في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. أعدمه نظام حزب البعث الحاكم في العراق لاتخاذه موقفاً سياسياً معارضاً صارماً.

فلسفته في التاريخ، مستوحاة من «النظرية السننية»، المستوحاة من القرآن الكريم، فهي رؤية تفسيرية، أكثر من كونها فلسفة تاريخية، على غرار ما فعل سابقون، كسيد قطب، وعبد الحميد صديقي، وعبد الكريم زيدان، وعماد الدين خليل. قام الصدر ببنائها بناء منهجياً منظماً، كما يأتي:

- إن الساحة التاريخية، مثل كل الساحات الكونية الأخرى، لها سنن وضوابط، يراد للإنسان اكتشافها واستثمارها، في تضمين واضح لحرية الإرادة والاختيار، ولمسؤولية الإنسان عن أفعاله.

- وإن للأمم كما للأفراد حياة وحركة وأجل وموت. وإن الذي يحدد هذا الأجل، أجل فناء أمة أو زوال مجدها، إنّما هي السنة العامة التي وضعها الله لآجال الأُمم، بناءً على ما يكون فيها من عوامل البقاء، كالعدل، أو عوامل الهلاك، كالظلم.

- إن المحتوى الداخلي للإنسان هو الأساس في حركة التاريخ، هو القاعدة في البناء الاجتماعي، وإن الوضع الاجتماعي هو البناء العلوي. وإن هذا البناء العلوي لا يتغير إلا وفقاً لتغير القاعدة.

- وإن حركة التاريخ حركة غائية مربوطة بهدف، وليست سببية فقط، أي أنها حركة مشدودة إلى المستقبل، فالمستقبل هو المحرك لأي نشاط من أنشطة التاريخ.

- والمستقبل معدوم فعلاً، وإنّما يتحرك من خلال الوجود الذهني.

- فالوجود الذهني إذن هو الحافز والمحرك والمدار لحركة التاريخ.

- وفي الوجود الذهني يمتزج الفكر والإرادة، وبامتزاجهما تتحقق فاعلية المستقبل وتحريكه للنشاط التاريخي على الساحة الاجتماعية.

- إذن فالعلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان (الفكر والإرادة) وبين البناء الفوقي والتاريخي للمجتمع، هي علاقة تبعيّة، أي علاقة سبب بمسبب، فكل تغيّر في البناء الفوقي والتاريخي للمجتمع إنّما هو مرتبط بتغير المحتوى الداخلي للإنسان، ما يعني أن إرادة الإنسان هي المحور في تسلسل الأحداث.

الصدر، محمد محمد صادق (1943-1999) M.Sadik Alsadr

فقيه إسلامي، وعالم لاهوتي، عراقي، مارس في سنيه الأخيرة نشاطاً دينياً خلق تحولاً كبيراً لدى جموع غفيرة من أبناء الطبقة الفقيرة، فأزعج النظام الحاكم وأثار قلقه، فتم اغتياله مع نجليه على مقربة من بيته. له موسوعة فقهية كبيرة، وعدة مؤلفات في الفقه والأخلاق والتفسير. وهو صاحب نظرية متكاملة في فلسفة التاريخ، من وجهة نظر اللاهوت الإسلامي، تقابل نظرية أوغسطين في اللاهوت المسيحي.

فالتاريخ عنده يجري وفق العناية الإلهية، باتجاه محدد، حددته العناية الإلهية سلفاً، وأن كل ما يجري في التاريخ البشري من حوادث ووقائع وتغيرات كبرى، إنما هو جزء من تخطيط إلهي، يهدف إلى الاقتراب من الغاية المرسومة، حتى وإن ظهر على نحو التناقضات والمفارقات. وهذه الغاية، والتي ستمثل نهاية التاريخ، هي تكوين مجتمع بشري صالح، يتصف كل فرد من أفراده بالكمال الخلقي والنفسي والسلوكي. فالذي يتناسب مع الحكمة الإلهية هو وجود علة غائية للكون، بما فيه الإنسان، هذه العلة

الغائية هي وصول الكون إلى الكمال الممكن له، أي أحسن حالة واقعية يمكن أن يصل إليها الكون في طريق حركته نحو الأفضل. وهذه العلة تنطبق على البشرية أيضاً، فهي سائرة نحو كمالها الممكن لها، والحالة العليا الواقعية المستهدفة لها.

وبالنسبة للمجتمع البشري فإنّ هذه العلة تتضح في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) الذي يحدد الهدف الأساسي من خلق البشرية في عبادتهم لله عزَّ وجلَّ. فالعبادة وفق المفهوم الذي اختاره الصدر، تعني بالتحديد إيجاد المجتمع المعصوم برأيه العام، بل المعصوم بكل أفراده، فإنّ عمق العبادة وعمومها يقتضي هذا المعنى بالضرورة.

وهناك ثلاثة أنواع من القوى المحركة تمثل أسباب حوادث وتطورات الكون بصفة عامة، والمجتمع البشري بصفة خاصة، وهي:

1. الأسباب الطبيعية العامة، أي القوانين الكونية، وهي قوى قهرية التأثير، خارجة عن اختيار الإنسان، شاملة لسائر الكون بما فيه المجتمع البشري.
2. الأفعال الإرادية الاختيارية، الواعية، للبشر أنفسهم.
3. العلة الغائية من وجود الكون.

وبحسب هذه النظرية فإنّ «القوانين الكونية» و«الإرادة الواعية» خاضعان خضوعاً كلياً وقهرياً للقوة الثالثة، التي هي «العلة الغائية»، لأن الأهداف التي توخاها الخالق لابدَّ أن تحدث. فقد أسس الخالق القدير القوانين الكونية، والأفعال الإرادية، من أجل أن تكون أفضل الطرق للوصول إلى العلة الغائية والأهداف البعيدة.

فهذا التسلسل في حوادث الكون والمجتمعات البشرية، وبالنظر إلى وجود العلة

الغائية للخلق، إنما له معنى واحد، وهو أن الله تعالى هو الذي يوجد الحوادث الجزئية ويخلق أسبابها باستمرار منذ بدء الخلق، وصولاً إلى تلك الغاية.

فالإعداد لـ «ظهور المهدي» في آخر الزمان، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما هي وظيفته الإلهية، يتوقف نجاحه على أسباب، وتلك الأسباب ينبغي أن يعدها الله قبله، وهو جلَّ جلاله فاعل ذلك لا محالة، لأن ظهور (المهدي) وعد الله، والله لا يخلف الميعاد. ولا يكفي لهذا الإعداد أن يتم في السنوات القليلة المتقدمة عليه، لأنّ الحال في هذه السنوات تحتاج إلى سبب، وسببه يحصل في السنوات التي قبلها، وهكذا إلى أن يصل إلى عصر صدر الإسلام، بل يتصل بما قبل الإسلام، منذ نزول آدم فما بعده، لأنّ ذلك كله نظام واحد متصل، متسلسل يتبع بعضه بعضاً في الحكمة الإلهية كنظام الخرز.

فنظام العلل والأسباب إذن ليس خاضعاً لقوانين طبيعية مجردة، بل هو خاضع للإرادة الإلهية التي توجده على نحو معين يفرضه ويحدده لزوم تحقق الأهداف الإلهية المطلوبة.

هذه النظرية تقوم على التوحيد بين الكون والإنسان من حيث المبدأ ومن حيث الغاية. لذا فإنّ هناك تبادلاً في المشاركة من أجل اكتمال التخطيط العام، بين الكون وبين البشرية. فللكون مشاركته في التخطيط الخاص بالبشرية، كما أن للبشرية مشاركتها الكونية الفعالة. فإنّ القرآن الكريم يحتوي على كثير من حوادث مشاركة الكون أو الطبيعة مشاركة إيجابية مع جانب التكامل البشري والطاعة لله عزّ وجلّ، ومشاركة سلبية مع جانب العصيان. وقد أكدت السنة النبوية أنّه مع العدل يتحقق الأمن على نطاق كوني، وليس اجتماعي فقط، فترعى الشاة مع الذئب، ويلعب الصبيان بالأفاعي.

إن هذا الاتجاه من المشاركة سوف يتأكد في المجتمع المعصوم على أوسع نطاق،

حتى يصبح المجتمع المعصوم، بل أفراده المعصومون، قادرين على التصرف في قوانين الطبيعة والكون.

صدّيقي، عبد الحميد Seddiky Abdulhameed (القرن العشرون)

مفكر باكستاني معاصر، كتب كتابه (تفسير التاريخ) سنة 1955، وأعاد تنظيمه ونشره سنة 1969. يؤمن بأن مكان الحضارة ومصدرها هو العقل، وليس المظاهر المادية، فالحضارة لا تعني طرازاً معيناً من العيش، إنما تعني اتجاها فكرياً وطريقة في التفكير، يؤديان آخر الأمر إلى إيجاد نوع معين من السلوك الإنساني، أو هي كيان الأمة الفكري الذي تستضيء به في كل ما تأتي من عمل. إن الحضارة العظيمة ليست مكاناً يكدّس فيه حشد من الظواهر الحضارية المختلفة تكديساً دون أن يكون بينها علاقة رابطة، بل الحضارة وحدة أو كيان مستقل يتغلغل في أجزائه المختلفة مبدأ أساس واحد، يتصل بالقيمة الأساس التي تقوم مقام الفكرة الرئيسية والعقل.

لذا فهو يرى أن الحضارات لا تموت، إنما تموت المدنية. فالمدنية تظهر وتنمو، ثم لا تلبث أن تموت. لكن روح الحضارة تبقى، وتتخذ ثوب أي مدنية أخرى، ثم تسيطر على العالم. إن قانون تناسخ الأرواح يفعل فعله في الحضارات. وعلى هذا الأساس يميز بين الحضارة المادية وبين الحضارة الدينية، فلكل منهما روح ومفاهيم تنتقل من أمة إلى أخرى، محتفظة بجوهرها وخصالها الأساسية.

فالحركات الدورية للفن والأدب والعلم والفلسفة والدين، برهان كاف على أنه بالرغم من أن تغيرات عديدة قد حدثت في مدنيات العالم وهي تنشأ وتنهار، فإن الحضارة التي هي روح المدنية قد تكررت في التاريخ مرات كثيرة. وإن المدنيات المتعاقبة التي حلت فيها هذه الروح، قد أنتجت نوعاً واحداً من الفلسفة والدين، لا غير.

ويعد صدّيقي أهم من نظّر لـ «التفسير القرآني للتاريخ» بعد الشذرات التي وضعها سيد قطب، ثم ظهر هذا الاتجاه من تفسير التاريخ، بشكله الأكثر تفصيلاً واتساعاً، عند عماد الدين خليل.

الصيرورة Becoming

مفهوم فلسفي يعني تعاقب الأحداث والنشوء، أي التحول والتغيّر، أو الانتقال من حال إلى أخرى، أو من زمان إلى آخر. ويقابلها الثبوت والسكون. وهي في ارتباط وثيق بالديمومة، فهي تحول مستمر. وهي الوسيلة التي يتكون بها الوجود ويتحقق، والطريق الذي تتغير بواسطته المجتمعات والأمم والأفراد، وتتطور.

بعبارة أخرى، بالنسبة إلى فلسفة التاريخ، الصيرورة هي حركة التاريخ.

يعود مفهوم الصيرورة إلى هرقليطس، الذي قال: «لا شيء في هذا العالم ثابت إلا التغير». و«كل شيء في حالة جريان». و«لا نسبح أبداً في النهر نفسه مرتين». وهي عند هرقليطس صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض. وقد اعتبرها هيجل سر التطور، فهي التي تحل مشكل التناقض بين الوجود واللاوجود، وهي عند هيجل الفكرة العينيّة الأولى، وبالتالي فهي أول مفهوم، بينما الوجود والعدم من المجردات الجوفاء.

حرف الطاء

ابن طباطبا (1262-1309)Ebn Tabataba

محمد بن علي بن محمد بن رمضان، العلوي، جلال الدين، أبو جعفر، المعروف أيضاً بابن الطقطقا، نقيب الطالبيين في النجف وكربلاء. صاحب كتاب (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية).

يقترب ابن طباطبا من الفكر الفلسفي، ويشرف على عقلنة التاريخ، لكن دون أن يدعم آراءه بشيء من التفسير الفلسفي إلا نادراً. وميله لاتباع المنهج العلمي في التاريخ هو الغالب على دراسته. أما الغرض من كتابه فهو استحضار تجارب التاريخ في بناء الحاضر، فهو كتاب «يحتاج إليه من يسوس الجمهور ويدبّر الأمور، ويستفاد منه قواعد السياسة وأدوات الرياسة».

«السياسة» التي هي القانون، أو الدستور، إذ هي التي «عليها التعويل في حقن الدماء، وحفظ الأموال، ومنع الشرور، وقمع الدعّار والمفسدين، والمنع من التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب».

«العدل»: «هو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال».

ولما كانت غاية الملك هي إصلاح شؤون الإنسان، لذا يرى ابن طباطبا صحة مقولة إن: «العادل الكافر أفضل من المسلم الجائر». ويرى أن الناس مركبون على الخطأ، مجبولون على تشمير الطباع. وهذا يعني أن من الطبيعي أن يكثر منهم صدور «موجبات الحقد». فإذا كان الحقد هو المطلوب للملك بدلاً من العفو والصفح، فهذا يعني أن الملك سيعاني طول دهره من الغيظ والحقد، ما ينغص عليه أيامه، ويشغله عن الكثير من مهام مملكته.

أما النتيجة النهائية لهذه المعادلة المطردة، فهي: فساد المملكة، أو انقضاض الشعب على الملك، وعزله أو قتله: «وما أكثر ما رأينا الرعية والجند قد وثبوا على ملوكهم، فسلبوهم رداء المملكة، بل رداء الحياة». وأدلة هذا من التاريخ لا تحصى، ولا تخفى، فهي شاخصة أمامك لو تنقلت في تواريخ الدول والملوك، دولة فدولة، وأياماً فأياماً.

وأقرب مثال لذلك، هو سقوط الدولة الأموية وانتقال الملك إلى الدولة العباسية، فالذي ساعد على ذلك هو كون الدولة الأموية «كانت دولة مكروهة عند الناس، ملعونة، مذمومة، ثقيلة الوطأة، مستهترة بالمعاصي والقبائح. فكان الناس من أهل الامصار ينتظرون هذه الدولة العباسية صباحاً ومساءً».

ويؤمن بأن «الناس على دين ملوكهم». هذه المقولة التي تتعدى إلى ثقافات الناس ووجهاتهم العامة، فهو يلاحظ سعي الناس غالباً لاختيار المظاهر التي تروق للحاكم، فإذا أحب شيئاً أحبه الناس، وإذا أبغض شيئاً أبغضه الناس، إما طبعاً، أو تطبعاً، ليقربوا بذلك إلى قلبه. وقد شاهد هو أزياء الناس أيام الدولة العباسية على ما يلائم ميولها، فلما ملكت الدولة المغولية غير الناس زيهم في جميع الأشياء، ودخلوا في زي ملوكهم، من غير أن يكلفوهم ذلك أو يأمروهم به أو ينهوهم عنه، ولكنهم علموا أن زيهم الأول مستهجن في نظرهم، مناف لاختيارهم، فتقربوا إليهم بزيهم.

تحدث عما يوافق مبدأ «الحظ» أو «الصدفة» في التاريخ، فقد خرج صلاح الدين الأيوبي مع عمه شيركوه إلى مصر مكرهاً، حتى كان يقول: وخرجت مع عمي كارهاً وأنا كمن يقاد إلى الذبح. وما هي إلا فترة قصيرة حتى تملك مصر. وقريب من هذا ما اتفق مع مؤسس الدولة البويهية بعد خمول الذكر وفقر الحال. فكان يرى في مثل هذه الظواهر ما يستدعي الانتباه إلى أسرار ما في التاريخ.

حرف العين

العبرة The lesson

يعد مفهوم «العبرة» الدعامة الأولى في الوعي التاريخي، فهي الفكرة الدالة على إدراك أن للتاريخ معنىً ما، وهي الفكرة التي تختزل إدراك الصلة بين الماضي والحاضر، وإمكان الإفادة من حوادث التاريخ وسيرورته، أي من تجارب الإنسانية المتعددة الأطوار، لأجل الحاضر والمستقبل.

فالعلاقة بين الماضي والحاضر، والحوار الدائر بينهما، إنما يتوقف بالدرجة الأولى على إدراك إمكان الإفادة من الماضي، سلباً، أو إيجاباً، باجتناب ما جرّ الهلاك والخراب إلى الأمم، أو بتقصي ما كان أساساً في قيامها ورقيّها، أو بالاثنين معاً.

وبدون هذا الوعي سيكون التاريخ فاقداً لمعناه، لكونه تراكماً عبثياً للحوادث، لا تعود المعرفة به بأية ثمرة، ولا يكون العمل التاريخي عندئذ سوى ضرباً من ضروب الأدب، يرقى أو يضمحل برقي الأدب واضمحلاله، وإنما يرقى منه أو يضمحل صورته الفنية كنتاج أدبي محض، لا يتعدى إلى شيء من شؤون الحياة الأخرى.من هنا ذهبت المدرسة التاريخية الألمانية إلى جعل التاريخ واحداً من أقسام الأدب، عندما أنكرت إمكان الإفادة منه، وجعلت منه تراكماً لحوادث ووقائع لا يجمع بينها جامع، ولا يصل بينها رابط.

العرقية - العنصرية: Ethnicity-Racism

أو «التفسير العرقي للتاريخ»، ومضمونه أن لكل عنصر بشري مميزات وراثية تميزه، وأن كل من الأجناس البشرية يحمل سجايا خاصة، روحية، أو جسمية، غريزية أو فطرية.

سادت هذه النظرية في أوروبا في القرن التاسع عشر، رفعت فوق جميع الأجناس

البشرية، العنصر الأبيض ذا الشعر الأشقر والعيون الزرق، الذي أسماه بعضهم «الإنسان النوردي»، ويسميه نيتشه بـ «الوحش الأشقر».

وبحسب توينبي فإن أول من قال بهذه النظرية هو الارستقراطي الفرنسي الكونت دي جوبينو Conte de Gobineau في مطلع القرن التاسع عشر، وإثر الخصومات الجدلية التي استتبعت الثورة الفرنسية، جاعلة (الغاليين) ممثلين للمدنية، بينما يمثل الفرنك البربرية. فكان رد جوبينو: من أين جاءت تلك الحضارة التي اقتبستموها أيها الغاليون؟ إنها جاءت من روما.

وما الذي جعل روما عظيمة؟ إنه دخول دم بدائي من الدم النوردي نفسه، الذي يسري في عروق الفرنكية، وقد كان الرومان الأوائل وكذلك أوائل الاغريق غزاة شقر الشعور، تحدروا من الشمال النشيط، ومكنوا سلطانهم على السكان الأصليين الخاملين الواهنين من أهل البحر المتوسط، ولكن بمرور الزمن تلطف دمهم، وخف بالامتزاج، فوهن عرقهم، وانهارت قواهم ومجدهم، ثم جاء الدور إلى جماعة إنقاذ أخرى من الغزاة الشقر تحدروا من الشمال، وحركوا نبض الحضارة مرة أخرى، وكان الفرنك من هؤلاء.

لكن فيخته (1762 - 1814) منح هذا الامتياز للعنصر الألماني، ففي كتابه (رسائل إلى الأمة الألمانية)، يقول: إن الأمل في المستقبل معقود على الشعوب الألمانية، فهذه الشعوب مكونة من عنصر نقي غير مختلط، له معين لا ينضب من الحياة الروحية، ومن القوة. أما الشعوب اللاتينية فهي نتاج اختلاط أجناس بعضها ببعض، وبالتالي فقد ازدهرت حضاراتها قبل الأوان، وهي في طريق انحدارها الفعلي.

وعلى أساس هذا المبدأ وضع غوستاف لوبون (1841 - 1931) كتابه (سر تطور الأمم). وفيه يرى: أن لكل أمة خصائص أدبية وعقلية تتكون من مجموعها روح الأمة،

وهي علّة حركتها التي تسير عليها. وهذه الخصائص إنما هي خلاصة ماضيها وميراث أجدادها.

وفي مقابل تفضيل العرق الأوروبي، رأى اليابانيون أن مزية طبيعية قد ميزتهم عن جيرانهم الأدنى منهم تحضراً، إذ إن أجسام اليابنيين مُرط بدرجة مفرطة، بينما كان جيرانهم البدائيين غزيري الشعور، حتى أُطلق عليهم اسم «الاينو المشعرين» لذا قرن اليابنيون بين «المرودة» والتفوق الروحي والحضاري.

يقول توينبي: وعلى الرغم من أنه ليس لدعواهم أساساً من الصحة، كادعائنا بأفضلية البشرة البيضاء، إلا أنها أرجح من دعوانا من وجهة النظر السطحية، إذ إنّ الرجل الأمرد يكون بفضل مرودته بعيداً نوعاً ما عن ابن عمه القرد!

العضوانية Organicism

يراد بها هنا النظرية الفلسفية في بعدها الكوني، وفي بعدها السياسي. وهي هنا تعود إلى أرسطو القائل بالفلسفة العضوانية، القائمة على مبدأ القياس. حيث قاس الكون على الإنسان نفسه، فشبه الكون بكائن حي عملاق يعمل وتعمل أجزاؤه المختلفة بالطريقة ذاتها التي يعمل بها الإنسان وجسده. ولأن الإنسان واع، فيجب أن تكون له أهدافه في الحياة، وقياساً على هذا فإنه يجب على الكون أن تكون له أهداف في سيرورة وجوده. وكما أنّ الإنسان نفسه مخلوق، فهذا الكون الذي على شاكلته مخلوق أيضاً، وكلا المخلوقين لابدَّ لهما من خالق، وقد حدد الخالق لعملية الخلق هذه غايات، وما على العقل البشري سوى العمل على الكشف عن هذه الغايات.

ومع متابعة تطور الفكر السياسي عبر التاريخ يلاحَظ أنّ تطور المفاهيم السياسية في أساليب الحكم، من حكم إقطاعي وملكي مطلقين، إلى حكم ديمقراطي، تتوافق مع تطور العلوم وخاصةً الفيزياء عبر نظرياتها الممتدة من أرسطو إلى ماكس بلانك. وعبر هذا التطور

لم يشذّ العلماء والفلاسفة عن قياس الكون وطريقة عمله على العقل البشري وتطوره.

وتُماثل العضوانية بين طبيعة الدولة، وبين العمليات الحيوية التي تنشأ من نشاط أعضاء الكائن الحي كلها، بوصفها نظاماً متكاملاً.

وتعود أصول هذه النظرية إلى الفلاسفة الإغريق، وأرسطو على نحو أكثر وضوحاً، واستمرت حتى العصر الحديث، عند توماس هوبز الذي شبّه الدولة بـ «التنين»، وهيجل الذي شبهها بـ «الرجل السوبرمان». ومن أتباع العضوانية أيضاً؛ جان جاك روسو، وتوماس غرين.

العقل Mind

الكلام هنا حول العقل في إطار فلسفة التاريخ، وليس في عموم الفلسفة. يصف هيجل، في كتابه **(فينومينولوجيا العقل)**، طريق العقل في بلوغ المعرفة الحقيقية، وفق نظريته في الديالكتيك، فيرى أن العقل يبدأ بشكل بسيط من الوعي يرى في نفسه معرفة حقيقية، ومع ذلك، سيثبت هذا الشكل البسيط من الوعي أنه دون المعرفة الحقيقية، وعليه سيتطور إلى شكل آخر من أشكال الوعي، الذي سيثبت بدوره أيضًا أنه غير كُفْء أو غير ملائم، فيتطور إلى شيء آخر، وهكذا ستستمر العملية حتى نصل إلى المعرفة الحقيقية، لتتشكل مسيرة تطور الأفكار الذي طرأ على مر التاريخ. والعقل عند هيجل هو حركة الوصل بين الفكر وبين الوجود.

ووفق القانون الجدلي أيضاً يتناول سارتر مفهوم العقل، تحت اصطلاح «**العقل الجدلي**»، فيذهب إلى أنه من المحال القيام بأي نشاط عقلي، بما في ذلك البحث الفلسفي التاريخي، دون إدراك أن هذا النشاط جدلي من حيث الشكل. فأي تفكير عن العالم لا يمكن أن يكون إلا جدلياً، وأي فعل إنساني في العالم هو جدلي بالضرورة، أي أنه يسير وفقاً لصدام المتناقضات. فما دام الفعل الإنساني يعمد إلى تغيير حالة معينة من أمور العالم

إلى حالة أخرى مختلفة، وما دام الإنسان مسؤولاً عن هذا التغيير، فلا بد أن يكون ثمة تصادم أو تناقض، أو تنافر أساسي بين ما يُخَطط له، وبين ما يحدث فعلاً، أي بين التفكير الذهني وبين التغيير الفيزيائي. وهذا التفكير الجدلي، والعمل الجدلي، يتآزران في كل شأن من شؤون الإنسان، ويظهر تأثيرهما في كل ما يدور حولنا. فالعقلية الجدلية تطبع التاريخ والفكر، وطبيعة العقلية الإنسانية عملية في أساسها، وليست نظرية، لذا فإن الآصرة بين الفكر وموضوعه آصرة قوية، والعلاقة بينهما متشابكة، وهي في الوقت نفسه تفكير في الموضوع وتغيير في الموضوع. هذه العلاقة عند سارتر هي «**البراكسِس**»، أي العمل المخطط، والطريقة أو الممارسة التي يتم من خلالها إنتاج نظرية، أو درس ما، أو مهارة معينة، أو إدراك.

العلّية Causality

المقولة الثانية من مقولات فلسفة التاريخ الثلاث: (الكلية، العلية، والغائية)، المقولة التي تعكس الترابط الداخلي وعلاقة الضرورة بين الحوادث التاريخية.

وموضوع العلّية في فلسفة التاريخ يختلف عنه في البحث التاريخي العادي، فبينما يلجأ المؤرخ إلى التعرف على أسباب الحوادث التاريخية التي يمر بها، واحدة واحدة، يتجه فيلسوف التاريخ إلى اختزال العلل الجزئية للحوادث الفردية بعلة واحدة، أو علتين، يفسر في ضوئها التاريخ العالمي، وهذا ما يقتضي منه إعادة تشكيل وقائع التاريخ ليؤلف منها صورة عقلية، تتناسب مع تصوره للتاريخ الكلّي.

وفي هذا السياق سيظهر مفهوم «مجرى الأحداث» أو «الاتجاه العام لحركة التاريخ» الذي يقضي بأن التاريخ يتّبع جوهرياً شكلاً معيناً، تقتضيه العلة الكلية، لتُهمل أو تهمّش على أساسه تأثيرات الحوادث الجزئية الطارئة في التاريخ، ذلك لأن مبدأ العلية

يجعل من حركة التاريخ ضرورة منطقية.

(راجع: الحتمية التاريخية).

عمانوئيل كانط = كانط

العناية الإلهية Divine Providence

العناية الإلهية تعني: إحاطة علم الله بالكل، وإرادته لما يجب أن يكون عليه الكل، حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايته.

و(نظرية العناية الإلهية) هي أقدم النظريات في تفسير الطبيعة والتاريخ، باعتبارها نظرية دينية بحتة، إلاّ أنها اتخذت في أوروبا شكلها الفلسفي في التفسير المسيحي اللاهوتي الذي وضعه سان أوغسطين (354 - 430م) في كتابه (مدينة الله) معتمداً تطبيقات تاريخية.

وتتلخص هذه النظرية في أن الله تعالى بعد أن خلق هذا العالم لم يكن ليتركه نهباً للمصادفات والعلل الخارجية العرضية، وإنما يشمله بعنايته ويحكمه وفق إرادته. وهذا يعني أن للتاريخ مغزىً، وغاية تحقق هذا المغزى، وقد أحكمها الله منذ خلق العالم.

يقول اوغسطين: «إن الاعتراف بوجود الله، وفي نفس الوقت إنكار معرفته المسبقة بما سيحدث من أمور في المستقبل، يكون هنا جنوناً صريحاً».

والمعرفة هنا ليست مجرد إحاطة علم، لكنّها توجيه فعّال إلى غاية، فحسب اوغسطين: إنه لغير ممكن أن نعتقد بأن الله يستطيع ترك الممالك الدنيوية خارج «قوانين» العناية، فالعناية خلقت الممالك الإنسانية، فهذه الممالك ليست من ثمار الصدفة أو الضرورة، وبالتالي فإن التاريخ سيكون مسيّراً ومحكوماً من الله، وفقاً لإرادته.

ولقد انتصر لهذه النظرية «نظرية العناية الإلهية» بمفهومها الأساسي الكثير من

فلاسفة أوروبا في عصري النهضة والتنوير، منهم: فيكو (1668 - 1744) الذي جعل أحد سمات العلم الجديد هي البرهان لواقعة العناية التاريخية «الإلهية»، إذ منحت هذه العناية التاريخ نظاماً يجري في معزل عن بصيرة الناس ومآربهم، وفي الغالب على عكس مشاريعهم، فالتاريخ لا يبتدعه الناس فحسب، ذلك أن العناية تقود أحياناً إلى نتائج لم تخطر في بالهم.

ومنهم روسو (1712 - 1778) الذي آمن بوحدة الكون الذي تديره إرادة واحدة، في نظام كلّي واحد، سائر نحو هدف واحد، هو حفظ الكل في النظام القائم.

وممن قال بهذه النظرية أيضاً: بوسويه Bossuet (1627 - 1704): أسقف الأكاديمية الفرنسية، أصدر عام 1688 كتاباً بعنوان (مقالة في التاريخ العالمي) يرى فيه أن تاريخ البشرية بأكمله توجهه يد القدرة الإلهية.

ويوهان ويتكر John Whittaker في كتابه (تاريخ منشستر) الصادر بين 1771 و1775م، نافس بوسويه إلى حد كبير في قدرته على تلمّس القدرة الإلهية في صنع التاريخ.

وشليجل (1772 - 1829): في كتابه (فلسفة التاريخ) قدم أهم دراسة تطبيقية في فلسفة التاريخ وفق الرؤية المسيحية. ليخلص إلى أن مسار التاريخ ينطوي تحت سر النعمة، الذي ينطوي عليه الخلاص الإلهي للبشرية. وذلك عن طريق دراسة ما بذلته العناية الإلهية من جهد في سبيل خلاص البشرية وطهرها على مر العصور، وصولاً إلى الكمال النهائي.

وعلى هذا الاتجاه سار العديد من فلاسفة المدرسة الرومانسية، واستمر هذا الاتجاه في القرن التاسع عشر، وهو قائم حتى الآن في الفكر اللاهوتي المسيحي. وليس هذا ببعيد عن الفكر اللاهوتي الإسلامي الذي ينسب إلى العناية الإلهية تحديد غاية الصيرورة التاريخية، ورعاية مراحلها المتعاقبة، وصولاً إلى نهايتها في الكمال الإنساني. وأكثر ما تجلت

هذه الرؤية عند محمد صادق الصدر (1943 - 1999) في ما أسماه بـ «التخطيط الإلهي».

وخالف إقبال اللاهوري هذا الاتجاه، مؤمناً بأن التاريخ هو حركة خلق وإبداع متجددة، وليس التاريخ مجرد مسرح، عليه دمى، تحركها يد من خلف ستار. (راجع: إقبال اللاهوري). وقريب منه قول محمد باقر الصدر بأن «المستقبل» هو العامل الحاسم في حركة التاريخ.

العَود الأبدي Eternal Lute

هي نظرية تقول إن الكون له دورة حياة تتكرر منذ البدء، وسوف تتكرر باستمرار. وأن الكون وكل الوجود والطاقة تتكرر، وسوف تواصل التكرار، في شكل مماثل لذاته، وبعدد لا نهائي من المرات عبر زمان أو مكان لا نهائي.

اشتهرت هذه النظرية أكثر حين استخدمها **نيتشه** حيث جعلها محوراً لأفكاره وفكرة مركزية في بعض أعماله، لكنها نظرية قديمة يعود أصلها إلى الفيثاغوريين والرواقيين في اليونان، وقال بها أفلوطين، ثم غوستاف لوبون، وآخرون. وقد أطلق الفيثاغوريون على الدورة الكونية الكاملة اسم «**السنة الكبيرة**»، أو «**العدد الكامل**»، وقدره **هرقليطس** بـ 10800 سنة، وفي قول آخر 18000 سنة. ففي كل سنة كبيرة كهذه تعود دورة الكون من جديد.

حرف الغين

الغائية Fainulism

وهي المقولة المكملة لمقولة العلّية، في إعطاء تصور عن مسيرة التاريخ وترابط أبعاده الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، فالقول بأن ظواهر العالم تحكمها علل معينة، يعني أن هذه الظواهر إنما هي نتائج لتلك العلل. وفكرة النتيجة التي تلخص مقولة السببية «العلية» كلها، والتي يُعتقد دائماً أنها موجودة في قلب النظام، هي فكرة لا يمكن إدراكها إلاّ من خلال الفكرة المتضايفة معها، وهي فكرة الغرض أو الهدف، ففي مقابل (العلية) فإن علينا أن نضع الغائية، وأنه من خلالها فقط يجري تأسيس حتمية الظواهر.

أما فهم الظواهر عن طريق الغاية والهدف، فيتم بالبحث عن علّتها في النتيجة التي ستتلوها والتي تتجه إليها، فبوسعنا أن نقول: إن البلورية تظهر في العين نتيجة لنمو نسيج معين بها، وهذا هو التفسير بالعلّة، وأن نقول إنها تظهر لكي تمكّن العين من الرؤية، وهذا هو التفسير بالغائية. ومبدأ الغائية يقضي بأن كل موجود يفعل لغاية وجد من أجلها، وأن الغايات الجزئية في هذا العالم مرتبطة بغاية كلية. وهكذا فإن الغائية تعني: المقصد الخفي الذي يتجه صوبه التاريخ، والذي يتحقق تدريجياً عبر الزمن التاريخي.

وقد عرفها **أرسطو** بأنها المبدأ الأول الذي تتحرك الأشياء بمقتضاه نحو تمام صورها، التي هي وجودها بالفعل. ووفق مفهوم الغائية يتجلى الفارق الجوهري بين المؤرخ وبين فيلسوف التاريخ، ففيما يتساءل المؤرخ عن صناعته، فيعني بالتاريخ تحقيق وسرد ما جرى فعلاً في الماضي، يتساءل الفيلسوف عن هدف الأحداث، فيعني بالتاريخ مجموع القوانين التي تشير إلى مقصد خفي يتحقق تدريجياً أو جدلياً.

غادامير، هانز جورج (2002-1900) Hans Georg Gadamer

فيلسوف ألماني، أستاذ جامعي، عرف بعدائه الدائم للنازية، أصبح رئيساً لجامعة لايبزج، وله مناظرة شهيرة مع يورغن هابرماس حول (إمكانية التفوق التاريخي والثقافي بحثاً عن الحالة الاجتماعية التي شكلها التفكير النقدي). انتهت المناظرة بصداقة حارة بين غادامير وهابرماس. ثم لعب جادامير الدور الأساس في تسهيل الطريق أمام هابرماس لانضمامه للوسط الأكاديمي في شغل منصب أستاذ في هايدلبرغ.

وهو صاحب مدرسة التأويل، وهو المشروع الذي جسده في كتابه (الحقيقة والمنهج)، والذي قرر بأن المنهج العلمي ليس هو السبيل الوحيد للكشف عن الحقيقة، بل للفن قدرته أيضاً على ذلك، وأنه لا يمكننا أبداً الجزم بأن لدينا تفسيراً قاطعاً أو نهائياً حيال الموضوع أو النص الذي نعالجه.

له في الفكر التاريخي: (الشعب والتاريخ في فكر هردر)، و(مشكلة الوعي التاريخي).

جادل غادامير بأن الناس لديهم ما يسمى بالتأثير التاريخي، وأنهم جزء لا يتجزأ من التاريخ والثقافة الخاصة التي شكلتهم. ومع ذلك، فإن الوعي التاريخي ليس موضوعاً ضد وجودنا، بل هو تيار نتحرك فيه ونشاركه، في كل فعل من أعمال الفهم. لذلك لا يأتي الناس إلى أي شيء دون نوع من الفهم المسبق الذي أنشأه هذا التيار التاريخي. التقليد الذي يقف فيه المترجم الفوري يؤسس التحيزات التي تؤثر على كيفية قيامه بتقديم التفسيرات. هذه التحيزات ليست شيئاً يعيق قدرتنا على تقديم التفسيرات، ولكنها جزء لا يتجزأ من حقيقة الوجود، وأساس قدرتنا على فهم التاريخ على الإطلاق.

غرامشي، أنطونيو (1891-1937) Antonio Gramsci

فيلسوف ومناضل ماركسي، وناقد مسرحي إيطالي، انضم إلى الحزب الشيوعي الإيطالي منذ تأسيسه سنة 1913 وأصبح عضواً في أمانة الفرع الإيطالي من «الأممية الاشتراكية»، ثم رئيساً للحزب الشيوعي الإيطالي. لم يكمل التعليم الأكاديمي، أصدر مع باليرو تولياتي سنة 1917 مجلة النظام الجديد. له مؤلفات، منها: (رسائل السجن أو دفاتر السجون) نشر بعد وفاته، وهي رسائله من السجن أثناء اعتقاله، (شجرة القنفذ والرسائل الجديدة)، و(قضايا المادية التاريخية). ركز على فهم كيف يمكن للثقافة والسياسة أن تعوق أو تحفز التغيير الثوري.

طور مفهوم «الهيمنة الثقافية» ليشرح كيف تحقق الدولة ذلك، بحجة أن الهيمنة تتحقق في جزء كبير منها من أيديولوجية مهيمنة تم التعبير عنها من خلال المؤسسات الاجتماعية التي تجعل الناس اجتماعيين يوافقون على حكم المجموعة المسيطرة. لقد أدرك أن هيمنة الطبقات في المجتمعات الرأسمالية هي «أيديولوجيّة» وليست مادية، وأن المعتقدات المهيمنة والمعتقدات السائدة تقلل من الفكر النقدي، وبالتالي فهي تشكل عوائق أمام الثورة. ولذا فإن الطبقة العاملة التي تحصل على تعليمها وتثقيفها على أيدي مفكرين ثوريين، يمكنها رؤية الواقع والإطاحة بالدعاية البرجوازية. لقد خرج بهذا المفهوم عن مفهوم الحتمية الماركسي، فتأثر بمفهومه هذا سائر الماركسيين الأوروبيين الذين وجدوا فيها منفذاً للتحرر من مبدأ الحتمية في المادية التاريخية.

عُرفت فلسفة غرامشي هذه بالغرامشية، و«البراكسيس»، وهي فلسفة النشاط العملي والنقدي، الممارسة الإنسانية والمحسوسة. وغرامشي يؤكد استقلالية البراكسيس إزاء الفلسفات الأخرى. إنها ممارسة ونظرية في آن معاً. إنها التاريخ الحي قيد التكوّن،

وهي كذلك تصور للعالم يمكن استخلاصه من الآثار الماركسية الفريدة التي يعتبر غرامشي أنها تتكون من ثلاثة أقسام: الاقتصاد السياسي، والعلم السياسي، والفلسفة. وهو ينقب فيها عن المبادئ الموحدة في علاقات الإنسان بالمادة، التي هي نتيجة براكسيس سابق، عبر التاريخ الذي هو إنتاج ذاتي للإنسان.

والمبدأ الموحد من وجهة النظر الاقتصادية هو القيمة، ومن وجهة النظر السياسية، الدولة، وأما من وجهة النظر الفلسفية فهو العلاقة بين إرادة الإنسان وبين الأوضاع والمواقف التي ينبغي له تجاوزها. وهذا المبدأ الأخير يؤلف بين وجهتي النظر السابقتين لأنه يتيح الانتقال من المستوى الاقتصادي إلى المستوى الخلقي والسياسي. إنه البراكسيس.

وبما أنه ليس ثمة انفصال بين الإنسان والأشياء التي ينتجها، فإنه ذات ومادة اجتماعية وتاريخية مأخوذتان في علاقة جدية مع الضرورة. وهذه النظرة هي التي تفسر نظرية غرامشي السياسية. فهو حين يفكر في الدولة ويبرهن أن المجتمع السياسي (أو الدولة) يتكون من أجهزة يغلب عليها القمع، إذ الدولة تتكون من قوى كاسرة (الجيش والبوليس والقضاء، التي يحل محلها إبان الأزمات منظمات خاصة كالميليشيات..)، ومن أجهزة تصوغ التشريعات وتطبقها (البيروقراطية، الحكومة، البرلمان) وهي الأداة التي تؤمّن بها طبقة ما سيطرتها على الطبقات الأخرى، وهي تتكون كذلك من أجهزة تغلب عليها الأيديولوجية (المدرسة، الكنيسة، الأحزاب السياسية..) وتؤمن للطبقة المسيطرة رضى الطبقات الأخرى وقبولها بقيادتها لها. غير أن ما يؤمن توحيد هذا كله هم المثقفون الذين تنميهم كل طبقة لتؤمن هيمنتها عبرهم. فمهمة المثقفين هي نشر تصور الطبقة للعالم وتأكيده في وجه مثقفي وتصورات طبقات النظام القديم أو النظام الذي يرهص بالولادة. وعلى هذا فإن المثقفين يشكلون الاسمنت العضوي الذي يربط البنية الاجتماعية بالبنية الفوقية ويتيح تكوين «كتلة تاريخية». وهكذا فإن الدور العملي للفلسفة يتجسد

بالحزب الثوري، الذي يرفض الاندماج بالدولة، ويقدم الصراع الايديولوجي على ما عداه. ويخوض البراكسيس في كل السياسة محطماً بذلك الكتلة الايديولوجية البرجوازية مكوناً كتلة تاريخية جديدية في إطار صراع طويل ومعقد، أو ما يسميه غرامشي «حرب خنادق». وهي حرب ينبغي أن تُنمّى وتُطّور خلالها أشكال تنظيم ذاتي جماهيرية تكون بمثابة جنين تدمير الدولة، ورفضاً لفصل السياسي عن الاقتصادي، وبالتالي تنفيذاً لفلسفة جديدة.

غوبينو، جوزيف آرثر (1816-1882) Joseph Arthur de Gobineau

أديب وصحفي ومفكر فرنسي، كافح مادياً من أجل سد رمقه من خلال الكتابة الصحفية والروايات، لكنه سلك في ما بعد السلك الدبلوماسي، فشغل منصب الوزير المبتعث (السفير) لفرنسا في عدة بلدان، منها: إيران، واليونان، والبرازيل، والسويد. له وجهات نظر متناقضة حول الشرق، لقبه أصحابه بالمستشرق المزيف.

له مؤلفات، منها: (الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى)، (قراءات النصوص المسمارية)، و(دراسة الشظايا المسمارية) وصفت مؤلفاته هذه بأنها تفتقر إلى الدقة العلمية. وله كتاب (ما حدث لفرنسا في عام 1870). أما أشهر أعماله الذي مثل أفكاره الكاملة، فهو كتاب ضخم بعنوان: (مقال في عدم المساواة بين الأجناس البشرية). فيه يظهر أنه من أشدّ أصحاب النظرية العرقية العنصرية تطرفاً. وقد حاول إضفاء الشرعية على العنصرية، عن طريق استخدامه «النظرية العنصرية العلمية»، و«الديموغرافيا العرقية»، من أجل إثبات وتأكيد تفوق الجنس الآري على سائر الأجناس والأعراق البشرية.

اعتقد غوبينو بأن العرق هو الذي صنع الثقافة. وجادل بأن الفروق بين الأجناس الثلاثة؛ الأسود، والأبيض، والأصفر، كانت حواجز طبيعية، وأن الاختلاط بين الأعراق يكسر تلك الحواجز ويؤدي إلى الفوضى.

وفي المقارنة بين الأجناس الثلاثة، جادل بأن السود أقوياء جسدياً جداً ولكنهم غير قادرين على التفكير الذكي. أما الجنس الأصفر (الآسيويين) فهم متوسطون جسدياً وفكرياً، ولكن لديهم حس مادي قوي للغاية، سمح لهم بتحقيق نتائج معينة. وأما البيض فقد كانوا الأفضل والأعظم من بين الأجناس الثلاثة، فهم وحدهم قادرون على التفكير الذكي، وصنع الجمال، وكانوا الأجمل جسمانياً. والجنس الأبيض وحده يمتلك بشكل أصلي واحتكاري الجمال والذكاء والقوة، وأن أي صفات إيجابية يمتلكها الآسيويون والسود كانت بسبب سوء التوليد اللاحق، أي التزاوج مع البيض.

وقال بالربط بين الطبقية وبين العرقية، في روايته (ترنوف) ، فعدّ جميع أعضاء النبلاء، جنساً منفصلاً، من جوهر متفوق. ويعتقد أن من الجُرمِ تلطيف هذا (العرق) عن طريق التمازج مع الدم العام. وادعى فيها أن الارستقراطيين كانوا متفوقين على عامة الناس، وكانوا يمتلكون المزيد من السمات الوراثية الآرية بسبب قلة التعارف والاختلاط مع الأجناس الدونية القادمة من جبال الألب والمتوسط.

وفي كتابه: (ما حدث لفرنسا في عام 1870)، جادل بأن الهزيمة الفرنسية كانت بسبب الانحطاط العرقي، وأن البرجوازية الفرنسية كانت منحدرة من رقيق غالو- روماني. ورأى الثورة الفرنسية، بعد أن دمرت الأساس العرقي للعظمة الفرنسية بإسقاط الارستقراطية وقتلها في كثير من الحالات، بدأت عملية طويلة من التدهور والانحطاط لا تقاوم، والتي لا يمكن أن تنتهي إلا بالانهيار التام للحضارة الأوروبية.

من ناحية أخرى أشار إلى أن ما قامت به الثورة الفرنسية في ثورتها الصناعية، سينتهي، وأن التصنيع والتحضر كارثة كاملة لأوروبا. لكنه آمن أيضاً بعناصر أخرى تفعل فعلها الكبير في صناعة وتحريك التاريخ، وعلى ضوئها كانت له مقارنات على درجة من الأهمية يتنبأ فيها بمستقبل الأمم، ناظراً إلى تلك العناصر أو الخصائص. ومن ذلك:

- مقارنته بين واقع ومستقبل كل من إنجلترا وروسيا؛ فرأى أن إنجلترا، أمة عجوز، تدافع عن مصدر عيشها ووجودها. فيما روسيا أمة شابة، تتبع مسارها نحو القوة التي ستكتسبها بالتأكيد. إن إمبراطورية القيصر اليوم هي القوة التي يبدو أن لها مستقبل أعظم. الشعب الروسي يسير بثبات نحو هدف معروف بالفعل، ولكن لا يزال غير محدد بالكامل. عادّاً النصر الحتمي لروسيا انتصاراً لآسيا على أوروبا.

- وبعدها ستتفوق عليها الصين، بمجرد تحديث تلك الدولة، وسيتغلب الصينيون على أوروبا. لذا حذر غوبينو فرنسا من الرغبة الكبيرة في الانفتاح على الصين، حيث يجب على الفرنسيين أن يدرسوا بعناية عواقب مثل هذه الصداقة.

وفي تفسيره للحضارات القديمة، أعرب عن وجهة نظر مختلفة شكلياً، فاعتقد أن تطور الحضارة في فترات أخرى كان مختلفًا عن الحضارات اللاحقة، وتكهن بأن الأجناس الأخرى قد يكون لها صفات فائقة في تلك الحضارات السابقة. لكنه عاد ليقرر أن الحضارة الأوروبية تمثل أفضل ما تبقى من الحضارات القديمة، وتحتفظ بأكثر المواصفات المتفوقة القادرة على دعم استمرارية البقاء. وزعم غوبينو أن الآريين أسسوا الحضارات العشر العظيمة في العالم، وأنه في هذه الحضارات العشر لا يُرى أي عرق أسود على أنه هو البادئ. فقط عندما تختلط مع بعضها البعض، يمكن للأجناس الأخرى أن تبدأ حضارة. وبالمثل، لا توجد حضارة عفوية بين الأجناس الصفراء.

وعلى هذا صاغ قاعدته الرئيسة: «عندما يتم استنفاد الدم الآري يحدث الركود».

ويبرر ذلك بأن رؤيته تلك تختص بالأجناس، وليس الأفراد، حيت لم تفند أمثلة الأفراد الموهوبين من السود أو الآسيويين أطروحته عن النقص المفترض في الأجناس السوداء والآسيوية.

غوستاف لوبون (1841 - 1913) Gustave Le Bon

فيلسوف وطبيب ومؤرخ فرنسي، أحد أشهر فلاسفة الغرب، وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، إذ اعتقد بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي، وأقرَّ أن المسلمين هم مَن مدَّنوا أوروبا.

من أشهر آثاره: (حضارة العرب وحضارة الهند)، (الحضارة المصرية)، (حضارة العرب في الاندلس)، (الآراء والمعتقدات)، وله في علوم الطبيعة كتاب (تطور المواد).

وله الكتابين الشهيرين: (سيكولوجية الجماهير)، (الجماهير: دراسة في العقل الجمعي). وفي فلسفة التاريخ والفكر التاريخي له: (روح الثورات والثورة الفرنسية)، (روح الجماعات)، و(فلسفة التاريخ)، وكتابه الأكثر شهرة: (سر تطور الأمم)، أو (السنن النفسية لتطور الأمم).

أخذ لوبون بالنظرية العرقية في تفسير التاريخ، إذ يرى أن لكل أمة خصائص أدبية وعقلية تتكون من مجموعها روح الأمة، وهي علّة حركتها التي تسير عليها. وهذه الخصائص إنما هي خلاصة ماضيها وميراث أجدادها. وأن العوامل التي يخضع لها الإنسان في حركته هي ثلاثة: أولها وأشدها تأثيراً «عامل الأجداد». والثاني: «تأثير الوالدين». والثالث: «تأثير البيئة» وهو أضعفها.

ومن حيث هذه الصفات الأخلاقية العامة تنقسم الأمم إلى أربعة أقسام: الأمم الأولى، الأمم الدنيا، الأمم الوسطى، والأمم الراقية. ويمثل الأمم الأولى في عصرنا هذا: أهل فويجيان (إحدى جزر الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي) واستراليا. ويمثل الأمم الدنيا الآن: الزنوج، فليس لديهم أكثر من بصيص حضارة. ثم الأمم الوسطى، ويمثلها: الصين، واليابان، والمغول، والأمم الساميّة، أما الأمم الراقية، فهي الأمم الأوروبية.

وعلى العموم تتطور الحضارات تطوراً يلائم الضرورات التي توجبها الأحوال، وعندما يصبح مزاجها شديد المحافظة، ويحول دون تطورها بسرعة كافية، لا تتم الملاءمة الضرورية إلاَّ بثورة عنيفة، كما هو الشأن مع الثورة الفرنسية. وكما تمر الموجودات الحية بسنّة الولادة والنمو والانحطاط والموت، تمر الحضارات بهذه الأدوار نفسها. والحضارات العظمى كيان مؤقت نسبياً، فالحضارات تذبل، ثم تزول، بعد ازدهار يدوم قليلاً أو كثيراً. ومن الطبيعي أن تختلف سرعة تطور الحضارات، باختلاف شروط الحياة. ومن العوامل الأساسية في انحطاط الحضارات، عامل يلاحظ بجميع الأزمان، وهو ذبول مبدأ السلطة وما يوجبه من نفوذ، شيئا فشيئاً.

حرف الفاء

فاليرشتاين، إمانوئيل (1930 -) Valershtain Emmanuel

مؤرخ وباحث سوسيولوجي أمريكي، أستاذ جامعي، شغل منصب مدير مركز فرناند بروديل للدراسات الاقتصادية والتاريخية والحضارية في جامعة الدولة، في نيويورك.

كتب مؤلفات عديدة، منها: (النظام العالمي الحديث)، (إفريقيا والاستقلال)، (الرأسمالية التاريخية)، و(استمرارية التاريخ، أو التاريخ يتابع مسيرته).

اختار إمانوئيل عنوان كتابه الأخير (التاريخ يتابع مسيرته)، نقضاً لأطروحة فوكوياما التي وضعها تحت عنوان (نهاية التاريخ والإنسان الأخير).

ويستهل كتابه هذا بمناقضة فوكوياما الذي رأى أن نهاية الحرب الباردة بين القطبين الأمريكي والروسي، هي نهاية التاريخ، باستقرار العالم على نظام عالمي واحد هو النظام الليبرالي، ليقول إمانوئيل: الحق أنه العكس تماماً، فالنزاعات الشديدة بالكاد ستبدأ. والسنوات الخمسون القادمة سوف تكون مرحلة تحولات عميقة في «المنظومة العالم» التي نعيش فيها، والتي سوف يقوم في أرجائها صراع متواصل وضارٍ بدون شك، ونهاية مجهولة. واصطلاح «المنظومة العالم» اصطلاح نحته فاليرشتاين ليعبر فيه عن العالم الراهن بمختلف دوله والعلاقات بينها، على أساس أنه نظام واحد.

آمن فاليرشتاين بالحتمية التاريخية، والتي على ضوئها يتنبأ بجملة متغيرات حاصلة لا محالة على الصعيد العالمي. منها سير العالم نحو مزيد من الاضطرابات على الصعيدين الأمني والاقتصادي في بلدان الجنوب، ما سوف يتسبب بتزايد غير مسبوق للهجرات من الجنوب إلى الشمال. كما تنبأ وفقاً للمتغيرات التاريخية الحاصلة، بتراجع الهيمنة

الأمريكية اقتصادياً على الأقل، بين نهاية الربع الأول من القرن الحالي، الحادي والعشرين، وبين بداية النصف الثاني منه، أي بين سنتي 2025 و 2050.

وان العالم سيتجه الى إنهاء اتجاهين قديمين للمنظومة العالم: اتجاه التوسع الجغرافي، واتجاه نزع الصبغة الريفية. وسوف يشهد العالم انتشاراً أكثر للديمقراطية، مع تراجع النزعة الليبرالية. وسوف لن يكون هناك سوى قليل من السلام، وقليل من الاستقرار، وقليل من الشرعية. وستكون النتيجة القدوم المباغت للفوضى، والتي ليست سوى تعاظم التقلبات الطبيعية للمنظومة.

واذا وصل الأمر إلى اعتبار الدول، والمنظومة القائمة بين الدول، في حالة فقدان توازن، فإن الناس سوف يتوجهون إلى «الجماعات»، وسوف تكون هذه الجماعات إما دينية، أو أثنية، وإما أقليات ذات خصوصيات متعددة. ولا جديد هنا إطلاقاً، إنما الجديد هو الدرجة التي نبدأ فيها اعتبار هذه الجماعات كخيارات بديلة عن خيارات المواطنية والمشاركة في الدولة.

أما بالنسبة لما بعد «مفترق الطرق»، 2050م. أو 2075، فليس بوسعنا أن نكون واثقين سوى في أمور قليلة جداً، إننا سوف لن نستمر أبداً في اقتصاد العالم الرأسمالي، وسوف تمتد حياتنا ضمن نسق جديد ما، منحدر بالمفرد أو بالجمع، من منظومة جديدة ما، أو من تعددية في المنظومات التاريخية.

فردريك آدمز وود = وود فردريك

فردريك كراوز، شارل (1781-1832) Frederick Crews Sharel)

من القائلين بالنظرية الدورية للحضارات، يرى أن البشرية تمر بمراحل من التطور من المفيد جداً مقارنتها بحياة الإنسان: نجد في البداية المجتمع البدائي، الذي يقابل عصر البراءة، أو الطفولة عند الإنسان، يليه عصر الشباب والنمو. أما العصر الثالث فهو ذلك العصر الذي يسيطر فيه الإنسان على كل من الطبيعة والمجتمع، وبذلك تتحقق وحدة كل الشعوب في دولة عالمية عظيمة يسودها الرفاه.

مثل هذه الرؤية تتضمن أيضاً فكرة التقدم، غير أنها تعود، وفق التعاقب الدوري، لتمر بمرحلة الشيخوخة والانهيار، لتبدأ الدورة تأخذ فصولها من جديد.

فرغسون، آدم (1723-1816) Adam Ferguson

فيلسوف ومؤرخ من عصر التنوير الاسكتلندي، خَلَف ديفيد هيوم في وظيفة أمين المكتبة في كلية المحاماة. قابل فولتير في إحدى أسفاره، أصبح أستاذاً للفلسفة الطبيعية في جامعة أدنبرة، واختير سكرتيراً لمفوضية إحلال السلام التي تبنت المفاوضات مع المستعمرات الثائرة. ويدعى (الأب لعلم الاجتماع الحديث).

من أعماله: (مبادئ العلم الأخلاقي والسياسي)، (تاريخ تقدم وأفول الجمهورية الرومانية). وكتابه الأهم: (تاريخ المجتمع المدني).

جمع فرغسون بين نظرية العناية الإلهية، وبين نظرية التقدم في التاريخ. وكان متعاطفاً مع المجتمعات التقليدية، مثل مجتمع المرتفعات الاسكتلندية، لأنها أنتجت الشجاعة والولاء. وينتقد المجتمعات التجارية لأنها أسفرت عن رجال ضعفاء، وغير جديرين بالثقة، وغير مهتمين بالمجتمع. يرى فرغسون التاريخ مركباً متدرجاً، من التاريخ

الطبيعي والتاريخ الاجتماعي، ينتمي إليه كل البشر.

التاريخ الطبيعي من خلق الله، ومنه البشر أنفسهم، وهو تاريخ متقدم. أما التاريخ الاجتماعي، فيشبه التاريخ الطبيعي، لكن يصنعه البشر، وبسبب هذا العامل فهو يمر ببعض العقبات. لكن البشر يلتمسون التقدم بنور الله في مضمار التاريخ الاجتماعي.

لا يعيش البشر لأنفسهم، ولكنهم يعيشون لتنفيذ خطة الله. ويؤكد أن صفة المروءة في العصور الوسطى كانت من الصفات المهمة للرجولة المثالية. كانت النصائح الموجهة للرجال البريطانيين بالتخلي عن الأدب المفرط باعتبارها من صفات الأنوثة، مثل الرغبة المُلِحّة لإسعاد الآخر، والتحلي بصفات أقل سطحية تشير للفضائل الباطنية واللياقة تجاه «جنس أعدل».

وكان من رواد فكرة التقدم الاجتماعي. إذ اعتقد أن نمو المجتمع التجاري عبر سعي الفرد الدؤوب لمنفعة الذات يؤدي إلى تقدم مستدام للذات. ولكنه يعتقد أيضاً، أن مثل هذا النمو التجاري يؤدي لانحدار الفضيلة، وانهيار يشبه الانهيار الذي تعرضت له روما. حل فرغسون هذا التناقض الواضح، نظراً لكونه مسيحياً مشيخيا، بوضع التطورين في سياق خطة إلهية اقتضت التقدم الحتمي والإرادة البشرية الحرة.

ويرى فيرغسون أن المعرفة التي تحققها البشرية خلال أفعالها تُشكِّل جزءاً داخلياً من تقدمها، حتى لو أسفرت تلك الأفعال عن تأخر مؤقت، فهي حركة باتجاه الكمال النهائي عصيّ المنال. ويعتقد بأن الحضارة تقوم بصورة أساسية على القوانين التي تحد من الاستقلال الفردي لصالح توفير الحرية وشعور الأمان والعدل. ويحذر من الفوضى الاجتماعية التي تنتهي بالطغيان.

فروبينيوس، ليو فيكتور (1873-1938) Leo Frobenius

عالم إنسان وعالم آثار وإثنيات ومؤرخ للفن، ألماني. أصبح أستاذًا فخرياً في جامعة فرانكفورت، ثم مديراً للمتحف الإثنوغرافي المحلي. قام بالعديد من الدراسات الآثارية والإثنوغرافية في روما، وفي العديد من بلدان إفريقيا. وتكريماً لجهوده المميزة تمت تسمية «معهد الإثنولوجيا» بجامعة فرنكفورت، باسمه، ليصبح «معهد فروبينيوس».

وهو صاحب نظرية «أتلانتس الأفريقي» أثناء رحلاته في إفريقيا، وهي حضارة افتراضية يعتقد أنها كانت موجودة في شمال إفريقيا، اقترحها ليو فروبينيوس في البداية حوالي عام 1904 ، سميت على اسم أتلانتس الأسطوري، وقد تم تصور هذه الحضارة المفقودة لتكون أصل الثقافة والبنية الاجتماعية الافريقية.

من أهم مؤلفاته: (تصور العالم لدى شعوب الطبيعة)، (أصل الثقافة) يقع في اثني عشر مجلداً، (من دراسة الشعوب إلى الفلسفة)، (تاريخ الحضارة الافريقية)، و(مصير الحضارات). عرض فروبينيوس في سائر مؤلفاته تصوره للثقافة / الحضارة، كواقع مستقل بذاته، يتفرد بخط تطور خاص، عبر ثلاث مراحل:

- شباب الثقافة (مضاءة العاطفة).
- نضج الثقافة (مضاءة التعبير).
- شيخوخة الثقافة (مضاءة الاستفادة).

فهي تتجلى أولا على نحو حدسي، كما في عالم الأطفال، ثم على نحو مثالي، كما هي الحال في عالم المراهقين، ثم على نحو عملي آلي، كما هي الحال في عالم البالغين. ومع الشيخوخة تعود الثقافة / الحضارة إلى طور غير عضوي.

فكتور كوزين (أو كوزان) Victor Cousin (1867-1792)

فيلسوف فرنسي، كان تلميذاً لهيجل، وعمل على إدخال فلسفة هيجل إلى فرنسا، وهو باعث الفلسفة الانتقائية، ومؤسس تاريخ الفلسفة في فرنسا. فهو صاحب: (تاريخ الفلسفة العام)، و(تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر). له جملة محاضرات في فلسفة التاريخ، عبر فيها عن رؤيته التي تتلخص بتقسيم مراحل التطور البشري الى ثلاث مراحل:

1. مرحلة اللانهائية، حيث كان الإنسان يثق بالآلهة ثقة مطلقة، ويعتقد فيها اعتقاداً كلياً.

2. مرحة المحدود (التناهي)، وفيها نشأ التأمل الذي خلق إحساساً بالحرية الشخصية والقوة، الأمر الذي جلب الفوضى للجميع.

3. مرحلة الدمج والربط والاتحاد، وهي التي نجمت عن اندماج المرحلتين السابقتين اندماجاً مثالياً، فتم الاتحاد بين الاعتقاد بوجود توجيه إلهي وبين شك الإنسان بحريته.

آمن كوزين بنظرية (العناية الإلهية)، فنظر إلى التاريخ البشري على أنه كشف عن قدرة الله ونظام حكمه لهذا العالم، وهو الأمر الذي يظهر للعباد تدريجياً.

وهو أيضاً من أنصار نظرية (البطل في التاريخ)، التي تعكس اهتمام التاريخ بالإنسان الأسمى، فكان يرى أن عظماء الرجال يعكسون روح عصرهم، وفيهم يكمن تاريخ الفرد والتاريخ العالمي. وبناء على ذلك فان تناول حياتهم وسيرهم يعني تناول تاريخ الإنسان. فالتاريخ العالمي هو عدة تراجم لشخصيات عظيمة يتم الربط بينها جميعاً.

فلسفة التاريخ Philosophy of History

فلسفة التاريخ، اصطلاح أطلقه للمرة الأولى فيلسوف التنوير فولتير (1694-1778) على الدراسات التاريخية التي تعنى بالتاريخ الكلي بديلاً عن تاريخ أحداث الماضي بذاتها. فكانت فلسفة التاريخ تعني تأملات في التاريخ. وعلى هذا عرفت فلسفة التاريخ بالتعليق على الحدث التاريخي، وبيان أسبابه، وذكر فروض مختلفة حوله، مع محاولة الإجابة على هذه الفروض.

ثم تطور هذا المفهوم بعد إدخال قانون العلية في حركة التاريخ، باعتبار أن قانون العلية يجري في التاريخ كما يجري في العلوم الطبيعية. من هنا أصبحت مهمة فلسفة التاريخ هي الكشف عن القوانين الفاعلة في حركة التاريخ، فأصبحت فلسفة التاريخ تعني: دراسة الحوادث التاريخية وروابطها العلية والمعلولية، للوصول إلى مجموعة من القواعد والضوابط العامة التي يمكن تعميمها على جميع الموارد المشابهة في الماضي والحاضر والمستقبل.فأصبحت الحوادث والوقائع التاريخية بالنسبة للمؤرخ، بمثابة العناصر الطبيعية التي يقوم عالم الطبيعة بدراستها لاكتشاف خصائصها وروابطها العلية، وصولاً الى القوانين الكلية التي تحكمها.

وقد اصطلح البعض على القوانين التي تكشف عنها فلسفة التاريخ بـ «قوانين الحياة»، أو «قوانين الكون»، أي «الكينونة»، ذلك لأنها تعنى بأحوال المجتمعات في مرحلة خاصة من مراحلها، أو في مراحلها المتعاقبة، من قبيل: عوامل نشوء الحضارات، وعوامل سقطوها، وقوانين تطور المجتمعات وانتقالها من مرحلة إلى أخرى.

من هنا صارت فلسفة التاريخ تعرف بأنها: الفلسفة التي تحاول استنباط قوانين، أو وجهات عامة، لسير المجتمعات البشرية في التاريخ. أو هي الفلسفة المعنية بحركة المجتمعات وتحولها من مرحلة إلى أخرى، وبالقواعد الحاكمة لهذه التحولات.

فأصبح التاريخ، بحسب فلسفة التاريخ، هو موجود متحرك وفق نظام وقوانين تلازمه في سيرورته، وأنه ابتدأ بزمن ما، ويمر عبر طريق طويل إلى غاية ما. وفلسفة التاريخ إنما تبحث في هذه الحركة وقوانينها واتجاهاتها وغايتها. وأصبح موضوع فلسفة التاريخ هو البحث في المسائل الرئيسية الثلاث: معنى التاريخ، العلية في الحوادث التاريخية والقوانين التي تحكمها، واتجاه حركة التاريخ.

ومن هذه المسائل تترشح ثلاث مقولات فلسفية، تشكل المقولات الأساسية التي تستعيرها فلسفة التاريخ من الفلسفة، وهي: الكلية، والعلية، والغائية. وهكذا كونت (العلية) حلقة وصل بين التاريخ وبين الفلسفة، ليتأكد هذا الوصل عندما أصبح التاريخ في نهجه الفلسفي ممسكا بمقولتي (الكلية) المتقدمة على العلية، و(الغائية) الملازمة لها.

وهكذا تترك فلسفة التاريخ أثرها الإيجابي على الفلسفة، وليس على التاريخ وحده، فهي تشد الفلسفة إلى الواقع بدلاً من أن تحلق في التجريد، وهذا ما ظهر بالفعل منذ القرن الثامن عشر، حيث ارتبطت الفلسفة بالتاريخ، وحيث أصبح التاريخ واحداً من موضوعات الفلسفة المفضلة.

أما بالنسبة للتاريخ، فإن الفلسفة، بحسب تعبير جوزيف هورس، وحدها تتناول البحث في المبادئ، وهي التي تبني التاريخ، وتربط أجزاءه، وبدونها لا يكون للتاريخ وجود، بل يكتفي المؤرخ بتدوين الوقائع التي حفظها دون اختيار ولا تمييز، أما اذا أراد المدوّن أن يؤرخ فلا بد له من تهذيب فلسفي.

ومن منطلقه القائل بأن التاريخ ليس إلا قصة العقل البشري، يدعو بنديتو كروس إلى التوفيق بين الفلسفة والتاريخ، ويرى أن مهمة الفلسفة هي تفسير ما غمض من حقائق كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي. وحين يوجز هيجل تعريفها، يقول: أعم تعريف يمكن تقديمه هو القول بأن فلسفة التاريخ لا تعني شيئاً آخر سوى دراسة التاريخ

من خلال الفكر.

وقد حظي عديد الفلاسفة بلقب (أب فلسفة التاريخ)، أولهم كان فولتير، صانع هذا الاصطلاح. لكن اعتمد آخرون مقياساً آخر لمنح هذا اللقب، وهو النتاج الفكري المنسجم مع هذا الموضوع، فذهب البعض إلى اعتبار (فيكو 1668-1744) هو الأولى بهذا اللقب، استناداً الى مؤلفه المميز الذي يطرح فيه نظريته في التقدم الحلزوني للتاريخ.

ومنح بعضهم هذا اللقب لـ (مونتسكيو 1689-1755) باعتباره واضع حجر الأساس للطريقة العلمية في التاريخ.

وبرز أيضاً اسم (هردر 1744-1803) استناداً إلى كونه صاحب أول عمل كبير منظم في فلسفة التاريخ، في كتابه المكون من أربعة أجزاء بعنوان (أفكار حول فلسفة تاريخ الجنس البشري). وعلى مثل هذا الاعتبار قُدم (جان بودان 1530-1596) لهذا اللقب.

واستناداً الى مثل هذا الاعتبار يمكن أن يكون ابن خلدون (1332-1406) هو أول من استحق لقب الأب لفلسفة التاريخ.

فوكوياما، يوشيهيرو فرانسيس (1952 -) Yoshihiro Francis Fukuyama

فيلسوف معاصر وعالم اقتصاد سياسي، واستاذ جامعي أمريكي من أصل ياباني. اشتهر بكتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير). فكرته الأساسية أن الديمقراطية الليبرالية تمثل نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان، بغض النظر عن كيفية تجلي هذه المبادئ في مجتمعات مختلفة.

آمن فوكوياما بأن التاريخ الحديث، الذي قدم كنتيجة لانتشار العلوم الطبيعية الحديثة، يتحرك في اتجاه واحد متجانس. وأن منطق العلوم الطبيعية الحديثة التقدمية

يهيّئ المجتمعات الإنسانية فقط لتقبل الرأسمالية، وهذا ما يفسر لنا خلق ثقافة عالمية قائمة على مبادئ اقتصادية حرة. فالاقتصاد القائم على تكنولوجيا متقدمة قادر على وصل مجتمعات مختلفة بعضها ببعض من خلال خلق أسواق عالمية شاملة، ولكن الاشتراك في هذا العالم يتطلب أولاً تبني مبادئ الحرية الاقتصادية، وهذا هو الانتصار. فللتاريخ، إذن، مسار تقدمي بهذا الاتجاه الواحد، وأن مجرد وجود فواصل وفجوات في التطور التاريخي لا يكفي لإلغاء هذه الحقيقة.

فالتاريخ يسير باتجاه واحد، تقدمي، ولا يتخذ مساراً دورياً أو عشوائياً. وهذا يعني عدم عودة أشكال التنظيم المجتمعي المنحلة من جديد. ذلك لأن المسار الموجه للتاريخ يعتمد على العلم الطبيعي الحديث كآلية محتملة خلف التغيرات التاريخية الموجهة، لأنه النشاط الاجتماعي الوحيد المجمع على تراكميته. بمعنى أن العلم الطبيعي الحديث ليس عشوائياً ولا دورياً، فالبشر لا يعودون إلى حالة الجهل السابقة بشكل دوري، ونتائج العلوم الطبيعية ليست خاضعة للأمزجة والأهواء. ثم إن هناك علاقة ترابطية وثيقة تربط مستويات التعليم والتقدم الاقتصادي بالانتقال الديمقراطي.

مع ذلك يرى فوكوياما أن التفسير الذي تقدمه آليةَ العلم الطبيعي للتاريخ يبقى تفسيراً غير مكتمل، لأنه لا يشرح كافة جوانب العملية التاريخية. لذلك قال بضرورة العودة إلى ديالكتيك هيجل الذي قدم آلية مكملة للآلية الأولى، تسمح باسترداد جدلية غير مادية لفهم دوافع الإنسان للثورة والمطالبة بالديمقراطية، أسماها بـ «النضال من أجل الاعتراف».

فاستعمل فوكوياما الجدلية الهيجلية باعتبارها قوة دافعة خلف حركة التاريخ البشري. فالتاريخ هو عملية ارتقاء متواصلة للفكر البشري، ولهذا الارتقاء مُحركان، هما: «العلم الطبيعي الحديث»، و«النضال من أجل الاعتراف». وناقش كيفية تجلي هذا

النضال في مجالات الثقافة، والسياسة الدولية، والأخلاقيات، والدين، والقومية، والعمل. ليصل الى أن «الإنسان الأخير» هو تحليل مرحلة ما بعد الاعتراف، والانتهاء المفترض للجدلية.

لكن هناك مراحل تطويها عملية التحول الفعلي على صعيد الوعي المجتمعي وهو يتجه نحو الديمقراطية الليبرالية. إذ إن رغبات الاعتراف قد تتخذ أنماطاً غير منطقية قبل أن تتبدل لصالح صيغة من الاعتراف الشامل والمتبادل، بالذات رغبات الاعتراف الدينية والقومية. لم يكن هذا التحول مريحاً وسلساً في أغلب الحالات، حيث تتواجد رغبات الاعتراف العقلانية جنباً إلى جنب مع الرغبات غير المنطقية في معظم مجتمعات العالم، بل إن ظهور واستمرار الاعتراف العقلاني يتطلب بقاء هذه الأنماط غير العقلانية بصيغة معينة. تلك هي مسيرة التاريخ نحو نهايته، فالتاريخ يصل إلى نهايته إذا كانت الصورة الحالية للتنظيم الاجتماعي والسياسي مقنعة تماماً ومرضية تماماً للبشر.

ونهاية التاريخ لا تعني توقف الأحداث أو العالم عن الوجود، ولا تقترح تلقائية تبني كافة مجتمعات العالم للديمقراطية، إنما تعني وجود إجماع عند معظم الناس بصلاحية وشرعية الديمقراطية الليبرالية، أي انتصارها على صعيد الأفكار والمبادئ، لعدم وجود بديل يستطيع تحقيق نتائج أفضل. وعلى المدى البعيد، سوف تتغلب هذه المبادئ.

فولتير (1694 -1778) Voltaire

فرانسوا ماري أرويه (Francois Marie Arouet) الفيلسوف الفرنسي المعروف باسمه المستعار (فولتير). وهو واحد من أهم فلاسفة التنوير. كاتب غزير الانتاج، متعدد الثقافات، اشتهر بنقده الساخر، كتب في معظم فنون الأدب، كالقصة والرواية والشعر والمسرحية، وهو خطيب بارع له أكثر من ألفي خطاب، كتب المقالات القصيرة على هيئة

منشورات، قاصداً جعل الفلسفة ثقافة عامة في المجتمع، فنشر ما يربو عن (عشرين ألف) منشور من هذه المقالات الفلسفية والنقدية.

له مؤلفات عديدة في التاريخ والفلسفة، أشهرها: (الرسائل الفلسفية)، (عناصر فلسفة نيوتن)، (تاريخ شارل الثاني عشر)، و(عصر لويس الرابع عشر)، و (تاريخ سنوات الامبراطورية)، (القاموس الفلسفي)، (رسالة في التسامح)، (فلسفة التاريخ)، و(مقالة في سلوك الأمم وروحها). هذا غير مؤلفاته في القصة الفلسفية، والرواية، والمسرح، والشعر.

اشتهر بصلابته في الدفاع عن الحريات العامة وحرية الاعتقاد، وفي نقد قوانين الامبراطورية وقوانين الكنيسة، ونقد الخرافة والتعصب والطائفية. وبسبب نشاطه هذا تعرض للسجن عدة مرات في فرنسا، واضطر للهرب منها مرتين.

وهو أيضاً أشد المناضلين من أجل ترسيخ المذهب التجريبي، وتأكيد القطيعة النيوتنية بين علوم الطبيعة وبين علوم ما بعد الطبيعة، وأكثر من اجتهد في مناهضة المذهب العقلي الذي دافع عنه ورسخه ديكارت ولايبنتز.

ومن حصيلة نضالاته الفكرية هذه، تستنج موسوعة ستانفورد: أن فولتيرقد سنّ سنة فلسفية اقتفاها من بعده اوغست كومت وتشارلز داروين، وبقي عودها غضاً طرياً حتى سار عليها كارل بوبر ورتشارد داكنز في القرن العشرين.

فولتير هو أول من استخدم اصطلاح فلسفة التاريخ، وقال: لا ينبغي أن يكتب التاريخ سوى الفلاسفة. وهو مؤسس المدرسة العقلانية في علم التاريخ، وهو العقل الموجه لها.

يرى أن الإنسان يتقدم من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية بفضل ما يمتلكه من عقل طبيعي، فالعقل هو الذي يكمن وراء حركة التاريخ، وحتى غريزة الإنسان التي تدفعه إلى المجتمع إنما يحركها العقل. وأنه ثمة ثلاثة عوامل تؤثر على فكر البشر:

«المناخ»، و«نوع الحكم»، و«الدين». وهذه العوامل الثلاثة هي الوسيلة الوحيدة لتفسير لغز العالم. ويتفق مع معاصره مونتسكيو على أن شرائع الأديان تتأثر بالمناخ وبالطبيعة، فالشعائر والطقوس التي يؤديها البراهمي الهندي في الهند لا يمكن أن تنسجم مع المناخ الأوروبي والبيئة الأوروبية، فكل القوانين التي تتعلق بالأمور المادية تُسن طبقاً لخط الطول الذي يعيش فيه المرأ. أما العقائد فلا تأثير للمناخ عليها، فيمكن للمرء أن يحمل عقيدته ذاتها في كل بيئة طبيعية وتحت ظروف أي مناخ كان. كما يتفق معه في العلاقة بين طبيعة الحكومة وبين مبدئها، فالشرف ضروري في الدولة الملكية، بينما الفضيلة هي الضرورية في الدولة الجمهورية.

والتاريخ كله عند فولتير هو نتاج احتكاك الأفكار والحضارات، فالمسيحية جاءت لتتحدى الوثنية، والإسلام دخل في صراع مع المسيحية، والمذهب البروتستانتي ظهر يتحدى الكاثوليكية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، أما عصر فولتير فقد تغلب فيه العقل على الخرافات وشتى البدع.

وهو من رواد فكرة التقدم في التاريخ، فحركة التاريخ عنده في تقدم، فالانتصارات البشرية على الأشياء، وتناحر الجماعات البشرية، وتقدم الأخلاق والعلوم والفنون، كل هذا جرى بصورة طبيعية، وكل هذا سيستمر متزايداً كلما توسع أفق العقل البشري.

وعلى هذا اعتمد فكرة جوهرية مفادها أن تاريخ الحضارة هو الطريق الوحيد الذي ينتظم فيه كل تاريخ المدنية، فعزم في كتابه الأخير (مقالة في سلوك الأمم وروحها) على أن لا يتناول الملوك، بل الحركات والقوى والجماهير. ولا يتناول الدول، بل الجنس البشري. ولا يتناول الحروب، بل سير العقل البشري.

فأنتج بذلك أول محاولة منظمة لتتبع سير الأسباب الطبيعية في تطور العقل الأوروبي. وهو كواحد من مؤسسي المدرسة العقلانية في التاريخ، والتي تعني عنده أن

العقل هو الذي يقود حركة التاريخ، ينكر أن الصيرورة التاريخية إنما تتحرك وفق العناية الإلهية. ويميز بين نوعين من العناية: العناية الكلية، والعناية الجزئية. وقد أنكر العناية الجزئية، التي تعني تدخل الله بجزئيات الكون والحياة، لأنه يعتقد أن الله خلق الكون كله وفقا لقوانين ثابتة لا يمكن تغييرها. أما العناية الكلية فيريد بها وجود نظام كوني قائم على قوانين كلية ثابتة.

فيبر = ماكس فيبر

فيخته، (أو فيشته) يوهان غوتليب (1762-1814) Johann Got-tlieb Fichte

فيلسوف ألماني، من أبرز مؤسسي المثالية الألمانية، عمل معلماً، ثم استاذاً جامعياً، ثم رئيساً لجامعة برلين. توصف فلسفته بأنها تمثل جسراً بين أفكار كانت وبين أفكار هيجل. أصدر كتابه الأول (محاولة في نقد الثورة) 1792، حاول فيه الربط بين الوحي الإلهي وبين فلسفة كانت النقدية. وقيل كتابه الأول كان (كتاب نقد كل وحي)، كتبه باسم مستعار، لكنه سرعان ما تم الكشف عن الاسم الحقيقي لمؤلفه، فكان سبباً في شهرته المبكرة.

ومن مؤلفاته الأخرى: (رسائل إلى الأمة الألمانية)، (مساهمات مخصصة لتقويم حكم الجمهور على الثورة الفرنسية). عرض فيه نظريته السياسية. (مذهب العلم)، (مدخلان إلى مذهب العلم)، (دعائم القانون الطبيعي على ضوء مبادئ مذهب العلم)، (أسس الحق الطبيعي وفق مبادئ مذهب العلم)، (مصير الإنسان)، و(الدولة التجارية المغلقة).

نظر فيخته إلى التاريخ وفق مبدأ الجدلية، فاعتبر حركة التاريخ الإنساني تقوم على تقابل الاستبداد والحرية، وتقابل الملكية والنظام الجمهوري. وكان فيخته (فيشته) يعتقد أن ترتيب العصور ترتيباً تاريخياً كما أرادها الله، يقع على خمسة عصور:

1. عصر البراءة، وكان العقل يظهر فيه بصورة غريزة عمياء.

2. عصر السطلة، وهو الذي تطلب أن يكون العقل عاملاً ثانوياً بالنسبة للطاعة السلبية.

3. عصر اللامبالاة بالحقيقة، وهو الذي ألغي فيه تحكيم العقل.

4. عصر العلم، الذي تجلت فيه الحقيقة وعلت على كل شيء. وفي هذا العصر بدأ الإنسان يشعر بقيمة العقل.

5. عصر الغنى، وفيه أصبحت الإنسانية حرة، وبدأت تضفي على نفسها من الإبداع والرونق ما يناسب عصر العقل المطلق. وكان فيخته من أصحاب الرؤية العرقية، يرى تفوق العرق الألماني ونقاءه، دون سواه من أعراق أوروبا والعالم. ففي كتابه (رسائل إلى الأمة الألمانية) يقول: إن الأمل في المستقبل معقود على الشعوب الألمانية، فهذه الشعوب مكونة من عنصر نقي غير مختلط، له معين لا ينضب من الحياة الروحية ومن القوة. أما الشعوب اللاتينية فهي نتاج اختلاط أجناس بعضها ببعض، وبالتالي قد ازدهرت حضارتها قبل الأوان. ويرى في النهاية أن هدف الأمة الألمانية هو العثور على إمبراطورية من الروح والعقل، وإبادة القوة المادية الخام التي تحكم العالم تماماً.

فيراري = جوسيب فيراري

فيكو، جامباتيستا (1668 - 1744) Giambatista Vico

مؤرخ وقانوني وعالم لغويات إيطالي، وهو «أبو فلسفة التاريخ» بحسب الكثير من فلاسفة أوروبا. أستاذ كرسي البيان في جامعة نابولي. عاش حياة شخصية صعبة من الناحيتين الصحية والمادية.

وهو الفيلسوف الإيطالي الذي هجر الموقف النفعي للتاريخ الذي ميز النهضة الإيطالية، وأتم في مجال التاريخ ما حقّقه بيكون بالنسبة للاستقصاء في العالم الطبيعي، وكان بهذا أحد مؤسسي «علم التاريخ».

كان عمله الرئيسي في مجال علم التاريخ وفلسفة التاريخ هو: (مبادئ علم جديد عن الطبيعة المشتركة للأمم) الصادر سنة 1725م.

انطلق فيكو من المبدأ الذي صاغه توماس هوبز، ولكن باتجاه معاكس: فإذا كان صحيحاً أن موضوعاً من المواضيع لا يمكن أن يعرف إلا بقدر ما نحن أنتجناه، فان الطبيعة لا يمكن أن تُعرف لأننا لم نصنعها نحن، وبالمقابل نستطيع جيداً معرفة التاريخ الذي صنعه البشر:

«عندما يصف الأشياء كذلك من خَلقها نفسه، فإن التاريخ يأخذ عندئذ، في أعلى درجاته، صفة من اليقين». فكان فيكو، انطلاقاً من هذا المبدأ، يؤكد أن معرفة الأفكار والأشخاص والحوادث المتغيرة في التاريخ، توفر اطمئناناً أكثر مما يزعمه أولئك الذين لا يمنحون قيمة إلا للرياضيات والطبيعة. لذلك يجب أن يرتبط التاريخ بالمعطى التجريبي، ويستطيع بالنسبة لهذا المعطى أن يصوغ احتمالات، لا برهاناً منطقياً، إلا أن الناس يستطيعون أن يتوصلوا إلى معرفة للفعاليات الإنسانية أكثر تعمقاً منها لمملكة الطبيعة.

يرى فيكو أن للتاريخ حركة دائرية متكررة على الدوام، تتمثل في أدوار ثلاثة متعاقبة، غير أن هذه الحركة ليست كحركة العجلة التي تدور حول نفسها، ولكنها حركة حلزونية، لأن التاريخ لا يعيد نفسه على نفس النمط، ولكنه يأتي بصورة جديدة، فالتاريخ إذن في تجدد دائم. وهذه الأدوار الثلاثة هي:

أ. دور الآلهة: الذي ظهر أولاً في العهد البدائي، ويميزه حكم الظلام والخوف والسحر،

ولغة الشعر، أو لغة الحكمة الشعرية، إنه عهد الثيوقراطية.

ب. دور الأبطال: أو العهد البطولي الذي يحكمه رجال أشدّاء، وتسود فيه الارستقراطية.

ج. دور الإنسان: الذي اعترف الناس فيه بأنهم متساوون في الطبيعة، نتيجة لذلك أقاموا خلاله جماعات شعبية بدائية، ثم ممالك، مكونة كلاهما من أشكال الحكومة الإنسانية، فهو عصر الديمقراطية.

ولقد مرت جميع الشعوب بمراحل هذا التطور، وبعدئذ سقطت في البربرية، ومنذ ذلك الحين تتكرر العملية، في تعاقب دوري، تتصل نهاية الدور الثالث بالدور الأول، إما لنفس الأمة، أو لأمة أخرى.وإلى جانب هذا آمن فيكو بـ «العناية الإلهية» حيث يقول: «إن العلم الجديد، جديد بأحد سماته الرئيسية؛ برهان لواقعة العناية التاريخية، إذ يجب أن يوجد تاريخ لأشكال النظام الذي منحته العناية لمدنية الجنس البشري الكبرى في معزل عن بصيرة الناس ومآربهم، وفي الغالب على عكس مشاريعهم».

ويعطي العناية معنيين: العناية العامة، والعناية الخاصة، فالعناية العامة تظهر في قوانين الطبيعة وفي عملية التاريخ المنظمة، فالتاريخ لا يبتدعه الناس فحسب، ذلك أن العناية تقود أحياناً إلى نتائج لم تخطر في بالهم. أما العناية الخاصة فتكون في ما يقود الناس إلى نمط الحياة الأكمل. ويعترف فيكو بأنه اقتبس من أفلاطون التصور الذي احتوى في إطاره معالجته للتاريخ، لاسيما مبدأ العناية الإلهية، حيث يقول: "إن أفلاطون الإلهي يؤكد بأن العناية توجه سير الشؤون الإنسانية".

ويتضح أكثر دور العناية الإلهية في التفصيل والتدرج الذي تبناه فيكو لمراحل التطور الاجتماعي والسياسي، فالحكومات مرت بثلاث مراحل رئيسية: (الثيوقراطية) وفيها زعم

الحكام أنهم صوت الله، و(الارستقراطية) وفيها اقتصرت جميع الحقوق المدنية على طبقة الأبطال الحاكمة، و(البشرية) وفيها يعتبر الجميع سواء أمام القانون، وهذه هي الحال في المجتمعات الشعبية الحرة، أي الديمقراطية، وكذلك الحال في (الملكية) التي تجعل جميع رعاياها سواء أمام القانون. واتفق مع أفلاطون في أن الديمقراطية تنزع إلى الفوضى، وأن الفوضى تنزع إلى الدكتاتورية، فاعتبر حكم الرجل الواحد هو علاجاً ضروريا للخلل الديمقراطي. فالملكيات عنده هي الحكومات النهائية التي تصل إليها الأمم لتستريح.

أما سبب هذا التحول (من الديمقراطية إلى الدكتاتورية) فمبعثه الخلل الاجتماعي الذي قد ينبعث من التدهور الخلقي أو الترف، أو تركيز الثروة تركيزاً يمزق الأمة، أو الحسد العدواني بين الفقراء. ومثل هذا الخلل يفضي عادة إلى الدكتاتورية، فاذا عجزت حتى الدكتاتورية عن وقف الانحلال، فإن أمة أشد قوة وعنفواناً تدخل فاتحة للبلاد. وإذا كان الناس الذين بلغ منهم الفساد هذا المبلغ قد انقلبوا عبيداً لشهواتهم، فإن العناية الإلهية تقضي بأن يصيروا عبيداً بحكم القانون الطبيعي للأمم، تستعبدهم أمم أفضل منهم. ومن هنا يخلص إلى قانونين كبيرين من قوانين الطبيعة:

أولهما: إن من يعجز عن حكم نفسه يجب أن يدع القادر على حكمه أن يحكمه.

وثانيهما: أن العالم يحكمه دائماً من هو بالطبيعة أصلح الحاكمين.

وفي مثل هذه الحالات يرتد الشعب المغلوب إلى مرحلة التطور التي وصل إليها غالبوه، وهكذا ارتد سكان الامبراطورية الرومانية إلى الهمجية والتخلف بعد غزوات الشعوب الهمجية، واضطروا الى أن يعودوا ليبدأوا بالثيوقراطية، حكم الكهنة واللاهوت، وهكذا تسير دورة الحضارة لدى الشعوب والأمم.

فيليب بوشيز (1796-1866) Feleep Poshees

فيلسوف فرنسي، كان تلميذاً لسان سيمون. وضع فلسفته للتاريخ في كتابه (مقدمة لعلم التاريخ). غلب عليه الاتجاه اللاهوتي في تفسير التاريخ، ومراحل تطور تاريخ الجنس البشري. معتقداً، شأنه شأن أصحاب نظرية العناية الإلهية، بأن التوجيه الإلهي وقدرة الله هي التي توجه تطور البشرية والحضارة. وقسم التاريخ تقسيما دينياً الى أربع مراحل رئيسة:

1. مرحلة آدم، وهي مرحلة امتدت منذ بداية وجود الجنس البشري، حتى قيام النظم الإنسانية.

2. مرحلة نوح، وهي التي شهدت تكوين القبائل والأجناس.

3. المرحلة التي تنسب لنبي غير معلوم من أبناء سام، وهي التي تضمنت نشأة الرغبة في الاتصال والارتباط بين بني البشر، والمساواة فيما بينهم، والتخصص في العمل.

4. مرحلة الكشف عن الحقيقة والحياة عن طريق يسوع المسيح.

حرف الكاف

كارسافين، ليف بلاتونوفتش(1882-1952) Lev Platonovith Kar-avine

فيلسوف صوفي ومؤرخ روسي. عاش في المهجر30 عاماً، منذ 1922 حتى وفاته. من مؤلفاته: (اسس التقوى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر)، (الشرق والغرب والفكرة الروسية)، و(حول الشخصية). وكتب في فلسفة التاريخ: (فلسفة التاريخ).

تبنى الاتجاه اللاهوتي المسيحي في تفسير التاريخ، فحاول إثبات التصور المسيحي الارثوذكسي للعالم. أطلق على مذهبه عنوان: «فلسفة الكيان الكلي»، بالنظر إلى أن «الله» هو هذا الكيان الكلي، المطلق، الكامل، الذي كل ما في الوجود تجلٍ له. وبالتالي لا مكان لفلسفة، أو لمعرفة غير دينية، فالمطلق فوق العقل، والطريق إلى معرفة الله لا يمر بالعقل.

كارل بوبر (1902-1994) Karl Raimund Popper

فيلسوف نمساوي إنجليزي، أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم، كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية وفلسفة التاريخ. من أشهر مؤلفاته: (منطق الاكتشافات العلمية)، و(المجتمع المفتوح وأعداؤه)، و(بؤس التاريخانية أو فقر التاريخ)، و(المعرفة الموضوعية)، (أسطورة الإطار)، و(التخمين والنقض)، وسيرته الذاتية تحت عنوان (البحث الذي لا ينتهي).

ميز بين العلوم وبين الميتافيزيقيا والعلوم الزائفة، على أساس نقطة مبدئية، فالعلوم الحقيقية تترك من حيث المبدأ مجالاً مفتوحاً لاحتمال كونها خطأ، وإذا لم يكن الادعاء يحتمل الخطأ، حتى من حيث المبدأ، فإنه لا يكون علمياً.

فمزية العلم الأساسية هي قابليته المستمرة للاختبار التجريبي والتكذيب، لتعيين الخطأ كي يحل محله يوما ما كشف أفضل وأكفأ وأقرب إلى الصدق. وسوف نرى أن الكشف علمي بقدر ما يكون قابلا للتكذيب، بقدر ما يفتح طريقاً إلى تقدم أبعد. فليس منطق الكشف العلمي منطق لبنة جديدة تضاف إلى صرح العلم، بقدر ما هو منطق فتح جديد للتقدم العلمي، إنه فلسفة التقدم المستمر.

واعتبر نظريات فرويد من العلم الزائف، رغم ادعائها أنها علمية، وذلك لعدم إمكان إخضاعها للتجربة. وفي كتابه (بؤس التاريخانية) هاجم بوبر الحتمية التاريخية، وإمكان التنبؤ في التاريخ، محتجاً بأن التاريخ يتأثر كثيراً بنمو المعرفة. ولما كان نمو المعرفة أمراً لا يمكن التكهن به، وأنه يخضع للتطوير دائماً، فإن تأثيره على التاريخ لا يمكن التنبؤ به. ولأن المجتمع في مسيرته يواجه كل أمر بما يناسبه، لذلك رأى أنه لا يوجد قانون للتطور التاريخي يمكن أن يضمن مزيداً من التقدم. لكنه يقرر انتصار المُجتمعات المفتوحة (أي الرأسمالية)، كما لو أن هذا الانتصار قضية تاريخية حاصلة بفضل نمو المعرفة.

وأخذ على المدرسة التاريخية إيمانها بوجود عنصر مشترك بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ذلك أنها تتبنى فكرة أن علم الاجتماع، مثل الفيزياء، فرع من المعرفة التي تهدف إلى أن تكون نظرية وتجريبية في الوقت نفسه. وهذا يعني، بحسب بوبر، أن العلوم الاجتماعية يجب أن تفسر وتتوقع حوادث ما، بمساعدة نظريات أو قوانين عامة، مسندة بالاختبار. أي أن الحوادث التي تفسرها وتتوقعها هي حقائق يمكن ملاحظتها، وأن الملاحظة هي أساس قبول كل نظرية مقترحة أو رفضها.

فإذا كان نجاح الفيزياء يفيد نجاح تنبؤاتها، وأن نجاح تنبؤاتها يمكن عدّه التعزيز أو الإثبات التجريبي لقوانين الفيزياء، فإن المقايسة مع العلوم الاجتماعية تعني أن النجاح في هذه العلوم يشتمل كذلك على تعزيز التنبؤات وتأكيدها. ويستتبع ذلك أن مناهج

معينة (التنبؤ بمساعدة القوانين، واختبار القوانين بالملاحظة) يجب أن تكون مشتركة بين كل من الفيزياء والسوسيولوجيا.

كارل ماركس (1818-1883) Karl Marx

الفيلسوف الألماني، وعالم الاجتماع والاقتصاد السياسي الشهير، صاحب النظرية المعروفة باسمه (النظرية الماركسية) التي تبنت المادية التاريخية، ووضعت أسسها وفلسفتها. انظم في شبابه الى تنظيم (الهيجليين الشباب) وهو تنظيم ثوري كان من قبل منهمكا في دراسة فلسفة هيجل الرائجة حينها.

كتب كثيراً في الفلسفة والسياسة والاقتصاد، لكن يعد كتاب (رأس المال)، وكتاب (البيان الشيوعي) أهم أعماله وأكثرها شهرة وأبعدها أثراً. وله أيضاً: (الفرق في فلسفة الطبيعة بين ديمقريطس وأبيقور)، (مساهمة في نقد فلسفة هيجل في القانون)، (نقد فلسفة هيجل في الدولة)، (حول المسألة اليهودية)، (الايديولوجيا الألمانية) بالاشتراك مع إنجلز، و(بؤس الفلسفة).

انتقد الفلسفة بشكل عام، ناظراً الى أن الفلاسفة بذلوا جهدهم في تفسير العالم، بينما المراد هو تغييره. فالعالم بنظره لا يتغير بالأفكار، بل عن طريق الممارسة والنشاط المادي الفعلي. وأفاد كثيراً من علاقته الوثيقة مع أنجلز، ليؤسسا معاً مذهب (المادية التاريخية) و(الجدلية المادية/ الديالكتيك المادي). **(راجع: الديالكتيك، والمادية التاريخية)**.

يرى ماركس، شأنه شأن هيجل، أن تطوير الذات يبدأ بتجربة الاغتراب الداخلي، يليه إدراك أنّ الذات الفعلية تجعل نظيرتها المحتملة موضوعاً يجب إدراكه. لكن ماركس يصف التطوّر الذاتي الهيجلي بأنّه روحي وتجريدي بشكل مُفرط.

ويرى ماركس أن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية،

وأن التغيير الاجتماعي يُدفع من خلال الصراع بين المصالح المُتعارضة الموجودة في نمط إنتاجي تاريخي مُعين، وأن التاريخ البشري بدأ بأنشطة حُرّة ومنتجة وإبداعية، لكنها تتحوّل مع مرور الوقت لقسريّة وغير إنسانية، وهذا الاتجاه هو الأكثر وضوحاً في ظل الرأسمالية. ولاحظ أن تنظيم المجتمع يعتمد على وسائل الإنتاج، فهي المُساهمة الوحيدة لإنتاج السلع المادية، مثل الأرض والتكنلوجيا، وليس العمل البشري، أمّا علاقات الإنتاج فهي العلاقات الاجتماعية التي يدخل بها الناس عندما يكتسبون ويستخدمون وسائل الإنتاج، فيشكلون طريقة الإنتاج.

وأنّ وسائل الإنتاج والتبادل التي قامت البرجوازية على أساسها، قد استُحدثت في المجتمع الإقطاعي. وعند درجة معينة من تقدّم وسائل الإنتاج والتبادل، لم تعد الشروط التي كان المجتمع الإقطاعي ينتج فيها ويبادل، ولم تعد علاقات الملكية الإقطاعية تتلاءم مع القوى المنتجة في تمام نموّها. فكانت تُعيق الإنتاج بدلاً من دفعه نحو التقدّم، ولذا تحولت إلى قيود كان لا بُدَّ من تحطيمها، وقد حُطّمت، وحلت محلها المزاحَمة الحرة، مع هيكلية مجتمعية وسياسية ملائمة، مع السيطرة الاقتصادية والسياسية لطبقة البرجوازيين. بَيْد أنّ البرجوازية لم تصنع، فحسب، الأسلحة التي تودي بحياتها، بل أنجبت أيضاً الرجال الذين سيستعملون هذه الأسلحة: «العمال العصريين» أو «البروليتاريين».

هذه التناقضات داخل المنظومة الرأسمالية هي ما سيتيح المجال لمجتمع ما بعد الرأسمالية بالظهور، فبفضل التطوّرات التي تُسببها الرأسمالية فإن الطبقة العاملة تنمو وتطوّر وعيها الطبقي، وتُدرك في الوقت المناسب استطاعتها لتغيير النظام.

تحل عندئذ فترة انتقالية سياسية لا يمكن أن تكون فيها الدولة سوى دكتاتورية البروليتاريا الثورية. لكن ماركس اعتقد بإمكانية أن يكون هذا التحول سلمياً في بعض الدول التي تملك هياكل مؤسسية ديمقراطية، مثل بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا، أمّا

في البلدان التي لا يستطيع العمال فيها تحقيق أهدافهم فلا بدّ لقيام الثورة.

اعتقد ماركس أنّ سيطرة الطبقة العاملة على وسائل الإنتاج ستدفع بالعلاقات الاجتماعية نحو المساواة، وستُلغي الطبقة المُستغلة، وتُدخل نظاماً أقل عرضة للأزمات الدورية. تلك المرحلة، التي تمثل الشيوعية، ليست حالة يجب أن تنشأ فنتكيف معها، بل هي الحركة الحقيقية للأشياء. وكان في عهده يرى أن ظروف هذه الحركة موجودة بالفعل. وقد ميزّ ماركس العصور التاريخية من حيث أنماط الإنتاج، ففرق بين البنية التحتية (القاعدة) والبنية الفوقية، حيث تُشكل القاعدة النظام الاقتصادي، وتُمثل البنية الفوقية النظام الثقافي والسياسي. وبهذا التفسير فإن عدم التوافق بين البنيتين هو مصدر الاضطراب الاجتماعي والصراعات.

أما نظرة ماركس للدين فتتلخص بوصفه الدين بأنه «زفرة الإنسان المسحوق»، و«روح عالم لا قلب له». كما «إنه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح». لذا فـ «إن التعاسة الدينية هي، في شطر منها، تعبير عن التعاسة الواقعية، وهي من جهة أخرى احتجاج على التعاسة الواقعية». وأن الهدف الأساسي للدين، كما عبر عنه ماركس، هو تعزيز التضامن الاجتماعي، وهنا تكمن وظيفته من أجل الحفاظ على الوضع السياسي والاقتصادي الموجود والحاوي على عدم المساواة.

من هنا نظر الى الدين على أنه «أفيون الشعب. وأن إلغاء الدين، من حيث هو سعادة وهمية للشعب، هو ما يتطلبه صنع سعادته الفعلية».

كارليل = توماس كارليل

كانط، عمانوئيل (أو إيمانوئيل كانت) (1724-1804) Immanuel Kant

فيلسوف ألماني، أحد أهم فلاسفة العالم، وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة، وهو آخر فلاسفة عصر التنوير. بلغت شهرته مداها لاسيما في ثلاثيته في نقد العقل: (نقد العقل المحض)، و(نقد العقل العملي)، و(نقد مَلَكة الحكم). وله مؤلفات عديدة أخرى تتعلق بالدين والتاريخ، منها: (أفكار في التقويم الصحيح للقوى الحية)، (التاريخ العام لطبيعة ونظرية السماء)، (بحث في شكل ومبادئ العالم الحسي والعالم المعقول)، (المقدمات)، و(الدين في حدود العقل البسيط)، أو (الدين في حدود مجرد العقل). وضع رؤيته للتاريخ في ثلاثة مؤلفات صغيرة: (فكرة عن التاريخ العالمي)، أو (فكرة تاريخ كلي من وجهة نظر كوسموبوليتية)، و(الأصل المحتمل للجنس البشري)، و(السلام الدائم).

يرى كانط أن ديناميكية التاريخ ترجع إلى الصراع القائم بين كل من شخصية البشر والمجتمع، أو بين الأنانية والإيثار، أو بين الفردية والجماعية. وعن هذا الصراع ينجم التقدم، ويتحدد نظام المجتمع البشري. ومن المزج بين الاثنين تتولد الحضارة.

والدولة المثالية، أو التي بلغت مرتبة الكمال، هي الدولة التي تجمع بين الحد الأقصى من الفردية الخلّاقة، وبين الحد الأدنى من رقابة الدولة في سبيل ضبط النظام. وواجب رجالات الدولة وسلطاتها هو تيسير السبل للوصول إلى هذا الجمع والترابط. ويتطلب النجاح في ذلك انتشار السلام، لكي يمكن تسخير كل خبرات المواطنين وذكائهم لحل هذه المشكلة. ولهذا دعا كانط إلى نبذ الحروب نهائياً، وجعل ذلك ضرورياً لتحقيق حالة مثالية من الحضارة.

كاوتسكي، كارل (1854-1938) Karl Kautsky

أكبر مفكري الماركسية بعد ماركس وأنجلز، فيلسوف وصحفي ومنظر سياسي، نمساوي ألماني، عمل مساعداً لأنجلز بين سنتي 1885 و1890. أسس في ألمانيا مجلة (الزمان الجديد) كرسها لنشر أفكاره في تفسير الماركسية والمادية التاريخية والديمقراطية الاشتراكية، وفكره السياسي.

وهو أحد زعماء الحركة الأممية الثانية، مطلع القرن العشرين، وكان يلقب «بابا الماركسية»، وقد هاجمه لينين في كتابه (الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي)، وذلك بسبب انتقاده للديكتاتورية البلشفية وطبيعة الدولة السوفيتية. كتب: (الطريق إلى السلطة)، و(رؤية مادية للتاريخ).

عمل كاوتسكي على تحليل كل مرافق الحياة وفق أسس المادية التاريخية. وانتقد ديالكتيك هيجل، وخالف (رأس المال) لماركس، معتبراً أن الأساس الصحيح للماركسية لا يقوم على النقد الاقتصادي في كتاب (رأس المال)، بل على أسس التصور المادي للتاريخ، والذي من شأنه أن يجعل الاشتراكية علماً يهدف إلى الكشف عن طبيعة الأحداث التاريخية وخصائصها. واعتبر النظرية الماركسية في التاريخ تطبيقاً لمناهج العلم على دراسة المجتمع.

وتأثر بدارون، فاجتهد في تطبيق نظرية دارون على تطور التاريخ البشري. فاستبدل بالديالكتيك الهيجلي مبدأ التكيف مع البيئة المتغيرة، إذ يرى أن الأنواع في الطبيعة العضوية تتغير لتكيف نفسها مع البيئة الطبيعية التي تتغير ببطء. وهذا بدوره يستلزم المزيد من التغيرات التي تشمل التغيرات التكنلوجية والاجتماعية، في عملية لا تنتهي، هي التي تؤلف التاريخ.

كراوز، كارل كريستيان فردريك (1781-1832) Karl Christian Friedrich Krause

فيلسوف ألماني، كان تلميذاً لشيلنج.

في كتابه (الفلسفة العامة للتاريخ) اعتقد ان البشرية تمر في تطورها بمراحل يمكن مقارنتها بمراحل تطور الإنسان:

في البدء المجتمع البدائي يشبه مرحلة البراءة أو الطفولة لدى الإنسان. ثم مرحلة الشباب والنمو، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاثة عصور فرعية: عصر الإشراك بالله، ويمتد من عصور الشرق القديم إلى عصور اليونان والرومان. وعصر التوحيد والسيادة الكنسية، وهي مرحلة العصور الوسطى. والعصر الثالث هو عصر الحرية، وقد زالت فيه كل سلطة خارجة على سلطة العقل.

أما المرحلة الثالثة من مراحل تطور البشرية فهي المرحلة التي يسيطر فيها الإنسان على كل من الطبيعة والمجتمع. وبذلك تتحقق وحدة كل الشعوب في دولة عالمية واحدة يسودها الرخاء.

كروشيه (كروس)، بنديتو (1866-1952) Benedetto Croce

بنيديتو كروشيه، أو كروس، مؤرخ وسياسي وفيلسوف وعالم جمالي إيطالي، يُعدّ من أكثر فلاسفة إيطاليا تميزًا في القرن العشرين. شغل عدة مناصب مختلفة في الإدارة العامة للبلاد، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ حتى وصول الفاشية. وبعد الحرب العالمية الثانية اختير سكرتيراً للحزب الليبرالي، وهو المنصب الذي شغله لمدة ثلاث سنوات، مع ذلك كان له تأثير مهم على مثقفين إيطاليين مختلفين عنه ايديولوجياً، من بينهم الماركسي

أنطونيو غرامشي، والفاشي جيوفاني جنتيلي. وكان هو متأثراً بهيجل ومثاليين ألمان آخرين مثل شيلنغ. وشغل كروشيه منصب رئيس نادي القلم الدولي، رابطة الكتّاب العالمية، منذ عام 1949 حتى عام 1952. ورُشح لجائزة نوبل للآداب 16 مرة. له عدة مؤلفات، منها: (الفلسفة كعلم للعقل)، (مادية التاريخ ومبادئ كارل ماركس الاقتصادية)، (فلسفة الجانب العملي)، و(التاريخ كفكر وكفعل)، أو (نظرية علم التاريخ وتاريخه)، (التاريخ من وجهة نظر الفن)، و(تاريخ أوروبا). أما أهم مؤلفاته فهو كتابه (فلسفة الروح).

كان يرى أن التاريخ هو المعرفة، بما في ذلك المعاصر، فكل التاريخ عنده تاريخ معاصر، فالتاريخ ليس الماضي، ولكنه شيء حي عندما تتم دراسته من أجل الاهتمام الذي يظهر في الحاضر. فالتاريخ بالنسبة له هو إبراز الحقيقة في الوقت الحاضر، إبرازا يحمل بين طياته انطباعات الماضي، ويضم بين ثناياه بصيص نور المستقبل. وأن مهمة الفلسفة هي تفسير ما غمض من حقائق كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي.

وبتأثير الفكرة المثالية التي تقول بانه ليس هناك حقيقة منفصلة عن العقل والروح، رأى كروشيه أن التاريخ في مجمله ليس إلا قصة العقل البشري، ويبدو ذلك في نظريات الفن وفي التصرفات العملية والأخلاقية. ويرى أن الإرادة الفردية لها أهمية حيوية، وأن الواقع منطقي، هذا يجعل الضوابط الاجتماعية ضرورية، فهي المسؤولة عن تنظيم حياة الناس، لذلك يمكن لكل فرد أن يتصورها بطريقة مختلفة. وبهذه الطريقة، ستكون القوانين التي تحكم المجتمع، بطريقة ما، غير أخلاقية، لأن أهدافها لا تتوافق مع أهداف الأخلاق.

وفيما يتعلق بالدولة كفكرة، يعارض كروس هيجل، لأنه يعتبر أن الدولة ليس لها أي قيمة أخلاقية، فهي ستكون فقط اتحاد الأفراد الذين ينظمون كيفية الاتصال قانونياً وسياسياً. واعتبر أن التاريخ، كمفهوم مطلق، هو تاريخ الحرية، الطريقة التي يتطور بها

الإنسان ويتحقق بصفته ليبرالياً جيداً. وركز على التجارب الإنسانية المعاشة وفقاً لحدوثها في أماكن وأزمنة معينة. وبما أن جذر الواقع يتمثل بهذا الوجود الحلولي المتأصل ضمن التجربة الملموسة، فقد وضع كروتشه الجماليات بين الأسس التي تقوم عليها فلسفته.

وتروج فلسفته الأخلاقية لمبدأ إخضاع الفرد للـ«كلي» أي إخضاع الفرد للنظام الاستغلالي السائد. وكان مخالفاً للنظريات العرقية في التاريخ، فيقول:«بصفتي مؤرخ، أدرك ما تتصف به نظريات العِرق من اعتباطية وخيالية وقابلية للطعن».

كوزان = فكتور كوزين

كولنجوود، روبن جورج (1889-1943) R. G. Collingwood

فيلسوف ومؤرخ وعالم آثار بريطاني، واسع الأثر في جيله وفي الجيل اللاحق من الفلاسفة والمؤرخين وعلماء الآثار. وتأثر بالفلسفة المثالية، لاسيما فلسفة هيجل وكروشيه وحتى أفلاطون.

أعماله التي قارب فيها فلسفة التاريخ، وتناول التاريخ فلسفيا: (بريطانيا الرومانية)، و(مقال في المنهج الفلسفي)، و(فكرة التاريخ) وهو أهمها في إطار فلسفة التاريخ. لا تنفصل فلسفته للتاريخ عن بحوثه التاريخية، مؤكداً الترابط بين التاريخ وبين الفلسفة. وتبنى أيضاً فكرة هيجل القائلة بأن العقل يحكم التاريخ.

ويرى كولنجوود أن التاريخ هو المعمل الذي تفحص فيه النظريات المعرفية ضمن منطق السؤال والجواب، ومبدأ إعادة الفحص الدوري، ويرى في تجاهل التاريخ وقوعا بالأخطاء ونقصاً معرفياً مخلاً بأي نظرية. في المجال الجمالي يذهب إلى أن الفن هو المرحلة الأولى من تسلسل هرمي، حيث المرور بالعلم والدين والتاريخ، ينتهي إلى حرية الفلسفة.

كان يتخذ في سيره إجراء مزدوجاً يجمع بين المنطق والتجربة، أي بين الطابع الاستنباطي والطابع الاستقرائي. فكان السؤال دائماً: هل تتفق النظرة العامة للتفكير الفلسفي مع التجربة؟ وبهذا كان يهاجم كل حجة تبعده عن الحياة والتجربة.

ومن القواعد التي طالب بها والتزم بأدائها، ما يلي:

- التزم بمبدأ ان كل عبارة هي اختبارية قبل التحقق من صدقها بالرجوع إلى الوقائع.
- مبدأ فهم الوقائع بالرجوع إلى الوقائع وبالعكس، أي فهم المبادئ بالاحتكام إلى الوقائع.

كون، إيغور (1928-) Igor Kon

فيلسوف روسي معاصر، شارك في تحرير المعجم الصغير لعلم الأخلاق.

من مؤلفاته: (البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات) له في الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ: (الخوف أمام قوانين التاريخ)، و(المثالية الفلسفية وأزمة الفكر التاريخي البرجوازي).

كونت = اوغست كومت

كونتال، أنتيرو تاركوينو (1842-1891) Anthero Quental Tar-quinio

فيلسوف وأديب وشاعر برتغالي، اشتغل بالأدب، ودرس القانون، ومارس السياسة بقوة، مكافحاً ضد الملكية وسلطة الكنيسة، وأصبح رئيساً لرابطة الشمال الوطنية، لكن الرابطة فشلت، فخاب أمله وأنهى حياته منتحراً.

من مؤلفاته: (القصائد الحديثة)، (فصول الربيع الرومانسية)، وتعد مجموعته الشعرية الكاملة (السونيتات) أفضل الشعر البرتغالي. وله في الفلسفة: (الاتجاهات العامة للفلسفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر).

وفي الفكر التاريخي وفلسفة التاريخ له: (البرتغال في مواجهة الثورة الإسبانية)، (أسباب انحطاط الشعوب الشبه جزيرية)، و(تأملات في فلسفة للتاريخ الأدبي البرتغالي).

كوندورسيه (1743 - 1794) Condercet

ماري جان أنطوان نيقولا كاريتا، المركيز دي كوندورسيه، عالم الرياضيات، والمؤرخ الفرنسي، الذي دافع عن علم التاريخ. نبغ نبوغاً مذهلاً في علم الرياضيات، وقدم فيها أبحاثاً مهمة منذ السابعة عشرة من عمره، فدُعي في السادسة والعشرين من عمره إلى عضوية أكاديمية العلوم، ثم أصبح أمين سر الأكاديمية. اندفع نحو الفلسفة، وكان متحمساً لفولتير، وصديقا لدامبير. وتقلد مناصب رسمية في الدولة.

من أعماله: (التفاضل والتكامل) في الرياضيات، (مديح الأكاديميين المتوفين منذ عام 1669)، (تأملات في العبودية الزنجية)، (المجاهرة بالإيمان)، (حول قبول المرأة في حقوق المواطنة).

اجتمعت فلسفته في التاريخ في كتابه الكبير (مشروع جدول تاريخي لتقدم العقل البشري). آمن كوندورسيه بقوة بنظرية التقدم في التاريخ، فالتاريخ تطور تقدمي للبشرية نحو الحقيقة والكمال والسعادة. وجعل قابلية الكمال قانوناً من قوانين الطبيعة العامة.

لاحظ كوندورسيه أنّ تاريخ السياسة والفلسفة والعلوم لم يكن من قبل سوى تراجم لبعض الرجال، بيد أن الجنس البشري إنما هو تلك الكتلة من الأُسر التي عاشت من عمل أيديها، وقد أهملها التاريخ. ودافع كوندورسيه عن ثلاث قضايا جوهرية في التاريخ، هي: «التنبؤ» و «التجربة»، و«الاستقصاء»، أي إمكان الاستفادة من التاريخ. إذ يقول:

إذا كان للتكهن بتقدم الإنسان، ولتوجيه مراحل هذا التقدم، وتعجيله، علم جدير بذلك، فهذا العلم إنما يكون في ذكر خطوات الإنسان في ماضي الأزمنة، وجعل تاريخها أساساً لخطواته المستقبلة.

وفي قراءة للتاريخ المقارن بين الحضارات قسم كوندورسيه تاريخ الحضارات إلى عشر حلقات، مثلت كل منها مرحلة من مراحل تطور الجنس البشري والحضارة البشرية، وأنّ تسعاً من هذه المراحل قد انقضت فعلاً، وأن الثورة الفرنسية والعلم الحديث قادا الجنس البشري إلى حافّة المرحلة العاشرة التي سوف تخلق عهداً من السعادة والرخاء لم يعرف له مثيل من قبل.

فنظر نظرة متفائلة إلى التاريخ، وقسم طريقه نحو الكمال في خطوات ثلاث، هي:

- تحطيم عدم المساواة بين الأمم.
- وتقدم المساواة في صميم الشعب.
- وأخيراً إتمام الإنسان.

حرف اللام

لابريولا، أنطونيو (1843-1904) Antonio Labriola

فيلسوف إيطالي، شغل كرسي الفلسفة الأخلاقية في جامعة روما، أسهم في تأسيس حزب اشتراكي في إيطاليا عام 1892، ثم ترك العمل السياسي وتفرغ للفكر والفلسفة والتعليم الجامعي، واهتم على نحو خاص بفلسفة التاريخ والأخلاق. من مؤلفاته: (في الحرية الأخلاقية)، (حول تعليم التاريخ).

وفي فلسفة التاريخ له: (مسائل فلسفة التاريخ)، و(محاولات في التصور المادي للتاريخ) في ثلاثة أجزاء، وصدر الجزء الرابع منه بعد وفاته، بعنوان (من عصر إلى آخر).

أعاد لابريولا النظر كلياً في نظريات ماركس التي طبقها على تفسير التاريخ في المقام الأول، وعمل على تطوير النظرية المادية في التاريخ. واهتم بالكشف عن الظروف التاريخية والاجتماعية، التي كانت وراء ظهور الماركسية، وكذلك بالأشياء الجديدة، التي جاء بها ماركس وانجلس، بالمقارنة مع علم التاريخ والاجتماع المعروفين قبلهما.

دافع عن الفكرة الماركسية، القائلة بأن التقدم الاجتماعي يتحدد، في نهاية المطاف، بتطور الإنتاج، ولكنه وفي مجال دحضه للمادية الاقتصادية، يلفت الانتباه إلى الطابع المعقد للحياة الاجتماعية وظواهرها، فمن المتعذر، كما يقول، استخلاص الظواهر الايديولوجية استخلاصاً مباشراً من الظروف الاقتصادية للحياة، يقول: ليس الأساس الاقتصادي، المحدد لكل ما عداه، مجرد آلة، تصدر عنها، على شكل نتائج مباشرة، أوتوماتيكياً وآلياً، المؤسسات والقوانين والعادات والأفكار والمشاعر ومختلف أشكال الايديولوجيا.

لافييت، بيير (1823-1903) Pierre Laffite

فيلسوف فرنسي، أستاذ جامعي، رئيس لجنة منفذي وصايا اوغست كومت، ترأس اللجنة الوضعية، وأسهم في تحرير مجلة (السياسة الوضعية)، وأسس (المجلة الغربية).

من مؤلفاته: (دروس في الكوسمولوجيا)، و(حول الأخلاق الوضعية). وفي فلسفة التاريخ له: (محاولات فلسفية حول التاريخ العام للانسانية).

لامبرخت، كارل (1856 - 1915) Karl Lamprecht

مؤرخ ألماني، له أفكار فلسفية خاصة في التاريخ. اعتمد منهجا جديداً في كتابة التاريخ، بالبحث في الاتجاهات الثقافية والاجتماعية والنفسية للشعوب والجماعات. من مؤلفاته: (منهج التاريخ الحضاري)، و(ما هو التاريخ).

لوبون = غوستاف لوبون

لوران، فرانسوا (1810-1887) Francois Laurent

فيلسوف ومؤرخ من لوكسنبورغ، أستاذ في جامعة غنت في بلجيكا، وهو من أبرز فلاسفة التاريخ وأكثرهم انتاجاً. وضع فلسفته التاريخية في الجزء الأخير من كتابه الكبير (دراسات في تاريخ البشرية)، الذي صدر في 18 جزءاً.

اعتقد لوران بالعناية الإلهية، معتبراً القدرة الإلهية هي التي تسيّر التاريخ، وهي علة نشأة الدول والحضارات ونموها. مع ذلك فقد انتقد جل فلاسفة التاريخ، ووسمهم بـ (القدرية) لانهم أسندوا حركة التاريخ إلى عامل أساس واحد، عاداً هذه الآراء ركوناً للقضاء والقدر.

فبحسب لوران: كان فيكو صاحب النظريات القديمة في القدرية. وفولتير وفردريك الأعظم، دعاة قدرية الصدفة. ومونتسكيو، صاحب النظرية القائلة بقدرية المناخ. وكان هردر مؤمناً بقدرية الطبيعة. ورينان، ذهب إلى قدرية الجنس- العرق. وهيجل، كان يؤمن بالقدرية الأحدية، بمعنى أن الله والكون شيء واحد. أما كونت فكان من دعاة القدرية الإيجابية. وباكل، من القائلين بقدرية القوانين العامة. أما فكرة فلسفة التاريخ عنده، فتقوم على أساس فكرة أن التاريخ يبرز عظمة الله، وأن الله هو الذي يدفع الإنسان قدماً نحو الحضارة. ودافع لوران عن فكرة وحدة أمم العالم المعاصر وتعاونها.

لوفيث، كارل (1897-1973) Karl Lowith

فيلسوف ألماني، أستاذ الفلسفة في عدة جامعات في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، ثم في هايدلبرغ بألمانيا. من أعماله: (من هيجل الى نيتشه).

وفي فلسفة التاريخ له: (معنى التاريخ)، أو (التاريخ والخلاص- الافتراضات اللاهوتية في فلسفة التاريخ). يرفض لوفيث التفسير اللاهوتي المسيحي للتاريخ بوصفه محلا لخلاص الإنسان، لأن التاريخ، بحسب رؤية لوفيث، ليس له معنى أخير ونهائي.

لوك = جون لوك

حرف الميم

المادية التاريخية Historical materialism

احتلت «المادية التاريخية»، (المادوية التاريخية) الموقع الأساس في «المادية الديالكتيكية»، (المادوية الديالكتيكية). فإنّ من أهم وظائف المادية التاريخية محاولة التوصل إلى معرفة قوانين التاريخ، من خلال اكتشاف كل ما هو عام ومتكرر خلف الخصائص الفردية لتاريخ الشعوب والبلدان المختلفة. وضعت هذه النظرية «المادية التاريخية» قوانين أساسية ثلاثة تفسر حركة التاريخ وتكشف عن اتجاهه، وهي:

1. قانون التداخل والصراع بين الأضداد: إذ إن نقطة الابتداء في الديالكتيك هي وجهة النظر القائمة على أن كل أشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية، لأن لها جميعاً جانباً سلبياً وجانباً إيجابياً، ماضياً وحاضراً، وفيها جميعاً عناصر تضمحل، أو تتطور، فنضال هذه المتضادات، هو المحتوى الداخلي لحركة التطور، والتغييرات الاجتماعية.

بمعنى آخر فإن التناقض هو القوة المحركة للتاريخ البشري، وأن حركة التطور من الأدنى إلى الأعلى لا تجري بتطور الحوادث تطوراً تدريجياً متناسقاً، بل بظهور التناقضات الملازمة للأشياء والحوادث، ونضال الاتجاهات المتضادة التي تعمل على أساس هذه التناقضات. وعمليات التضاد هذه متداخلة متفاعلة، ذلك أن طرفي التناقض يستمد كل منهما وجوده من الآخر، وصراع الجانبين هو المضمون الداخلي للحركة والتطور.

2. قانون نفي النفي: ومفاده أن سير التطور يتمثل في سلسلة من نفي النفي، فكل مرحلة تنفي سابقتها، ثم تظهر مرحلة ثالثة تنفيها، فالموضوع يتحول إلى نقيضه، فيكون النقيض نافياً للموضوع، ثم يتألف من هذه العملية «مركب» ينفيهما معاً، فالتاريخ عملية تحرك من الموضوع (الفرضية) إلى نقيضه، ثم إلى المركب من النقيضين.

3. قانون الطفرة: إن التغير الحاصل في الظواهر الطبيعية والإنسانية ليس ناتجاً عن تدرج في التغيرات الكمية، فالتغير من كيفية إلى كيفية أخرى لا يحصل إلاّ عن طريق الطفرة. أما صراع الأضداد فهو المحتوى الداخلي لتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية.

وجدت المادية التاريخية أن الطبقات الاجتماعية هي الميدان الذي يتم فيه تطبيق قوانينها هذه، فحركة التاريخ بحسبها ليست في الواقع سوى التعبير، بدرجة تزيد أو تقل، عن النضال بين الطبقات الاجتماعية، سواء أكان هذا النضال في مبادئ السياسة، أم الدين، أم الفلسفة، أم في أي ميدان أيديولوجي آخر. وأن وجود هذه الطبقات، وبالتالي الصدام والصراع الذي يحدث بينها، إنما تحدده درجة التطور الاقتصادي، وأسلوب الانتاج، وطريقة التبادل.

وفق هذه القوانين وضعت المادية التاريخية تصورها للتاريخ، فكان في البدء المقدمة الأولى للوجود البشري بكامله، في هذه المرحلة كانت القوة موزعة بين أفراد المجتمع البدائي، فكانت الملكية مشاعة بينهم، تلك هي المشاعية البدائية.

ومع ظهور الانتاج الفردي ظهر التناقض بين الملكية الجماعية والطابع الفردي لعملية الانتاج، فعندما تزايدت احتياجات الأفراد ظهر تنوع في العمل ليلبّي تلك الاحتياجات، فظهر الطابع الفردي للملكية، ومن ثم كان التناقض بينه وبين الحالة السابقة ذات الملكية المشاعة. وهذا التناقض يُحلّ عن طريق القضاء على الملكية الجماعية وظهور الملكية الخاصة لوسائل ومواد الانتاج. وبهذا تم القضاء على النظام البدائي، وحل محله النظام الاقطاعي كحتمية طبيعية.

وعندما قامت قوى الانتاج، وتغيرت تبعاً لها علاقات الانتاج، أصبحت علاقات الانتاج الجديدة هي النقيض للنظام الاقطاعي الذي لم يعد يلبي احتياجاتها، فصار إلغاؤه

ضرورة تاريخية، لتحل محلّه البرجوازية الرأسمالية، المتناسبة مع النمط الجديد من علاقات الانتاج، إذ بزيادة رأس المال التجاري ونمو المدن ظهرت طبقة إنتاجية جديدة، هم البرجوازيون، وانبثق نظام جديد في علاقات الانتاج، وحل نظام النقد المدني بديلاً عن المقايضة، وأصبحت الأنظمة الاقطاعية تشكل عقبة في سبيل تطور وسائل الانتاج. فكان لابدَّ من الصراع بين القوة الصاعدة، البرجوازيين، وبين الاقطاعيين، ونجح البرجوازيون بالوصول إلى السلطة عن طريق الثورات التي بلغت ذروتها في الثورة الفرنسية عام1788.

وفي الوضع الجديد أصبحت البرجوازية هي الحاكمة، وهي المتحكمة بالقوى والعلاقات الانتاجية وسنّ القوانين التي تُمكّن للرأسمالية وتبرر وجودها.

والرأسمالية بدورها ترغب في تزويد الأسواق العالمية بإنتاج على نطاق واسع، فأصبح للتكنلوجيا دورها الواسع، فكان لابدَّ من تطوير مستمر في أساليبها، الأمر الذي شكل ضغطاً على العلم من أجل تطوير نظرياته لتلائم المقتضيات الاقتصادية المتطورة، وانعكس ذلك على التشريع والفن والفلسفة وسائر مظاهر الفكر. وهكذا حين غيرت الرأسمالية وسائل الانتاج غيّرت شخصية المجتمع بأسرها.

لكن النظام الرأسمالي يحرم العامل جزءاً من قيمة عمله، ليشكل فائض القيمة رأس المال عند صاحب العمل، وبهذا يقوم الرأسماليون دون قصد منهم بخلق طبقة واسعة من البروليتاريا، ذات مصالح متناقضة مع مصلحتهم. وكلما تنامت الصناعة ومتطلباتها من تجارة وتسويق، بفضل نظام التنافس الحر، اتسعت طبقة البروليتاريا، وتنامت الفوارق المادية بين فقرها وبين ثراء أصحاب رؤوس الأموال، وبهذا يتصاعد التناقض الذي لا حلّ له إلاّ بإزاحة القلّة المالكة، على يد الأكثرية المنتجة، البروليتاريا. أما علاقات الانتاج البديلة، فهي تلك العلاقات التي أنشأتها الرأسمالية نفسها، ثم فقدت القدرة على تطويرها، فالتطور الصناعي قد أدخل نظام تشريك العمل، أي جعله مشتركاً، فحل العمل الجماعي

محل العمل الفردي، لكن الرأسمالية نفسها أصبحت عائقاً أمام تطوير هذه القوى التي ولّدتها هي ذاتها، ومن هنا فإن إلغاءها، وانبثاق مجتمع جديد تكون وسائل الانتاج فيه ملكاً مشتركاً يُصبح ضرورة تاريخية، وهذه هي مرحلة الاشتراكية، أو دكتاتورية البروليتاريا.

لكن البروليتاريا سوف لن تجد طبقة جديدة تعارضها، وبذلك يصل الصراع بين الطبقات إلى نهايته، فهي تمهّد للمرحلة الجديدة، التي تنتهي فيها أشكال الملكية الفردية، بسيطرة الدولة على كل وسائل الانتاج، ومن ثم تنتهي القوى المادية التي تحكمت في الإنسان كشيء غريب عنه، ويسود في المجتمع مبدأ «من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته»، وذلك هو المجتمع اللاطبقي، الذي يضع حداً لعملية الصراع، وتلك هي مرحلة «الشيوعية» النهائية، أو العليا. وهكذا يمر التاريخ البشري، في مسار تطوري، بخمس مراحل: (مشاعية بدائية، إقطاعية، برجوازية رأسمالية، اشتراكية، ثم الشيوعية) وفق مسيرة من التطور الحتمي، بفعل الصراع بين علاقات الانتاج القائمة في كل مرحلة وبين العلاقات التي تفرضها قوى الانتاج الجديدة ووسائلها المتطورة، في هذه المرحلة نفسها. ثم عن طريق تغيرات كمية، تتحول بدورها عن طريق الثورة والعنف إلى تغيرات كيفية.

فكرة التقدم في المادية التاريخية: فكرة التقدم يفسرها الجدل (الديالكتيك)، فخاصية التناقض بين المتضادات أنه يدفع المجتمع إلى أمام، فالتناقض ليس هداماً، بل هو تناقض يعمل على تطور النظم الاجتماعية، من أدناها «المشاعية البدائية» إلى أعلاها «الشيوعية النهائية». فكل نتيجة جديدة إذن هي أكثر تقدماً من الحالة السابقة، التي تولّدت عنها.

المادية الجدلية: راجع الديالكتيك

ماركس = كارل ماركس

ماركوزة، هربرت (1898-1979) Herbert Marcuse

فيلسوف ألماني، خدم في الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الأولى. شارك أيام شبابه في انتفاضة اسبارتاكوس في ألمانيا عامي 1918 و 1919. عمل مساعداً لهايدجر في بعض دراساته، التحق بمركز البحث الاجتماعي، الذي تحول لاحقاً إلى (مدرسة فرانكفورت النقدية) حتى سنة 1933، حيث أغلقت الحكومة النازية هذا المعهد، فسافر رجاله ومنهم هربرت إلى بلدان أوروبا، ثم إلى أمريكا. عمل في مكتب الخدمات الستراتيجية في أمريكا، اثناء الحرب العالمية الثانية، حتى خمسينيات القرن العشرين، وكان له فيه دور مهم في رسم السياسات الأمريكية تجاه أوروبا.

من أعماله: (الثقافة والمجتمع)، (العقل والثورة)، (فلسفات النفي) (دراسات في السلطة والأسرة) بالاشتراك مع أدورنو، (البعد الجمالي نحو نقد الجمالية الماركسية)، (إيروس والحضارة، فحص فلسفي عن مذهب فرويد)، و(الماركسية السوفياتية تحليل نقدي)، وغيرها. عرف بعدائه للتقنية الحديثة التي أدت الى اغتراب الإنسان في المجتمعات الصناعية تحت هيمنة التقنية.

مثّل كتابه (العقل والثورة - هيجل وصعود النظرية الاجتماعية) 1941، عمق صلته بالنظرية النقدية. كما مثّل كتابه (أنطولوجيا هيجل ونظريته التاريخية) 1931، و (الحب والحضارة)، و(إنسان البعد الواحد) أهم أعماله ذات الصلة بفلسفة التاريخ، إضافة الى سلسلة مقالات لربط المادية التاريخية بـ التاريخية.

في كتابه (إنسان البعد الواحد)، أو (الإنسان ذو البعد الواحد) يذهب إلى اختفاء الدور التاريخي للبرجوازية والبروليتاريا على حدٍ سواء، حيث هناك قوة واحدة متحكمة في مسار هاتين الطبقتين معا، هي العقلانية العلمية التقنية، وليست هناك طبقة معارضة،

فقد تم استيعاب الطبقة العاملة واسترضاؤها من خلال تحفيزات مادية استهلاكية، وترشيد عملية الإنتاج ذاتها. وأن قوى ثورية جديدة ستنشأ في المجتمعات الصناعية، أهمها الحركات الطلابية. وقد ظهر تأثير هذه الفكرة في الحركات الطلابية في أمريكا وفي فرنسا في النصف الثاني من ستينيات القرن العشرين.

ويذهب هربرت في كتابه (الحب والحضارة) إلى إن الاشباع الجنسي هو القوة التي سوف تحقق التحرر الاجتماعي، مستنداً إلى أن تجاوز الندرة المادية في المجتمعات الصناعية المتقدمة، سيخلق الشروط المناسبة لإحراز البشر هدفهم في السعادة من خلال التحرر الجنسي، وتفوق مبدأ المتعة، الذي تصوره كأساس للانعتاق الشامل المؤثر في العلاقات الاجتماعية كافة.

ماكس فيبر (1864-1920) Max Weber

فيلسوف، اقتصادي، قانوني، وعالم اجتماع ومؤرخ وسياسي ألماني، أستاذ جامعي في أكثر من جامعة في ألمانيا، اعتزل التدريس بسبب حالته الصحية لعدة سنوات، ثم عاد مرة أخرى. كتب في الخامسة عشرة من عمره: (تأملات في خصائص وتطور الشعوب في الأمم الهندية الجرمانية).

من مؤلفاته: (روشر وكنيس والمشاكل المنطقية للاقتصاد التاريخي)، (موضوعية المعرفة في علم الاجتماع وفي علم السياسة الاجتماعية)، (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، (علم الاجتماع الديني)، (دراسات في المنهج العلمي)، (دراسات في علم الاجتماع والسياسة والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي)، و(الاقتصاد والمجتمع) نشر بعد وفاته.

تدور فلسفة ماكس فيبر في التاريخ، على مبدأ الصراع، لكنه صراع مختلف عن الديالكتيك الهيجلي والديالكتيك الماركسي، حيث يرى أن وجود منازعات وتوترات

وتصادمات في الحياة والمجتمع، تدفع بالإنسان نحو صراع دائم بين المتقابلات، وتجعل من الحياة كفاحا متواصلاً يسعى إلى تحطيم العقبات التي تحول بين الإنسان وبين بلوغه غاياته، وهو صراع شاق ودائم لا مفر منه. وبما ان هذا الصراع حتمي، فلا يمكن حدوث أي انسجام نهائي. لذا يرفض ماكس فيبر المنهج الديالكتيكي الذي يدعي القدرة على التغلب على المتناقضات والمنازعات المرتبطة بحال الإنسان، بواسطة مصالحة نهائية في مستوى التصورات. ويرى أن الحل يكمن في النسبة التي تقضي بإيجاد تسويات وتوفيقات مفيدة تتناسب مع الظروف، وتمكن من العيش، وإن كانت هذه التسويات مؤقتة وهشة وخالية من كل قيمة موضوعية. ويرى أن هناك عنصرين يسهمان في تحقيق هذه التسوية، هما: الدين، والسياسة. فالدين يسعى إلى التوفيق بين نزاعات الحياة والوجود التي لا يمكن التغلب عليها.

ماندلبوم، موريس (1908-1987) Maurice Mandelbaum

فيلسوف وفينومينولوجي أمريكي، وأستاذ جامعي. شغل موقع رئيس الجمعية الفلسفية الأمريكية. له مؤلفات عديدة، منها: (مشكلة المعرفة التاريخية، أو مشكلة القوانين التي تغطي التاريخ)، و(التاريخ والإنسان والعقل دراسة في فكر القرن التاسع عشر)، و(تشريح المعرفة التاريخية)، و(الفلسفة والتاريخ والعلم).

وله عدة مقالات أخرى في فلسفة التاريخ والمعرفة التاريخية، منها (التحليل السببي للتاريخ)، و(نقد لفلسفات التاريخ) و(معنى التاريخ الإنساني)، و(بعض المشكلات الفلسفية المهملة في مضمار التاريخ)، و(ما هي فلسفة التاريخ)، و(الحتمية والمسؤولية الأخلاقية).

مانهايم، كارل (1893-1947) Karl Mannheim

عالم اجتماع، مجري الأصل استقر في بريطانيا، مؤسس علم اجتماع المعرفة، ومن مؤسسي علم الاجتماع الكلاسيكي. في كتابه (الأيديولوجيا واليوتوبيا) ذهب إلى أن التعارض بين الايديولوجيا وبين اليوتوبيا يأتي من حقيقة أن الايديولوجيا تميل إلى إضفاء الشرعية على الوضع الراهن، في حين أن اليوتوبيا هي أكثر ابتكاراً ونقداً وتهدف إلى التغيير والتغلب على ما هو قائم. ولاحظ أن جميع أنواع المعرفة، باستثناء الرياضيات والفيزياء، هي أيديولوجية، وأنها انعكاس للاهتمامات الطبقية والقيم. وأن ليس هناك ما يسمى «معرفة موضوعية»، أو «حقيقة مطلقة».

وقسم الأيديولوجيا إلى قسمين: أيديولوجيا الطبقة الحاكمة، وأيديولوجيا الجماعات الثورية اليوتيوبية المتحمسة وغير العملية. وبرهن على أن المعرفة تنشأ من صراع على السلطة بين فرق متنافسة وأفكار. وهو صاحب (نظرية الأجيال) أو (علم اجتماع الأجيال). وقد تم وصف هذه النظرية بأنها العلاج النظري المبتكر من أجل الأجيال كظاهرة اجتماعية. ووفقاً لهذه النظرية، فإن الأشخاص يتأثرون بشكل بارز بالبيئة الاجتماعية التاريخية، على وجه الخصوص الأحداث الملحوظة التي يشاركون فيها بنشاط، والتي تسيطر على شبابهم، مما يشكل، على أساس تلك التجربة، أجيالاً اجتماعية أصبحت بدورها عوامل للتغيير، وتعطي فرصة لبروز أحداث تشكل الأجيال المستقبلية.

وفي كتابه (الإنسان والمجتمع)، حلل المجتمع المعاصر فيما يتعلق بتقسيمه وقبوله للأفكار المتطرفة والحكومات الدكتاتورية، أو التي تقوم على إخضاع الفرد للدولة.

الماوردي (974-1058م)

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، من أكبر القضاة والفقهاء في تاريخ الإسلام، له مصنفات عديدة وموسوعة فقهية ضخمة. له مؤلفات في السياسة المدنية، منها: (نصيحة الملوك)، و(قوانين الوزارة وسياسة الملك)، و(تسهيل النظر وتعجيل الظفر) في السياسة وأنواع الحكومات، و(أدب الدنيا والدين). وفي قسم (أدب الدنيا) من الكتاب الأخير، يبسط رؤيته في شروط استقرار الدول والممالك، وعوامل انهيارها، ورؤيته الفلسفية في المحرك الأساس للتاريخ.

يرى الماوردي أن الاختلاف والتباين الطبيعي بين الناس، ثُم الحاجة والعجز الفطريان فيهم، هما العلة وراء حركة الحياة وتكوّن المجتمعات: «فإذا تساوى جميعهم لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلا، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا، فيذهبوا ضيعةً، ويهلكوا عجزاً. وأما إذا تباينوا واختلفوا، صاروا مؤتلفين بالمعرفة، متواصلين بالحاجة».

وأدرك أن للظواهر الاجتماعية الكبرى عللاً، يمكن الكشف عنها وتحديدها، وأن: من الواجب سبر أحوالها، والكشف عن جهة انتظامها واختلالها، لنعلم أسباب صلاحها وفسادها، ومواد عمرانها وخرابها. وتقوم رؤية الماوردي على أربعة محاور:

المحور الأول: العلة في سيرورة الحياة

جعل الماوردي «الحاجة» أو «الضعف» الفطريين في الإنسان، العلة الأساسية لشيئين يكوّنان معاً شَرطَي الحياة البشرية، وهما: «العمل» و«الائتلاف» لتكوين المجتمعات البشرية. وبهذين الشرطين تنتظم صورة الحياة وتتوفر أسباب تلبية الاحتياجات.

المحور الثاني: علة تطور حركة التاريخ

الماوردي أضاف الشطر الآخر المكمّل للاول، والذي يفسر عملية النمو والرقي والتطور في حياة المجتمعات البشرية، ذلك هو «الأمل الفسيح» الذي يحفز الإنسان للعمل في ما وراء حدود الحاجة المحدودة، والآنية، لإنتاج ما يمكن استثماره، ثم تطويره في أجيال لاحقة، وهكذا تنضج المجتمعات، وتتطور معالم الحضارة الإنسانية جيلاً بعد جيل.

وهذا هو سر استمرار المواصلة والتطور والنماء في الحياة العملية للأمم في أجيالها المتعاقبة، بل للأمم المتعاقبة أيضاً في سيرورة الحياة البشرية. إذن فـ «الحاجة» و«الأمل» هما علّة سيرورة الحياة وتطور حركة التاريخ.

المحور الثالث: أساس الدولة

تحدث الماوردي عن قواعد ست تشكل أساس الدولة والحضارة، لكن النظر فيها، بعد استثناء قاعدة «**الأمل الفسيح**» التي عرفنا دورها، ينتهي إلى إمكان جعل «**العدل**» هو أساس الدولة، فالعدل شكّل قاعدة لوحده، ثم القواعد الأربع الأخرى تنتهي إلى العدل أيضاً، فـ «**الدين**» في تطبيقاته هو مراعاة العدل مع النفس، ثم العدل مع الناس، والعدل في الحكم.

و«**السلطان**» لا يستقيم ولا يستمر إلا بالعدل. و«**الأمان**» يتفرع جلّه عن العدل. و«**الخصب**» مرجعه إلى العدل. وهكذا يكون العدل هو الأساس الأوّل للدولة. ويؤكد هذا المبدأ جعله «الجور» بمظاهره، علّة للفساد والخراب والانهيار، ليكون العدل هو علّة الصلاح والاستقامة والعمران.

المحور الرابع: القانون العام للدولة

بعد تفصيله في شرح القواعد الست، انتهى الماوردي إلى ما يصح تسميته بالقانون العام للدولة، أو القانون العام للحضارات أيضاً، ويتألف من فقرتين:

الأولى: إن صلاح الدولة وانتظام أمرها يتوقف على هذه القواعد الست، فإن كملت فيها كمل صلاحها، وبحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها وفسادها.

والثانية: إن الحضارة مهما بلغ شأنها فهي سائرة نحو التغيّر والزوال، لتقوم بعدها حضارة أخرى، فإنّه «بعيد أن يكون أمر الدنيا تاماً كاملاً، وأن يكون صلاحها عاماً شاملا، لأنها موضوعة على التغيّر والفناء، منشأة على التصرّم والانقضاء».

في هذه الفقرات نقف عند نظرية تتضمن تأكيد حرية الإنسان ودوره في صناعة التاريخ، كما تتضمن نظرية «التقدم» في حركة التاريخ أيضاً، فالحياة عطاء تواصله الاجيال، بدافع الامل، فهي في تقدم مطّرد، حتى تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى، لتواصل الثانية المسار التقدمي للتاريخ. لكن الحضارة أيضاً تمر بمراحل الضعف والتراجع والانهيار، وهذه هي طبيعة الأشياء.

المجتمع Society

مجموعة من الناس، يرتبطون معاً بالعادات، والتقاليد، والأحكام الأخلاقيّة، ويشكلون في الحي، أو القرية، أو المدينة التي يعيشون فيها، جزءاً من أجزاء الحياة الاجتماعيّة، ويوجد بينهم قواسم مشتركة. وهناك خصائص ثابتة تشترك فيها سائر المجتمعات البشرية، أهمها:

«التكيف» وهو قدرة الأفراد على تحمل كافة العوامل المؤثرة داخل المجتمع.

و«التعايش» وهو تقبّل الأفراد لبعضهم البعض داخل المجتمع الواحد.

وللمجتمع قوانينه الملزمة للأفراد بمنطق «الوعي الجماعي» أو الجمعي، المستقل عن وعي كلِّ فردٍ على حدة. يقرر معظم الفلاسفة بأنّ المجتمع البشري ناتج عن طبيعة أملتها الحتمية أو الضرورة على الإنسان، على اعتبار أنه كائن اجتماعي بحاجة إلى الآخرين من بني جنسه لتحقيق غاياته ومتطلّباته. ويعتقد روسو بأنّ الحرية هي ما تميز الإنسان أكثر من مقدرته على الفهم، وأنّ الظروف اضطرته إلى التعاون مع الآخرين من أبناء نوعه بشكل مؤقت. من هنا يرى روسو بأنّ هذه اللقاءات الاجتماعية ضرورة اقتضتها الطبيعة، وهي خالية من الردع والقوانين، لكنّ التطور الإنساني الذي حدث أدى إلى نشوء مجتمعات مدنية تحكمها القوانين والضوابط لإثبات الملكية. واهتمت النظرية الكلاسيكية بدراسة العلاقة بين الأفراد وبين والدولة المحيطة بهم، وتنظر إلى المجتمع على أنّه مجموعة بشرية، تعيش وفقاً لحياة مدنية، ويمتلك كل فرد فيها القدرة على التعبير عن نفسه بحريّة، ولا يوجد أي تمييز بين الأفراد، أو الطبقات الاجتماعيّة.

وربطت النظرية الليبراليّة وجود المجتمع بوجود دولة تحيط به، وأنّ الأفراد داخل المجتمع الواحد يهتمون بمصالحهم الشخصية، وأن علاقتهم معاً مبنيّة على العمل، من أجل تحقيق الحاجات المادية، لذلك يجب أن تتم متابعة المجتمع بشكل دائم من قبل السلطات القانونيّة؛ للمحافظة على تطبيق القانون فيه. وركزت النظرية الماركسية على وجود اختلاف بين طبقات المجتمع، قبل أن تجمعهم دولة واحدة، وقسمت المجتمع بالاعتماد على الأفكار السياسية والاقتصادية، بصفتها مؤثرة في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، فيهتم الأفراد بطبيعة العلاقات التي تربط بينهم، والتي تعتمد على وجود عوامل الإنتاج وتوفر العمل من أجل الوصول إلى الاكتفاء الذاتي.

المسعودي (896-957م)

أبو الحسن علي بن الحسين **المسعودي**، مؤرخ وجغرافي، بغدادي، رائد نظرية «الانحراف الوراثي»، والمعروف أيضاً بهيرودوتس العرب، وإمام المؤرخين.

قسم المسعودي الجماعات البشرية إلى أمم سبع عظيمة حيّة، هي الجديرة بالدراسة والنظر في تواريخها وطباعها. وتتميز كلّ أمة عن سواها: أولاً، بعنصرين أساسيين، هما: «لغة واحدة، وملك واحد». مع ملاحظة أن هناك تبايناً يسيراً في لغات الشعوب التي تؤلف الأمة الواحدة.

وثانياً، تتميز كل أمة بثلاثة أشياء: بشيمهم الطبيعية، وخلقهم الطبيعية، وألسنتهم.

وهذه الأمم هي: 1 الفرس. 2 الكلدانيون، وهم السريانيون. 3 اليونانيون والروم والصقالبة والافرنجة ومن اتصل بهم من الأمم في الجربي، وهو الشمال. 4 لوبيا، منها مصر، وما اتصل بذلك من اليمن، وهو الجنوب، وأرض المغرب إلى بحر اوقيانوس المحيط. 5 أجناس من الترك: الخرفلية، والغز، وكيماك، والطغزغز، والخزر وغيرهم.6 أجناس السند والهند وما اتصل بذلك. 7 الصين والسيلي وما اتصل بذلك.

ثم يذكر المسعودي أساساً آخر للتمييز بين الأمم، وهو «الديانة»،

وقد أراد بالأمم السبع، الأمم الأصلية (الأُمّ)، والتي ينتسب لكل منها أُممٌ أصغر، اندمجت معها في أهم أو معظم الأدوار التاريخية للأمم الأصلية، فالسريانيون، والكلدانيون، والاشوريون، أُمم ثلاثة، لكل منها تاريخها، لكنها تجتمع أخيراً، بعد الغَلَبة، في أُمة واحدة هي السريانية. واليونانيون، والروم، والصقالبة، والافرنجة والجلاقة، أُمم، لكل منها تاريخها المستقل، يجمعها فيما بعد وحدة الملك، أو وحدة اللغة والديانة. وكذلك الأمر مع الأمم

الافريقية. وفي المحصلة فإنّ مجموع الامم الكبيرة التي أفرد لها المسعودي بحوثاً مفردة، قد بلغ 18 أمة، بما فيها الأمم السبع العظمى. توقف المسعودي عند الأمم السابقة على ظهور الإسلام، دون أن يغفل أن الأمة الإسلامية تمتلك الخصوصيات التي اعتمدها في تمييز الأمم، لذلك عبر عنها بـ «أمة الإسلام».

وآمن المسعودي بأثر البيئة في العمران والطبائع، فالبيئة لها أثرها الأوّل في تقسيم الأرض إلى قسمين: عامر مسكون، وآخر غير مسكون، حيث تنعدم حياة الحيوان والنبات. وعلة ذلك هي: إما الافراط في ارتفاع الحرارة، أو الافراط في البرودة.

ويوزع المسعودي التأثير البيئي على الإنسان على درجات تتفاوت بحسب التدرج الحاصل في شدّة البيئة نفسها. وللبيئة عند المسعودي بعد ذلك أثرها في طبائع البشر وأبدانهم، وعلى أساسها تتمايز الطبائع وتتباين القدرات والاستعدادات. ولهذه الخصائص كلها درجات مرتبطة بسلم التأثير البيئي.

فأهل الربع الشمالي الصقالبة والافرنجة ومن جاورهم حيث يضعف سلطان الشمس، ويغلب البرد والرطوبة ويكثر الثلج والجليد؛ قلَّ مزاج الحرارة فيهم، فجفت طبائعهم، وتوعرت أخلاقهم، وتبلّدت أفهامهم، وثقلت ألسنتهم، وابيضت ألوانهم حتى أفرطت، وازرقت أعينهم، وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة. ويزداد هذا التأثير كلما أفرط البرد في الزيادة، فمن كان منهم أوغل في الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية، ويزداد ذلك في الابعد فالأبعد إلى الشمال.

وعلى العكس من هؤلاء سيكون حال أهل الربع الجنوبي، الزنج وسائر الاحباش الذين هم تحت خط الاستواء، فاسودت ألوانهم، واحمرت أعينهم، وتوحشت نفوسهم، وذلك لالتهاب هوائهم.

وهذه الطباع ستميل إلى الاعتدال كلما مالت الحرارة إلى الاعتدال، حتى يكون أقومها في الإقليم الرابع الذي هو الأوسط بين الأقاليم، وأوسطه العراق، ومركزه بابل، وهو أعدل الأقاليم وأفضلها، وسكانه هم «أهل العقول الصحيحة... والشمائل الموزونة ... مع اعتدال الاعضاء وسمرة الألوان... وهم أهل العلم والخير، وذلك لامتزاج صقعهم من حر الجنوب وبرد الشمال». وهذا الإقليم هو مصدر «الحكمة» والحضارة، فمنه شعت وتشعبت في أرجاء المعمورة، لذا كان الاوائل يشبّهون موقعه من العالم بموقع القلب من الجسد.

وهناك لون آخر من التأثير البيئي على الإنسان، فسكان البادية مختلفون كثيراً عن سكان المناطق الجبلية وعن سكان المدن. وذلك بفعل الهواء بالدرجة الاولى، «فالأبنية والتحويط في المدن حصرٌ عن التصرف في الأرض ومَقطعةٌ عن الجَوَلان، وتقييد للهمم، وحبس لما في الغرائز من المسابقة إلى الشرف»، لذا فإن سكان البوادي والأرض المفتوحة يتميزون بـ «تهذيب الاحلام، ونقاء القرائح، مع صحة الامزجة، وقوة الفطنة، وصفاء الألوان، وصيانة الأجسام». وتفسير ذلك: «أن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء، وطبع الهواء الفضاء، وفي هذا الامن من العاهات والأسقام»، فلهذا كان العرب من سكان البادية «أقوى الناس هِمماً، وأشدّهم أحلاماً، وأصحهم أجساماً، وأعزهم جاراً ...» وللسبب نفسه «تراكبت الاقذاء والأدواء والعاهات في أهل المدن».

أما سكان الجبال والأودية فإنّ أخلاقهم تناسب مساكنهم في انخفاضها وارتفاعها، لعدم استقامة الاعتدال في أرضها، لذا كانت أخلاقهم على ما هي عليه من الجفاء والغلظ.

وللمسعودي مباحث فلسفية في غاية الأهمية، ضاعت في كتبه المفقودة، لكنه عرّف بها في مقدمة كتابه (التنبيه والاشراف) والتي سنجدها فيما بعد عند ابن خلدون، الذي صرح بأنه سيحذو حذو المسعودي ويقتدي به. نقتفي منها هذه العناوين:

- ضروب أقسام السياسة المدنية، الملوكية منها والعامية، مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته.

- وجوه أقسام السياسة الديانية، وعدد أجزائها.

- ولأي علّة لابد للملك من دين، كما لابد للدين من ملك، ولا قوام لأحدهما إلاّ بصاحبه، ولم وجب ذلك، وما سببه.

- وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبيد الشرائع والملل.

- والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجة المعترضة لذلك.

- وتحصين الدين والملك، وكيف يعالَج كل واحد منهما بصاحبه إذا اعتلّ من نفسه أو من عارض يعرض له، وماهية ذلك العلاج، وكيفيته.

- وأمارات إقبال الدول. (أي علامات وعلل تطورها).

- وسياسة البلدان والاديان والجيوش على طبقاتها، ووجوه الحيل والمكائد في الحرب ظاهراً وباطناً، وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه».

مسكويه (932-1030م)

أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي، مؤرخ وفيلسوف، وأديب، أصله من الري جنوبي طهران، سكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء. له مؤلفات عديدة في الفلسفة والأخلاق والآداب، وهو صاحب كتاب (تجارب الأمم) في التاريخ، والذي قصره على أحداث الماضي التي يستفاد منها في الحاضر والمستقبل.

الحكمة والتاريخ يجتمعان عند مسكويه كأوضح ما يكون في عنوان كتابه هذا، كما اجتمعا في ذهنه حكيماً ومؤرخاً. فالتاريخ يعني الحكمة، ويصنع الإنسان الحكيم، والملك الحكيم، والسياسة الحكيمة. ففي التاريخ يكتشف المؤرخ الحكيم مصدر هذه الحكمة، ويكتشف فيه الأثر الواقعي لتطبيقات الأخلاق، بمراتبها المختلفة.

وهذه النظرة إلى التاريخ قائمة على أساس المفهوم الفلسفي لـ «العبرة»، ومفاده عند مسكويه: أن «أُمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، فصار جميع ما يحفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له وقد دُفع إليها واحتنك بها». إذ إن أهم تجارب التاريخ تتمثل في «ذكر مبادئ الدول ونشأة الممالك، وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافي من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال، وإغفال من أغفله واطّرحه إلى أن تأدّى إلى الاضمحلال والزوال، والسياسيات في عمارة البلدان».

عند مسكويه، تجتمع العناصر الطبيعية والضرورية في الإنسان لتكوين الاجتماع الإنساني، وانتظام الحياة الإنسانية في مدن يشترك فيها سكانها في توزيع الأعمال واستيفاء الحاجات وتكميل الفضائل. ثم إن التمدن الذي يوجبه الاجتماع الطبيعي والتعاون الضروري، سيفرض وجود نظام يحفظ هذا التعاون والاجتماع، ووجود سلطان يدير ذلك كله، وهكذا تنشأ الممالك.

ولما كانت الحاجة باعثاً نحو الاجتماع والتعاون، فقد يحدث أن يكتفي الناس في مجتمع ما بالحد الادنى مما يسد الحاجات الضرورية، ويقصرون أنشطتهم وتعاونهم على هذا الحد، ففي هذه الحال سيكون التعاون عند أضعف مدياته، والاجتماع عند أضعف صوره، وهذه هي حال أهل القرى الضعيفة القليلة العدد، أو سكان الخيم وبيوت الشعر وأظلال القصب، وهي الحال التي أسماها «خراب المدن». وفيها يبطل النظام الحسن والزيّن في العالم.

أما المجتمعات الأكمل فهي التي تسعى دائماً إلى «تحسين العيش» بتحصيل القدر الأوفر من الحاجات الطبيعية. وأكمل منها المجتمعات التي تسعى إلى «تزيين العيش» بتحصيل الكمالات الخلقية والفضائل. وإن اجتماع هذه العناصر: التعاون، وتحسين العيش، وتزيين العيش، هي «العمارة». وهي التي يزدهر فيها النظام، وتعظم الآثار، وتتكامل الفضائل.

وأساس نمو وازدهار العمارة هو ما أسماه مسكويه بـ «العدل المدني»، ويريد به العدل الشامل، عدل الملك مع المواطنين، وعدل المواطنين مع الملك، وعدل المواطنين فيما بينهم. وإذا ما وقع الاخلال بالعدل في أبعاده الثلاثة، وظهر «الجور المدني»، فعندئذ تنعكس الأمور، فتنتقل رياسة الملك إلى رياسة تغلّب، واستبداد. يتبع ذلك أن تنتقل محبة الرعية للملك إلى البغض له. ويعرض للرياسات من دونه من الأمراء والولاة مثل ذلك، فتعود الالفة نفاراً، والتودد نفاقاً، وتسود الأنانية، فيطلب كل أحد لنفسه ما يظنّه خيراً له وإن أضرّ بغيره. ويؤول الأمر إلى الهرج الذي هو ضد النظام الذي رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة وأوجبه بالحِكم البالغة.

ويدعم مسكويه فكرة أثر البيئة على طبائع الشعوب واستعداداتها العقلية، فأدنى مراتب الإنسانية تكون في أقاصي الأرض المعمورة وأطرافها البعيدة، ثم تكون لها مراتب في الكمال ترتفع كلما اقترب الموقع الجغرافي من وسط الإقليم.

مكيافلّي (1469-1527) Niccolo Machiavelli

نيقولا برناردو دي مكيافلّي، الفيلسوف السياسي الإيطالي، ولد وتوفي في فلورنسا، وسط إيطاليا، يعد المؤسس للتنظير في السياسة الواقعية، ولقب بـ (أب النظرية السياسية الحديثة). عمل دبلوماسياً في جمهورية فلورنسا الإيطالية آنذاك لمدة أربعة عشر عاماً،

وفي عام 1512 قام بتنظيم حركة مقاومة لمنع عودة عائلة ميديتشي إلى الحكم، باءت المحاولة بالفشل فسجن وعذب وطرد من الحياة السياسية، فتفرغ للكتابة.

كتب العديد من القصائد الشعرية والمسرحيات، وكتب في التاريخ كتاب (تاريخ فيرنتسة) وفق منهج جديد منحه دوراً ريادياً في كتابة التاريخ بطريقة جديدة باعتماد المنهج النقدي المقارن للكشف عن أنماط عامة تفسر أسباب الحوادث التاريخية. وفيرنتسة هي نفسها جمهورية فلورنسا الإيطالية. وله أيضاً كتاب (الخطابات)، وهو مجموعة رسائل في التاريخ والسياسية، وكتاب (فن الحكم)، وكتاب (فن الحرب). أما أشهر مؤلفاته فهو كتاب (الأمير)، وهو العمل الذي تضمن أهم أفكاره وأكثرها شهرة.

تقوم رؤية مكيافلّي للتاريخ على مبدأ (أصالة النزاع) في طبع الإنسان، يتمثل هذا النزاع بالصراع الأزلي بين عامة الشعب من جهة، وبين العظماء والأقوياء من جهة أخرى. وأن السبب الذي يكمن وراء هذا النزاع هو إرادة القوة، وشهوة السيطرة عند القلة من الأقوياء، يقابلها نشدان الأمن والاستقرار عند عامة الشعب.

وهذا النزاع قائم في الدولة الفاضلة كما هو قائم في الدولة الفاسدة، وإن على نحو آخر. ففي الدولة الفاضلة يأخذ النزاع مكانه داخل حدود معلومة، إذ يتمثل بالعمل الوطني للخير المشترك الذي يتجاوز المصالح الضيقة، وبالرغبة في احترام القانون وإطاعة السلطة. ومثاله في روما الجمهورية، حيث نظم النزاع من خلال مجلس الشيوخ والجمعيات الشعبية. أما في الدولة الفاسدة، فتتفرق الأهواء، وتنحلّ العواطف الدينية والأمانة المدنية وروح الواجب الوطني، وتزداد الأحزاب، وتكثر المؤامرات، ويستشري الترف والتراخي، ويزداد التفاوت في الثروات، ونموذجها البارز هو فيرنتسة/ فلورنسا.

ونتيجة الاستقصاء لأنماط الحكم عبر التاريخ، يصنف مكيافلّي النظم السياسية إلى

صنفين رئيسين، ولكل منهما أنماط: فالنظم السياسية إما أن تكون ملكية، أو جمهورية.

والنظم الملكية على ثلاثة أنماط: ملكية محدودة، وملكية استبدادية، وملكية طغيانية. والجمهورية على نمطين: جمهورية جماهيرية، وجمهورية متوازنة. والمتوازنة على نوعين: ارستقراطية، وديمقراطية.

ويضع مكيافلّي قوانين في تفسير الأحداث الكبرى؛ فالثورات الكبرى منشؤها الاستضعاف والاستعباد. فكان من الضروري أن يجد موسى شعب بني إسرائيل مضطهداً مستعبداً في مصر، لتكون لديهم الرغبة في اتباعه للنجاة من العبودية. وكان من الضروري أيضاً أن يعجز رومولوس عن البقاء في ألبا، وأن يتعرض للعراء عند ولادته، حتى يتمكن من أن يصبح ملكاً على روما، ومؤسساً لشعب فيها. وكان من الضروري أن يجد كورش الفرس ناقمين على إمبراطورية الماديين، وأن يرى هؤلاء ضعفاء صيرهم السلام الطويل مخنثين، ليقود الفرس ويهزم الماديين ويؤسس امبراطوريته الواسعة. ولم يكن باستطاعة تيزيوس أن يظهر كفاءته لو لم يجد الأثينيين متفرقين.

ومن هذا الاستقصاء وأمثاله يصل مكيافلّي إلى الكشف عن قانون آخر يقضي بأن انتصار القادة يخضع غالباً لأمرين، هما: حسن الطالع، والكفاءة الشخصية. فهكذا اتاحت هذه الفرص لهؤلاء الحظ، وتمكنوا بفضل مواهبهم العظيمة من الاستفادة منها لتمجيد بلادهم ومضاعفة طوالعها ومفاخرها.

أما جوهر فلسفته في السياسة المدنية، فهو ضرورة أن تحافظ الدولة على سلطانها، ولها من أجل ذلك أن تتبع كل الوسائل التي تحقق غايتها في اخضاع الشعب، وفق مبدئه الشهير «الغاية تبرر الوسيلة». مبرراً ذلك بما أسماه (قاعدة عامة للشعوب)، يقول: «هناك قاعدة عامة بالنسبة للشعوب، إنهم ينتقمون من ظالميهم إذا كانت الأضرار التي تلحقهم من الظلم تافهة، لكنهم يعجزون عن الانتقام لأنفسهم ممن يلحق بهم أكثر الظلم وأشد

الضرر، فخير وسيلة للحاكم هي أن يصب أكبر قدر من الظلم، يعجز معه الشعب عن الانتقام».

فهو يريد دائماً أن الغاية التي تنشدها الدولة، والمتمثلة بالدولة القوية، تبرر الوسائل التي تمهد الطريق لهذه الغاية، والحق عنده مؤسس على النجاح الذي تحققه الدولة في بسط نفوذها على الشعب، دون اعتبار للعدل وحقوق الإنسان.

ومع أن فكر مكيافلّي لم يكن يوماً مرجعاً فكرياً لأحد من الفلاسفة أو المفكرين، إلا أنه بقي المنظر الشهير للفكر السياسي السلطوي، سواء على مستوى الفكر السياسي، أو على مستوى الوعي الشعبي.

موليتور، فرانتز جوزيف (1779-1860) Franz Joseph Molitor

فيلسوف ألماني، درس الحقوق، ثم تحول إلى فلسفة التاريخ. من مؤلفاته: (فلسفة التاريخ) أو فلسفة المأثور، و(أفكار في سبيل دينامية مستقبلية للتاريخ).

مونتسكيو (1689- 1755)AlBaron Charles de Montesquies

المؤرخ والمفكر السياسي الفرنسي، الذي وصفه بعضهم بمؤسس فلسفة التاريخ، وعدّه آخرون واضع الحجر الأساس للطريقة العلمية في التاريخ.

تناول مونتسكيو التاريخ في كتابه (روح القوانين) أو (روح الشرائع) الصادر سنة 1748، كواحد من الموضوعات العديدة التي ضمّها الكتاب. وتركز بحثه في العلل والمعلولات في التاريخ، لا في مغزاه، لاسيما في كتابه الأسبق: (تأملات في أسباب عظمة الرومان وانحلالهم) الذي كتبه سنة 1734م. يقول مونتسكيو: «ليست الصدفة هي التي تحكم العالم... إن هناك أسباباً عامة، معنوية أو مادية، تؤثر في كل حكومة، تخلقها، أو

تحافظ عليها، أو تدمّرها. وكل الأحداث خاضعة لهذه الأسباب، وإذا تصادف أن دمّرت معركة واحدة، أي سبب فرد، دولة ما، فإن سبباً عاماً هو الذي خلق الموقف الذي جعل هذه الدولة تنهار بسبب هزيمتها في معركة واحدة». فهو أول من تحدث عن «العلية» في التاريخ بهذا القدر من العمق والاتساع، ليكتشف من خلالها العوامل التي تشكل طبيعة المجتمع وشكل الحكومة وقوانين الدولة، ليعطي العوامل الطبيعية من المناخ والموقع الجغرافي وطبيعة الأرض، الدور الأكبر في توجيه مسار التاريخ.

ففي مستهل الباب الرابع عشر من «روح الشرائع» والذي وضعه بعنوان «صلة القوانين بطبيعة الاقليم» يقدم فكرته العامة التي تقول إنه: «إذا كان من الصحيح أن سجية النفس وأهواء القلب تختلفان إلى الغاية في مختلف الأقاليم، فإن على القوانين أن تكون تابعة لاختلاف هذه الأهواء واختلاف هذه السجايا».

فالمناخ من خلال آثاره على الجسم الإنساني يشكل مزاج الإنسان وأخلاقه وعاداته وطباعه، من هنا يأتي الفارق بين طبائع الناس في المناطق الباردة، وطبائع سكان البلدان الحارة «فترى شعوب البلاد الحارة هيّابة كالشِّيب، وترى شعوب البلاد الباردة باسلة كالشبان». وقد تكون حرارة الإقليم من الشدة ما يكون الجسم معه بلا قوّة مطلقاً، وحينئذ ينتقل انحطاط القوة إلى الروح، فلا يكون حبّ اطلاع، ولا مشروع كريم، ولا شعور فيّاض، وهنالك تكون الميول سلبية تماماً، وهنالك يكون الكسل سعادة، وهنالك يكون معظم ألوان العذاب أسهل احتمالاً من عمل الروح، والعبودية أسهل احتمالاً من قوّة الروح التي هي ضرورية ليسيّر الإنسان نفسه بنفسه. ولا ينبغي أن يحار إذن من أن جبن شعوب الأقاليم الحارة جعلها عبيداً دائماً تقريباً، وأن شجاعة شعوب الأقاليم الباردة أبقتها أحراراً، فهذه نتيجة تنشأ عن علّتها الطبيعية، وعلى هذه الفوارق سوف تترتب الكثير من الأنظمة الاجتماعية المتفاوتة أيضاً، فهو يرى أن نظماً اجتماعية مثل نظام تعدّد الزوجات، وتحريم الخمر، وحجاب النساء، هي من طبائع المناطق الحارة، ويجعل

هذه الفوارق واحدة من الأسباب التي وجد الإسلام بها سهولة كبيرة في الاستقرار بآسيا، وصعوبة عظيمة في الانتشار بأوروبا.

ومن الطبيعي أن تؤدي جودة الأرضين في بلد إلى الخضوع، فأهل الأرياف بفعل كثرة اشتغالهم وانهماكهم في شؤونهم الخاصة، ليسوا كثيري الغيرة على حريتهم. وهكذا توجد حكومة الفرد في البلدان الخصيبة غالباً، وتوجد حكومة الجماعة في البلدان غير الخصيبة. والبلاد الخصيبة سهول لا يمكن فيها منازعة الأقوى، ولذا تخضع له، ويحافظ الجبليون على حكومة أكثر اعتدالاً لأنهم أقل عرضة للغزو من قبل أمم أخرى.

وإلى جانب العوامل الجغرافية هناك عوامل معنوية وأخرى اجتماعية تؤثر في تشكيل قوانين الدولة ونظم الحكم، لكن هذه العوامل نفسها من صنع الطبيعة الجغرافية أيضاً. فالدين كأهم العوامل المعنوية، هو الآخر متأثر بعوامل الطبيعة في الكثير من أحكامه.

ومع هذا التركيز على دور العوامل الجغرافية، فإنه يرى أن الإنسان قادر على توجيهها لصالحه، أما إذا ساد تأثيرها على العوامل المعنوية والاجتماعية فإن هذا يعني جمود المجتمع وضعف مقدرته على التطور.

وفي السياسة المدنية لا يبتعد مونتسكيو كثيراً عما وصفه أفلاطون وأرسطو، فهو يصنف الحكومات إلى ثلاثة أنماط: الجمهورية، والملكية، والمستبدة. والجمهورية: ديمقراطية، وإرستوقراطية. ولكل واحدة منها مبدأ مناسب لطبيعتها، فالمبدأ في الجمهورية الديمقراطية هو الفضيلة، حيث يشعر من يأمر بتنفيذ القوانين أنه خاضع لها بنفسه وأنه يحمل عبئها. وهذا المبدأ لابد منه في الجمهورية الارستوقراطية أيضاً، لكن لزومها والحاجة إليها هنا أقل مما هو عليه في الديمقراطية. أما الملكية فمبدأها الشرف (الكرامة) حيث تغيب الفضيلة. وأما المستبدة فالخوف هو الضروري فيها حيث تغيب الفضيلة والشرف.

ثم كان مونتسكيو أول من قنّن في أوروبا الحديثة نظام الفصل بين السلطات الثلاث، التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، وأكد أن الفصل القاطع بينها هو الشرط لوجود الحرية. لأن السلطة التشريعية إذا اتحدت مع السلطة التنفيذية، في سلطة واحدة، فإنها سوف تسن قوانين استبدادية، ثم تنفذها استبدادياً، وكذا إذا ارتبطت السلطة القضائية بالسلطة التشريعية فستكون الحرية اعتباطية، لأن القاضي سيكون مشرعاً أيضاً. وإذا اتحدت بالسلطة التنفيذية فيمكن أن تكون للقاضي سلطة البطش. فلا حرية حقيقية إلا بالفصل بين السلطات الثلاث.

مينكي، فردريش (1862-1954) Friedrich Meinecke

مؤرخ وفيلسوف ألماني، أستاذ جامعي، عضو أكاديمية هايدلبرغ للعلوم الإنسانية، عضو الأكاديمية البافارية للعلوم والعلوم الإنسانية، عضو الأكاديمية الأمريكانية للفنون والعلوم، وعضو الأكاديمية البروسية للعلوم. حائز على وسام الاستحقاق للفنون والعلوم، ودرع جوته التكريمي لمدينة فرانكفورت.

من أعماله: (فكرة منطق الدولة في التاريخ الحديث)، (الدولة والشخصية)، (الكارثة الألمانية تأملات وذكريات)، (الميكافيلية)، (العالمية والدولة الوطنية)، وكتاب (التاريخية).

عمل على الربط بين التاريخ السياسي وبين التاريخ الفكري، للوصول إلى مجموعة قيم سياسية/ ثقافية. في كتابه (العالمية والدولة الوطنية) يبين كيف مهدت فلسفة عصر التنوير الطريق أمام الوطنية لدى الرومانسيين.

وأهتم كتابه (الميكافيلية) بأفكار فن الحكم، وإدارة شؤون الدولة، في أوروبا الحديثة منذ مطلع عصر النهضة.

ويبحث كتابه (التاريخية) في تطور فلسفة التاريخ منذ فيكو حتى القرن العشرين.

حرف النون

نايجل، إرنست (1901 – 1985) Ernest Naigel

فيلسوف العلم الأمريكي الوضعي المنطقي، ولد في سلوفاكيا يوم كانت جزءاً من الإمبراطورية الهنغارية النمساوية. وأصبح بروفسوراً في جامعة كولومبيا، وعمل في مضمار فلسفة الرياضيات، وفلسفة الهندسة، ونظرية الاحتمالات، وميكانيكا الكم، وفلسفة العلم. وله في ذلك كله مؤلفات معروفة.

أما أهم أعماله في فلسفة التاريخ فهي: (الجبرية في التاريخ)، نشر في كتاب جماعي بعنوان (فلسفة التاريخ)، وكتابه (الغائية ومقالات أخرى في الفلسفة وتاريخ العلم)، و(سلطة العقل).

ابن نبي، مالك(1905 - 1973)م Ebn Naby

مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، مفكر جزائري، أكمل دراساته الهندسية في فرنسا، وضع في فلسفة الحضارة نظرية جديدة أمضى عمره في شرحها وتطويرها، فخصص لها سائر مؤلفاته، تحت عنوان جامع: (شروط النهضة).

رأى ابن نبي أن التاريخ بالدرجة الأولى هو من صُنعِ الإنسان نفسه، فلا هو «قدر محتوم» تخطه «المشيئة»، ولا هو «قدر أعمى» تخطه «الحتمية التاريخية». وفي الوقت نفسه وجد ابن نبي من أمثله التاريخ ما دعاه إلى تأكيد البعد الميتافيزيقي، أو الكوني، عندما وجد أن هناك بعض الأحداث التاريخية تتجاوز نطاق التفسير العقلي البسيط، بل يبدو أنها متصلة بنظام غير عقلي. وهو في مثل هذه الحوادث يسلك في البحث الاتجاه الذي يقرأ الحوادث بالنظر إلى غاياتها التي انتهت إليها، ليدرك أسرارها الخفية. ومنه

يستنتج أن للتاريخ مغزى، وللتاريخ مسار تصاعدي حلزوني، ولهذا المغزى قوانينه الخفية التي تحافظ على دوامه، وتحافظ على مسار التاريخ باتجاهه.

المجتمع عند ابن نبي طبيعة مركبة، فالمجتمع يحمل في داخله صفات ذاتية تضمن استمراره، وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ. و«هذا العنصر الثابت» في خصوصية المجتمع الإنساني هو «المضمون الجوهري للكيان الاجتماعي». وهو العنصر الذي يتجسد في «شبكة العلاقات الاجتماعية» التي تربط أفراد المجتمع في ما بينهم وتوجه ألوان نشاطاتهم المختلفة في اتجاه وظيفة عامة هي رسالة المجتمع الخاصة به.

وعلى ضوء هذا الفهم فهو يتناول «الحضارة» من وجهة نظر وظيفية، تمنح هذا الاصطلاح دلالته الحيوية. فالتحضر في أبسط معانيه: «هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية».

ومن وجهة النظر الوظيفية هذه تكون «الحضارة» هي: مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، جميع الضمانات اللازمة لتطوره. فالحضارة ليست هي من نتاج الأفكار والابداعات والانجازات العملية، بل هي نتاج مجموع الظروف التاريخية، التي يطلق عليها ابن نبي اسم «الشروط العامة للحضارة». فعندما تتوفر هذه الشروط العامة في مجتمع ما، تنبعث فيه حضارة، فتخلق في أفراده القدرة والإرادة.

الحضارة نتاج لمجموعة من «الشروط العامة» التي تؤلف «كُلاّ» متوحد الاجزاء، تمثله الحضارة، باعتباره علّة موضوعية تامة لها.

وعلى هذا النحو تأتي الثقافة بمفهومها الوظيفي، فمن الناحية الوظيفية فإنّ

الدور الأساسي للثقافة هو أنها تعلمنا العيش المشترك، والعمل المشترك، وخصوصاً الكفاح المشترك. وأول شروط الحضارة هو الثقافة في عوالمها وعناصرها، والتي تتمثل في أربعة عناصر، هي: عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، وعالم العناصر والظواهر الطبيعية.

وللبيئة أثرها البالغ في طبيعة الفرد وطبيعة المجتمع. ثم يأتي الإنسان نفسه شرطاً من شروط الحضارة، فالإنسان بما تنطوي عليه نفسه من بنية واستعدادات، هو الجهاز الاجتماعي الأول، وهو الأصل الذي يعود إليه جوهر كل فعل تاريخي أو مشكلة حضارية، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذ سكن، سكن المجتمع والتاريخ.

وكل منتج حضاري يتكون من عناصر ثلاثة: الإنسان، التراب، والوقت، يضاف إليها «المركب الحضاري» الذي بدوره يتحقق التفاعل المنتج بين العناصر الثلاثة. وعلى هذا وضع ابن نبي معادلة الحضارة على النحو الآتي:

(إنسان + تراب + وقت) + مركب الحضارة = حضارة

و«مركب الحضارة» هو دائماً عارض غير عادي، ينبعث في ظرف استثنائي، هذا الظرف الذي يتفق دائماً مع ميلاد مجتمع. لذا فإنّ معرفته تتم من خلال رصد الظروف التي تصاحب ميلاد المجتمعات في التاريخ.

وعن طريق تحليله التاريخي يصل ابن نبي إلى أن هذا المركب إنّما هو «الفكرة الدينية» التي رافقت دائماً ولادة الحضارات خلال التاريخ. ويعتمد التحليل الديالكتيكي النفسي في تفسير نهوض الحضارة، وضعفها، وانهيارها، أما كيف يتم هذا الديالكتيك؟ فإنّ الروح في دور سيطرتها تعمل على تنظيم الغرائز وكبح جماحها، غير أن هذه الغرائز تسعى للتحرر من سيطرة الروح تدريجياً، لتسمح لسلطة العقل بأن تحل محل سلطة الروح، لكن العقل ليس له مثل سلطة الروح على الغرائز، فتأخذ الغرائز طريقها إلى

التحرر حتى تتغلب على سلطان العقل وتحل محله. ومن الطبيعي فإنّ الغرائز لا تتحرر دفعة واحدة، وإنّما هي تنطلق بقدر ما تضعف سلطة الروح. ويستمر هذا التحول في نفسية الفرد، وفي البنية الاخلاقية للمجتمع الذي يكف عن تعديل سلوك أفراده، يستمر في التنامي مع استمرار الهبوط في سلطة الروح. وهذا يعني استمرار في نقصان الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية، وبالنتيجة الاستمرار في ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية وتفككها.

وعندما يبلغ تحرر الغرائز المستوى الكافي للتغلب على سيطرة العقل، يبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة، وفيه تكون السيطرة للغريزة، وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية بعد أن أصبحت عاجزة عن القيام بمهمتها في مجتمع منحل، وبذلك تتم دورة الحضارة.

نهاية التاريخ The End of History

(نهاية التاريخ) هي فلسفة تاريخية تفترض أن نظاماً سياسياً اجتماعياً واقتصادياً ما، قد يتطور ليصبح نقطة نهاية التطور الاجتماعي والثقافي للبشرية، وينبعث عنه الشكل الأخير للحكومة. ومن الفلاسفة المشهورين الذين تبنوا فكرة نهاية التاريخ: عمانوئيل كانط، وتوماس مور، وكوندورسيه، وهيجل، وماركس، وفلاديمير سولوفيوف، وأخيرا فرنسيس فوكوياما. وبها تقول فلسفة اللاهوت المسيحية في فكرة «الخلاص»، وفلسفة اللاهوت الاسلامية في فكرة «اليوم الموعود».

وتستند هذه الفكرة أساساً على مبدأ أن التاريخ يتحرك نحو غاية ما، وأنه لا يمكن لأحداث التاريخ أن تصبح ذات معنى إلاَّ إذا تعلقت بهدف أكبر، وتحقيق ذلك يتطلب وصول سيرورة التاريخ إلى نهاية. هذه النهاية هي ما يجعل من أحداث معينة مفهومة للإنسان.

وكانت اطروحة (كانط) بعنوان: (فكرة التاريخ الشامل من وجهة نظر كونية) بمثابة الأساس الفلسفي لهذه النظرية. ذهب كانط الى ضرورة وجود نقطة نهاية للتاريخ، بمعنى وجود غاية نهائية موجودة في إمكانيات الإنسان الحالية تجعل التاريخ البشري مفهوماً. تتحقق هذه النهاية بادراك الإنسان لحريته في مجتمع ترتبط فيه الحرية، تحت القوانين الخارجية، بأعلى درجات السلطة. بمعنى أن إنشاء دستور مدني عادل هو أحد أصعب التحديات التي تفرضها الطبيعة على جميع الجنس البشري.

وعند هيجل يتكرر المعنى نفسه، حيث وضع نهاية للجدلية التاريخية حين جعل الدولة في عصره قد بلغت كمالها وجسدت «الروح المطلق» بواسطة الجرمانية في الدولة البروسية. حيث أراد إثبات أن مسار البشرية نحو الحرية والمساواة هو مسار واحد، وأن تاريخ العالم ليس أكثر من ارتقاء ضمير الحرية. وتجسيد هذه الحرية وفقاً لهيجل، هو الدولة الدستورية الحديثة.

أما ماركس فجعل نهاية التاريخ في نهاية الديالكتيك المادي، ببلوغ البشرية مرحلة الشيوعية. وعلى جدلية هيجل استند فوكوياما، حين رأى أن محاولة تحقيق الغاية التي يتجه صوبها التاريخ، هي الوسيلة التي يمكن من خلالها فهم عملية التقدم في التاريخ. ويطرح التساؤل ما إذا كان التاريخ الشامل للبشرية يشير إلى تقدم إنساني باتجاه الحكم الجمهوري، أو ما يُفهم في العصر الحديث بالديمقراطية الليبرالية.

يقول فرانسيس بأن هيجل اختلف عن المؤرخين الذين أتوا بعده لأنه لم يعتقد أن عملية التاريخ تسير بلا نهاية، ويرى أن العملية التاريخية تصل إلى نهايتها بتأسيس المجتمعات الحرة، ويتحقق ذلك، بحسب فوكوياما، عند انتصار مبادئ الليبرالية في جميع أنحاء العالم، حيث لا يوجد تنظيم اجتماعي وسياسي بديل يتفوق على تلك المبادئ. بمعنى آخر، إن الليبرالية لا تعاني من ذات التناقضات الداخلية الموجودة في أشكال تنظيم سابقة،

وبالتالي تقود الجدلية التاريخية إلى نهايتها.

وفي النبوءات الدينية، مع اختلافها عن الرؤى الفلسفية، هناك ما يختص بنهاية التاريخ، او نهاية الحياة، على حال ما، ففي العقيدة الزرادشتية يستمر الصراع بين الخير وبين الشر لآلاف السنين، حتى ينتهي باندحار «أهريمن» إله الشر، وتفرد «أهرو مازدا» إله الخير، بألُوهية الكون.

وفي سفر الرؤيا في الإنجيل يأتي الحديث عن نهاية الحياة بعد مدة تعيشها البشرية في أعقاب المعركة الفاصلة بين الأمم، والتي سيكون موقعها في (تل مجدو).

وقريبة من هذا نبوءة الاسلام في المعركة الفاصلة التي ستكون انطلاقتها الأولى في مكة، عند ظهور المهدي الموعود، والنهاية الغامضة بعد أن يكون المهدي قد بسط العدل على وجه المعمورة.

حرف الهاء

هانتنغتون، صاموئيل (2008-) Samuel Phillips Huntington 1927

عالم وسياسي أمريكي، أستاذ في جامعة هارفارد، تصفه جامعته بأحد أكثر علماء السياسة تأثيراً في النصف الثاني من القرن العشرين. عمل مستشاراً ومخططاً أمنيا في عهد الرئيس جيمي كارتر.

له عدة مؤلفات في الفكر السياسي، منها: (الجندي والدولة: نظرية وسياسة العلاقات المدنية العسكرية)، و(النظام السياسي في مجتمعات متغيرة). لكنه عُرف على الصعيد العالمي عن طريق أطروحته الشهيرة (صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي).

النزاعات القادمة في العالم هي الموضوع الذي حاول هانتنغتون تفسيره، وإعطاؤه صيغته المستقبلية. ويخلص إلى أن النزاعات الأساسية في السياسة العالمية ستحدث بين أمم لها حضارات مختلفة، وليس بين الايديولجيات.

وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة في تطور النزاع في العالم الحديث، وأن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.

أما الحضارات الحية التي يحدث التفاعل فيما بينها في الوقت الحاضر فهي سبع أو ثماني حضارات، هي: الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية الأرثوذوكسية، والأمريكية اللاتينية، وربما الأفريقية.

وقد تمتزج الحضارات وتتداخل، وقد تتضمن حضارات فرعية، فللحضارة الغربية صورتان: الأوروبية والأمريكية الشمالية، وللحضارة الإسلامية أقسام فرعية: العربية، والتركية، والماليزية..

وأهم النزاعات في المستقبل ستحدث على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل هذه الحضارات الواحدة عن الأخرى.

فالصدوع الثقافية، وليس الأيديولوجية أو القومية، يجب أن تُقبل نظرياً باعتبارها بؤرة الحروب القادمة. ذلك لأن الاختلافات أو الخصائص الثقافية لا يمكن تغييرها كالانتماءات الأيديولوجية، وأن العوامل الثقافية تساعد في بناء تكتلات اقتصادية متماسكة، وهو ما سيؤدي لنمو الهويات الإثنية والثقافية للحضارات وتغلبها على الاختلافات الأيديولوجية. وأن «الضمير الحضاري» أمر واقعي وحقيقي ويتزايد منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.

ويحدد أن الصراع القادم سيكون بين «الغرب والآخرين»، وأن المستقبل القريب يشير إلى صراع بين الغرب والدول ذات الأغلبية المسلمة.

حدد هانتغتون ثلاثة سيناريوهات للصراع بين الغرب وبين من سماهم بالـ«آخرين»:

1. أن تحاول تلك الدول عزل نفسها وحماية مجتمعاتها من «الفساد الغربي» وربما الانعزال عن ساحة السياسة الدولية، ولكن ثمن ذلك باهظ ودول قليلة لديها المقدرة على الشروع في خطة كهذه.

2. أن تعمل تلك الدولة على محالفة الغرب وتغريب مجتمعاتها. فإنّ نُخباً مثقفة في دول غير غربية ستعمل على تقارب بلدانها مع الغرب، ولكنها ستواجه بعراقيل كثيرة، مثل تركيا.

3. والسيناريو الثالث هو أن تتحالف تلك الدول أو الحضارات مع حضارات غير غربية أخرى وتسعى لتشكيل قوة اقتصادية أو عسكرية معها بغرض تحقيق التوازن أمام الدول الغربية.

ويعتقد هانتغتون بأن النضال والسعي العسكري والاقتصادي للقوة هو ما سيحدد شكل الصراع بين الغرب وبين الحضارات الأخرى، مهما حاول الغرب أن يقول إن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية والعلمانية والدستور، هي قيم عالمية تستفيد منها البشرية جمعاء.

هردر، يوهان جوتفرد (1744- 1803) Johann Gottfried Herder

المؤرخ والفيلسوف والشاعر الألماني، بارع في علم اللغة، انتصر للغة الألمانية، كما انتصر للشعر. ودرس الطب وعلوم الدين والفلسفة، خضع لتأثير كل من كانط وهامان. وعمل مدرساً وواعظاً. وفي عام 1769 قام برحلة بحرية إلى نانت، أدت هذه الرحلة إلى تحوله من الإيمان بحركة التنوير، إلى اقتناعه التام بحركة (العاصفة والاندفاع)، أو (العاصفة والإجهاد). وهي حركة أدبية ألمانية رومانتيكية، ازدهرت أواخر القرن الثامن عشر، كرد فعل لعقلانية حركة التنوير.

لعل أهم مؤلفاته في فلسفة التاريخ: كتاب (أفكار حول فلسفة تاريخ الجنس البشري) الذي عدّه البعض أول جهد هام في فلسفة التاريخ. وتُرجم أيضاً بعنوان (موجز فلسفة تاريخ الإنسان). وكتاب (فلسفة أخرى للتاريخ).

وفي كتابه (فلسفة أخرى للتاريخ) يصرح باختلافه مع فلسفة التنوير، فيقول: إن الفهم السليم للتاريخ يقتضي التحرر من سوء تصور عصر التنوير للتاريخ، إنه عصر يفترض وحدة طبيعة البشرية في كل زمان ومكان، ويقيم قيماً مطلقة يفرضها على كل عصور التاريخ، مع أن التغير الدائم هو جوهر مسار التاريخ، فلا تتشابه لدى أمة واحدة لحظتان، فما بال أُمتين؟ والمؤرخ الذي يلاحظ التشابه ويتغافل عن التباين إنما يسيء فهم واقع التاريخ.

كان هردر من المؤمنين بفكرة التقدم في التاريخ، فالتاريخ عنده سير إلى الأمام في حركة تقدمية تكاملية. وله نظرة متفائلة إلى مستقبل تزول فيه الميول إلى التدمير، وتسود الميول إلى الصيانة والبناء.

وفي الوقت الذي كان يرى أن التاريخ البشري بكامله تاريخ طبيعي، فقد آمن بأن الأرض ليست إلاَّ المكان الذي نبلو فيه طاقاتنا ونمارسها، وأن الله هو المهندس وهو علة الطبيعة الأخيرة، أي أنه رأى أن قوانين التقدّم مبنية على العمل المشترك للطبيعة والعناية الإلهية.

واعتقد هردر أن مسيرة التاريخ هي نتاج للعمل المتداخل بين الظروف الخارجية المحيطة، وبين ما يعرف بالجوهر، أو الروح، وهي الحصيلة الديناميكية للدوافع الشخصية.

كذلك اعتقد هردر بالتعاقب الدوري، فكل حضارة تنمو ثم تزدهر، وبعد ذلك تخفت وتنحدر طبقاً لقوانين النمو الطبيعية. وأجمل روبرت فلنت آراء هردر على النحو الآتي:

1. إن آخر مراحل الطبيعة البشرية هي المرحلة التي تعرف بالمرحلة الإنسانية، ولتحقيق الوصول إليها وضع الله مصائر الشعوب في أيديهم.

2. لابد مع مرور الزمن من خضوع القوى المدمرة في الطبيعة للقوى التي تصون وتحفظ، بل لابدَّ في النهاية من تسخير هذه القوى المدمرة نفسها لكي تبلغ البشرية مرحلة الكمال.

3. قُدّر للجنس البشري أن يمر بدرجات مختلفة من الحضارة وبثورات عديدة، لكن رُقيّه الدائم ووفاءه يكمنان أساساً في الاعتماد على العقل والعدل.

4. لابدَّ على مر الزمن من أن يزداد التعقل والعدل رسوخاً بين الناس، وذلك طبقاً لطبيعة العقل البشري ذاته.

5. هناك قوى خيرة عادلة تحدد مصير الجنس البشري، ولذلك فإنه ليس شيئاً أجدر ولا سعادة أفضل من تمكين هذه القوى العاقلة من أن تتصرف وتخطط لمصير البشرية.

همبل، كارل غوستاف (1905-1997) Carl Gustav Hempel

فيلسوف علم ألماني، من الرموز الكبيرة في الوضعية المنطقية، معروف خصوصا بالتعبير عن النموذج الاستنتاجي الطبيعي من التفسير العلمي، الذي كان يعتبر «النموذج القياسي» في التفسير العلمي خلال الخمسينيات والستينيات، والمسمى بـ «القانون الحصري المستغرق القائم على المنهج الفرضي الاستنباطي». ويعد من أكثر النماذج شيوعاً وانتشاراً في مختلف العلوم سواء طبيعية أو اجتماعية. وترجع أهميته لتقاطع هدفي التفسير والتنبؤ في منهجه، فالتفسير المحكم يتم صياغته في شكل تنبؤ محدد المعالم.

أي أن تفسير حدث ما، تتم صياغته كنتيجة في حجة لها مقدمات وشروط، تحتوي هذه المقدمات على قانون علمي عام واحد على الأقل.

ولا تختلف التفسيرات عند همبل باختلاف العلوم سواء طبيعية أو اجتماعية إنسانية، فتفسير حركة الكواكب، وتفسير السلوك الإنساني، هو وصف دقيق لشروط وأسباب الحدث المراد تفسيره مع وجود قانون علمي يندرج تحته الحدث.

له في فلسفة التاريخ، كتابه المعنون (وظيفة القوانين العامة في التاريخ).

هنري توماس باكل = باكل

هوبز، توماس (1588 - 1679) Thomas Hobbes

الفيلسوف والمفكر السياسي الإنجليزي، واحد من أهم فلاسفة إنجلترا في عصر النهضة، وأكثرهم شهرة، وهو من أوائل المؤسسين لمفهوم العقد الاجتماعي. من مؤلفاته: (مبادئ القانون الطبيعي والسياسي)، (في المواطن)، (في الإنسان)، (تساؤلات حول الحرية والضرورة والحظ)، و(البهيموث) أي البرلمان الطويل. أما كتابه الأساس في فلسفة التاريخ، فهو: (اللوياثان) أي التنين.

تميز هوبز بنزعة مغالية في المادية، فكان يرى أن كل ما هو موجود هو مادة، وكل ما يتغير هو حركة، وأن المبدأ الأول والأساس والنهائي لكل شيء هو المادة والحركة، فإن كل نظرية عنده هي نظرية أجسام، وحتى الفلسفة، ما هي إلاّ نظرية حركة الأجسام، بما فيها المواطنون (الأفراد) بوصفهم أجسام المجتمع الفردية.

ولكي تدخل السياسة المدنية والأخلاق نطاق هذه الفلسفة، فهو يعرّف نوعاً ثانياً من الأجسام، بعد الأجسام الطبيعية، وهو الذي تضعه إرادات الناس واتفاقهم، ويسمى بالدولة، وهو موضوع الفلسفة المدنية، والأخلاق ضرورية لهذه الفلسفة لأنها تتناول استعدادات الناس ومسالكهم. أما كيف نشأت الدولة، وما هي طبيعتها؟ فهو موضوع هوبز في السياسة المدنية في كتابه الرئيسي: (اللوياثان)، أو (مادة وصورة وسلطة الجماعة الدينية والمدنية) أي الحكومة:

و(اللوياثان) هو اسم الحوت في سفر أيوب، جعله هوبز رمزاً للدولة.

أقام هوبز فلسفته على نظرة خاصة للإنسان، فالإنسان عنده ليس كائناً اجتماعياً بالطبع، كما ذهب أرسطو وغيره، بل هو كائن شرير، حافل بالنقائص، فاسد، خبيث، تدفعه المصلحة الذاتية، وتتحكم فيه الغرائز الأولية من أنانية وجشع، وهو لا يذعن إلا

إذا خاف، ولا يحب السلام للسلام، بل فزعاً من نتائج الحرب. إن «الإنسان للإنسان ذئب، والكل في حرب ضد الكل، والواحد في حرب ضد المجموع».

والناس بطبيعتهم أيضاً يخضعون لغريزة البقاء، وإحساسات اللذة والانزعاج، ونتيجة لهذا فإن الناس يبحثون، إطاعة منهم لغريزة بقائهم، عن الذي يسبب لهم لذة، ويهربون من الذي يسبب لهم انزعاجاً، فيتحركون بدافع مصالحهم نحو إيجاد «العقد الاجتماعي للأفراد» الذي يتمثل في مجتمع تسوده القوانين، فيزول الخوف والنزاع.

وهكذا تكون «غريزة البقاء» بوصفها نظرية الحركة المنظمة لعدد كبير من الأفراد المدفوعين بمصالحهم، هي العلة في نشأة الدولة والنظم الاجتماعية.

والمجتمع البدائي هو مجتمع ذئاب، والذئاب تتشارك حسب هوبز كي تضع نفسها في مأمن من شر بعضها البعض، تاركة ذئباً واحداً فقط مكلفاً بالدفاع عن المجتمع.

وهكذا تكون طبيعة العقد الاجتماعي عند هوبز، إذ يتخلى جميع الأفراد عن حقوقهم الخاصة، ويخضعون لإرادة واحدة، إرادة فرد، أو جمعية، تتولى فرض نفسها على الآخرين. وإذا ما عُيّن الحاكم، فعلى المواطن الخضوع والطاعة المطلقة له، ولا يجوز سياسياً ولا قانونياً وضع حدود قانونية على سيادة الحاكم، لأن الحاكم غير ملزَم بأي عقد، ولا حقوق قانونية للرعية إلاّ تلك التي منحهم إياها الحاكم، وهو لا يخضع للقانون المدني، بل إن إرادته هي التي تعطي القوانين سلطتها ونفوذها. «إنها السلطة، لا العقل، صانعة القانون». فلسنا إذن أمام اجتماع حرّ، بل أمام خضوع للذئب الأكبر الذي نال صفة: رئيس أوحد، عاهل، ملك، فهذا الذئب ليس مربوطاً بالعقد الاجتماعي، بل هو سلطان مطلق بلا حدود.

أما الدين، الذي لا محل له في فلسفة مادية بحتة، تنفض يدها تماماً من الدين، فإنه يأخذ عند هوبز دوراً آخر يحدده الحاكم، فالدين قادر على مساندة الحاكم المركزي

بإشاعته الخوف من قوى غير مرئية، حتى إذا كانت غير موجودة، فالدولة بحاجة إلى إرهابات الدينونة إذا كشفت المشنقة أنها غير كافية لأن تقمع في الإنسان طبيعته الذئبية، لكن هذه القوة (الدين) مشروطة بقبول الدولة، فإذا كانت الدولة تؤيدها فهي تكون ميدان الدين، أما إذا كانت الدولة لا تؤيدها فتسقط إلى مستوى التطيّر الباطل، فالدولة سوف تتصرف بها وفق حاجاتها.

وأنظمة الحكم عند هوبز على ثلاثة أشكال: المَلَكية، والارستقراطية، والجمهورية. أما الأشكال الظاهرية الأخرى فهي في نظره مجرد انعكاسات لمواقف، فإذا كره إنسان المَلَكية، مثلاً، سمّاها طغياناً. ثم يفضل هوبز النظام الملكي على سائر الأنظمة لأنه في نظره أفضل وسيلة لتحقيق السلام والأمان، إذ إنّ مصلحة المَلك هي مصلحة الرعية، ما هو خير للمَلك هو خير للشعب.

وأخيراً تبقى لهوبز وجهة نظر أخرى أفاد منها فلاسفة التاريخ في دعم الرؤية العلمية للتاريخ، على عكس ما أراده هوبز، فهو يرى أنه «ليس بإمكاننا معرفة موضوع ما، إلا بالقدر الذي فيه نحن أنتجناه بأنفسنا، وبما أننا أنتجنا كل الموضوعات الرياضية، فبوسعنا معرفتها حتى النهاية، ولذا فالرياضة هي على سبيل الامتياز أداة كل تقييم للعالم بوصفه طبيعة». فلاحظ فيكو أن هذا الاستنتاج لا يمكن تطبيقه على العالم بوصفه طبيعة، إذ إن البشر لم يصنعوا الطبيعة، بل التاريخ.

كما أفاد منها ماركس: أن معرفة التاريخ أسهل من معرفة الطبيعة، إذ إن تاريخ البشر يتميز عن تاريخ الطبيعة في كوننا صنعنا الأول، لكننا لم نصنع الثاني.

وهذا يعني أننا نستطيع معرفة التاريخ والتنبؤ بقوانينه أكثر من معرفتنا للطبيعة.

هوبسباوم، إريك (1917-2012) Eric John Ernest Hobsbawm

اريك جون ارنست هوبسباوم ، (إي. جيه. هوبسباوم)، مؤرخ ومفكر بريطاني، ولد بالاسكندرية، من أشهر مؤرخي بريطانيا، كان عضواً بجماعة المؤرخين في الحزب الشيوعي بين عامي 1946 و1956، أصبح فيما بعد من أنصار فصيل الشيوعية الأوروبية في الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى، أستاذ جامعي، أصبح رئيساً لكلية بيركبيك بجامعة لندن، حاز جائزة بالزان للتاريخ الأوروبي لسنة 2003. قيل انه يتحدث الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية وانه يقرأ الهولندية والبرتغالية والكتالونية.

كتب أكثر من 30 كتاباً، إلاَّ أنه اكتسب شهرته من مجموعته الثلاثية عن تاريخ القرنين التاسع عشر والعشرين في أوروبا، التي ترجمت إلى 40 لغة، وهي في ثلاثة أجزاء:

(عصر الثورة: أوروبا 1789 - 1848).

و(عصر رأس المال: 1848 - 1875).

و(عصر الإمبراطورية: 1875 - 1949).

وكان آخر كتبه تحت عنوان: (كيف تغير العالم)، صدر عام 2011.

يتبنى هوبسباوم المذهب الماركسي في تفسير التاريخ، دافع عن التنبؤ في التاريخ، إلاَّ أنه جادل بأن الطبقة العاملة تفقد لا محالة دورها المركزي في المجتمع.

وآمن بحرية الإنسان، ودوره في صناعة تاريخه، وبأن المجتمعات هي التي تصنع تاريخها، بمعنى أن تحولات المجتمع الإنساني تجري بواسطة عدد من الظواهر التي هي ظواهر إنسانية على وجه التحديد، وأنها تعمل من خلال عدد من المؤسسات والممارسات التي تشكل على أقل تقدير جزءاً من بناءات واعية، مثل الحكومات والسياسات. ونستطيع أن نبني ونتحرك حول «أثاث» الحياة الإنسانية هذا الذي نعيش فيه. أما إلى أي حد؟ فهذا واحد من أكبر الأسئلة التاريخية.

هوبهوس، ليونارد Leonard Trelawney Hobhous (1929-1864)

فيلسوف اجتماعي ومفكر سياسي إنجليزي، من أوائل أنصار الليبرالية الاجتماعية وأبرزهم، شارك مع إدوارد وسترمارك التميز في أن يكون أول أستاذ علم اجتماع يعين في المملكة المتحدة، في جامعة لندن، وهو مؤسس وأول محرر لدى صحيفة «ذا سوسيولوجست ريفيو». من أهم مؤلفاته: (الليبرالية)، (العقل في تطور)، (الأخلاق في تطور)، (التطور أو النمو الاجتماعي)، و(التطور والهدف).

اهتم بدراسة تطور العقل بوصفه العامل الرئيسي في التطور التاريخي. خالف هيجل في القول بعقل مطلق يبلغ وعيه الذاتي في عملية التاريخ، ورأى ان نظرية التطور يجب أن تقوم على وقائع تجريبية. وكان قد استنبط نظرية تجمع بين التجريبية وبين العقلية. وحلل طبيعة التطور الاجتماعي، والعوامل الفاعلة في التقدم، أو التخلف، أو الانحلال. ومبدؤه الأساس في تفسير النمو والتطور هو «الغائية المشروطة»، وخلص إلى:

- وجود غاية مشتركة بين التطور الأخلاقي، وبين التطور الاجتماعي.

- وأن كل مجتمع يتطور، إن لم يكن في استقلال تام، فباتفاق مع خصائصه الذاتية وينابيعه الباطنة للتغير.

- وأن التطور يتم بإطلاق عناصر كانت غير مكترثة، أو في تنازع بعضها مع بعض، وبإقامة أبنية متفاوتة الدرجات في المرونة والإحكام.

- وأن القوة التي تكمن وراء التطور هي العقل. والعقل هنا ليس هو الوجود الداخلي، إنما هو مبدأ النمو المنتظم داخل الوجود، وهو محدود بالمواد التي يعمل فيها، وأهدافه أيضا تمر بتطورات.

هوركهايمر، ماكس (1895-1973) Max Horkheimer

فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، من مؤسسي (معهد الأبحاث الاجتماعية) في فرانكفورت، «مدرسة فرانكفورت» ومديرها منذ 1930، ترك ألمانيا أثناء الحكم النازي، وقصد نيويورك، ونقل المعهد إلى جامعة كولومبيا، ثم إلى كالفورنيا. عاد إلى ألمانيا بعد نهاية الحرب العالمية سنة 1949، وترأس جامعة فرانكفورت سنة 1951. شارك ثيودور أدورنو في كتاب (ديالكتيك التنوير).

ومن أعماله: (النظرية النقدية)، (أفول العقل)، (نقد العقل الأداتي)، و(النظرية النقدية مقالات مختارة)، وهو مجموعة مقالات تبحث في جذور التطور المستقبلي. دعا إلى تحول جذري في النظرية الاجتماعية وتطبيقها، لإنقاذ الحضارة الحديثة من مرضها.

رفض المذهب التجريبي والفلسفة الوضعية، واعتقد أن التكنلوجيا تشكل تهديداً للثقافة والحضارة، لأن العلوم الفيزيائية التي تستند إليها تتجاهل قيم الإنسانية.

وفي كتابه: (بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية)، يقوم باستعراض وتحليل ونقد أربعة من مذاهب فلسفة التاريخ، مبتدءاً مع مكيافيلي، عاداً إياه أول فيلسوف للتاريخ في العصر الحديث، رائداً للمجتمع البرجوازي في مرحلة صعوده.

ويدافع عن فلسفة توماس هوبز أمام منتقديه، الذين وصف كتاباتهم بالكتابات الموجزة في التاريخ وفي الفلسفة، والذين رأوا أنه لا مكان لما ندعوه (حرية الإرادة) عند هوبز، ناظراً إلى أن هوبز قد ميز بين حرية الإرادة، وبين حرية الفعل. وأنه بهذا التمييز أسهم في تقدم مشكلة الحرية أساساً.

ثم تناول اليوتوبيا عند الفلاسفة الكاثوليك، والتي تصطدم، بحسب هوركهايمر، بصعوبة منطقية، ففي حين يؤكد أصحابها بأن الملكية المادية هي أساس التكوين النفساني

للبشر، يريدون بالعكس أن على هذه النفسية بالذات أن تلغي الملكية.

معرضاً في الأثناء على مقولة هيجل في (العقل الكلي المطلق)، والتي تتمثل وظيفتها في تغيير طابع المجتمع الموجود، وتمرير مقولاتها على أنها أبدية.

ليختم مع باتيستا فيكو والميثولوجيا، عاداً إياه أول فيلسوف حقيقي للتاريخ، يحدد هدفه الأساس في البرهنة على أن العناية الإلهية تسود التاريخ البشري، وأنها تتحقق من خلال أعمال البشر، دون أن يعوا ذلك، ودون أن يكون من الضروري وعيها. وأن عظمة فيكو كما يراها هوركهايمر، لا تكمن في هذه الصياغة نفسها، بل في البحوث التجريبية التي قام بها لهذا الغرض.

هوزنجا، يوهان (1872-1942) Johan Huzinga

مؤرخ للحضارة، وفيلسوف في التاريخ ومفكر هولندي رائد في عصره، أستاذ التاريخ في عدة جامعات في هولندا، ثم في جامعة لندن، ثم جامعة ليدن، وأصبح رئيساً لها.

أحد مؤسسي التاريخ الثقافي الحديث، اهتم بالتاريخ الثقافي الشرقي، والتاريخ الثقافي الغربي، وكتب في الدراما الكلاسيكية الهندية. له مؤلفات عديدة، منها: (خريف العصر الوسيط)، (مهمة تاريخ الحضارة)، (الوطنية والقومية)، (أمريكا وميكنة الحضارة)، (انهيار الحضارة في العصر الراهن بوصفه ظاهرة روحية)، (في ظلال الغد)، (علم التاريخ)، و(الإنسان لاعباً).

في كتابه الأول: (خريف العصر الوسيط)، أو (اضمحلال العصر الوسيط)، اشتغل على الكشف عن فترة مجهولة من فترات التاريخ الأوروبي، وهي الفترات الواقعة بين مرحلة العصور الوسطى ومرحلة العصر الحديث، وعلى بيان ما حفلت به من مظاهر النهضة والتقدم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وعلى الخصوص في فرنسا وهولندا.

وتميز بالتعمق في قراءة عقلية الشعوب وبيان طرائق تفكيرها وأسلوبها في الحياة، فقدم بذلك رؤية فلسفية اجتماعية مميزة.

وفي كتابه الأخير: (الإنسان لاعباً) يؤسس لفلسفة مختلفة، عن طريق دراسة عنصر «اللعب» في الحضارات الغربية والشرقية والقديمة والحديثة والبدائية، درس فيها أنواع اللعب ابتداءً من ألعاب الأطفال، حتى ديالكتيك الفلسفة والمحاكم. ويربط بين اللعب وبين الحضارة الزمانية والمكانية التي يظهر فيها.

ويعرف اللعب بأنه كل أنواع النشاط الحر الذي يؤدى بوعي تام خارج الحياة العادية، باعتباره نشاطاً غير جاد وغير مرتبط بالاهتمامات المادية، وهو مقتصر على حدود الملاءمة، وينفذ وفق قواعد مضبوطة. ويبحث في أن اللعب هو أساس المؤسسات الاجتماعية، والقوى السياسية، والحرب والسلام، والصناعة والتجارة، وهو أيضا أساس الفن.

هوك = سدني هوك

هيجل، جورج ويلهلم فردريك (1770-1831) Georg Wilhelm Frederic Hegel

أهم الفلاسفة الألمان، ومن أهم فلاسفة العالم عبر التاريخ، وأهم مؤسسي الفلسفة المثالية الألمانية. وهو مؤسس المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة، ثم نقيضها، ثم التركيب الناتج عنهما. درس هيجل الإلهيات والتاريخ والرياضيات وفقه اللغة الألمانية.

من مؤلفاته: (فينومينولوجيا الروح)، (فينومينولوجيا العقل)، (موسوعة العلوم الفلسفية)، (مبادئ فلسفة القانون)، (علم المنطق) أو المنطق الكبير، (الإيمان والمعرفة)،

(موسوعة العلوم الفلسفية)، (فلسفة الحق)، (مبادئ فلسفة الحق)، وجمع بعض تلاميذه من محاضراته: (فلسفة الدين)، و(علم الجمال) بعد وفاته.

وضع هيجل فلسفته في التاريخ في كتابه (دروس في فلسفة التاريخ) وهي النموذج الأكمل لفلسفة التاريخ حتى القرن التاسع عشر، بل وبعده أيضاً. التاريخ الكلي هو ميدان البحث عند هيجل، شأنه شان كل فلاسفة التاريخ، لكنه انطلق من فلسفته الخاصة التي ترى «أن العقل يسيطر على العالم»، فإن تاريخ العالم بالتالي يتمثل أمامنا بوصفه مساراً عقلياً. لذا فإن التاريخ الكلي ينتمي إلى مملكة الروح، ففي التاريخ الكلي تكشف الروح عن نفسها في حقيقتها الأكثر عينية. أما الطبيعة، العالم الفيزيائي، فعلى الرغم من أنها تلعب دوراً في التاريخ، إلاّ أنها تابعة للعالم الروحي. ولما كان جوهر، أو ماهية الروح هي الحرية، لذا فإن تاريخ العالم ليس إلاّ تقدم الوعي بالحرية.

وبعبارة أُخرى، يقول هيجل: إننا نذهب إلى أن مصير العالم الروحي، وتبعاً لذلك العلة الغائية للعالم كله، هو وعي الروح بحريتها الخاصة، وهو بالتالي حقيقة تلك الحرية.

هذه الغاية النهائية هي الغرض الذي وضعه الله للعالم، لكن الله هو الوجود الكامل على نحو مطلق، ومن ثم فلا يمكن أن يريد شيئاً غير ذاته، أي إرادته الخاصة، وطبيعة إرادته هي ما نسميه هنا بفكرة الحرية.

أما الوسائل التي تستخدمها فكرة الحرية غير المنظورة، فهي على العكس وسائل خارجية وظاهرية منظورة تتمثل في التاريخ من خلال أفعال الناس، وأفعال الناس هذه إنما تصدر عن حاجاتهم وانفعالاتهم وطبائعهم ومصالحهم ومواهبهم الخاصة، فهذه العناصر هي المنابع الوحيدة للسلوك، والعوامل الفعالة في ميدان النشاط، وهي تشمل أيضاً الحاجات التي ترتبط بالآراء والاقتناعات الفردية.

هذه المجموعة الهائلة من الارادات والمصالح والأنشطة تشكل الأدوات والوسائل التي يستخدمها روح العالم لبلوغ هدفه، وهي تنقل روح العالم وتجعله يتحقق بالفعل، في وجود عيني.

أما الصورة التي يتحقق بها روح العالم بالفعل في الواقع، فهي «الدولة»، والتي يسميها هيجل أيضاً «الكل الأخلاقي»، فالدولة هي «الحياة الأخلاقية وهي متواجدة بالفعل»، ذلك لأن الدولة هي وحدة الإرادة الكلية الجوهرية مع إرادة الفرد.

هذه الوحدة بين العام والجزئي، هي الفكرة ذاتها حين تتجلى بوصفها دولة، وهي التي تتطور بعد ذلك من داخل ذاتها.

ويرى هيجل أن تاريخ العالم في تقدم، وأن هذا التقدم ضروري، أي أنه حتمي، ذلك أن أوجه النشاط الحية التي يبديها الأفراد والشعوب، ويسعون بواسطتها إلى إشباع رغباتهم الخاصة، هي في نفس الوقت وسائل وأدوات لغاية أعلى وأوسع، لا يعلمون عنها شيئاً، ويحققونها بطريقة لا شعورية. فالهدف النهائي المجرد نظراً لأنه لم يكتمل بعد فإنه لا يكون قد أصبح هو الهدف المميز للرغبة والمصلحة الشخصية، ولما كانت هذه المشاعر ليست واعية بالغرض الذي تحققه، فإن المبدأ الكلي يكون ضمنياً فيها، ويحقق نفسه عن طريقها. وهذا هو معنى «أن العقل يحكم تاريخ العالم». فكل شيء بالقياس إلى هذا الوجود المستقل يخضع له ويتبعه، وهو وسيلة لتطوره. ويعتبر تحقيق هذا التقدم بدرجاته المتعددة، الدافع الذي لا حد لـه لروح العالم.

إن مبدأ التطور يتضمّن وجود بذرة كامنة، أي وجود بالقوة يكافح لكي يتحقق، والتقدم في الوجود الفعلي يبدو أنه سير من شيء ناقص إلى شيء أكثر كمالاً. ولكن هذا الناقص إنما هو شيء يتضمّن نقيضه الصريح، «الكامل»، بوصفه بذرة، أو دافعاً. ولكن هذا

التناقض ينحلّ ويتلاشى باستمرار. ومعنى هذا أن إنجاز الروح ما هو مقدّر لها أن تنجزه، إنما هو في الوقت نفسه انحلالها، وظهور روح أخرى، وشعب آخر من شعوب تاريخ العالم، وحقبة أخرى من التاريخ الكلي. إذن فالتاريخ بصفة عامة هو تطور الروح في الزمان.

فالتقدم واستمرار حركة التاريخ تحدث عن طريق الصراع (الديالكتيك/ الجدل)، فالحركة أو الفكرة تظهر إلى الوجود، ثم يظهر معها نقيضها، وعن طريق الصراع بين الفكرة ونقيضها، يتولد الشكل الجديد الذي هو بمثابة خطوة إلى الأمام. ثم يتخذ هذا الشكل الجديد صورة نظرية أخرى وفكرة أخرى، ويظهر لها نقيضها، ليعود الديالكتيك من جديد فينتج تركيبا آخر، هو نقلة اخرى إلى الأمام، وهكذا تستمر حركة التاريخ، في تقدم. وهكذا فإن مبادئ المراحل المتتالية للروح التي تبعث الحياة في الأمم خلال تدرج ضروري، ليست هي إلاّ خطوات فحسب في تطور روح كلي واحد، يرتفع من خلالها، ويكمل نفسه إلى مرحلة الشمول الكلي. ونظر هيجل إلى مدار الشمس رمزاً لمدار الروح ومسيرتها على طريق تقدم الحرية. فكما أن ضوء الشمس يتحرك من المشرق إلى المغرب، فإن ضوء شمس النفس البشرية يتحرك بالاتجاه نفسه. فكانت آسيا هي بداية تحرك هذه المعرفة، أو البداية المطلقة للتاريخ، وأوروبا هي الغرب الفاصل، أو نهاية التاريخ. ووفق هذا المسار مر التاريخ بثلاثة عصور عظيمة: عصر المشرق، العصر اليوناني – الروماني، والعصر الحديث او الجرماني. في العصر الأول كانت الروح في مرحلة الجهل وعدم الدراية بالحرية التي هي جوهر هذه الروح، ومن ثَم خضعت الروح لاستبداد ديني ودنيوي، فكان فرداً واحداً هو الذي ينعم بالحرية، بينما لم تكن حقوق الأفراد معروفة. ثم تنبهت الروح في العصر الثاني لبعض هذه الحقوق، لكن ليس لها جميعا، فتحرر بعض الأفراد دون سواهم. وأخيراً جاء العصر الثالث حيث تعرف الروح طبيعتها وتقدر ضرورة هذه الحرية وتعرف أن للجميع حقوقاً أصيلة في حرية الفكر.

هيمسوت، هانز Heinz Hemsoeth (1886-1975)

فيلسوف ومؤرخ فلسفة ألماني. أستاذ في عدة جامعات بألمانيا.

له مؤلفات عديدة في الفلسفة المثالية خاصة، منها: (المواضيع الستة الكبرى في الميتافيزيقيا الغربية ونهاية العصر الوسيط)، (الميتافيزيقيا في العصر الحديث)، (مكاسب المثالية الألمانية)، (منهج المعرفة عند ديكارت وليبنتز)، و(دراسات في تاريخ الفلسفة).

وفي فلسفة التاريخ له: (فلسفة التاريخ)، (فكرة نيتشة عن التاريخ)، و(القوة والروح في فلسفة التاريخ عند نيتشه).

حرف الواو

والتر باجهوت (1821-1877) Walter Bagehot

فيلسوف وصحفي وكاتب مقالات بريطاني، كتب بإسهاب عن الحكومة والاقتصاد والأدب والعرق. أصبح رئيسا لتحرير مجلة ذي إكونوميست، وفي السنوات السبع عشرة التي قضاها في منصب رئيس التحرير، عمل على نفوذها بين صناع القرارات السياسية.

ألف كتاب: (الدستور الإنجليزي)، و(الفيزياء والسياسة) أو (العلوم الطبيعية والسياسية).

درس في كتابه (الفيزياء والسياسة) كيفية محافظة الحضارات على نفسها، بحجة معارضة هذه الحضارات في مراحلها الأولى قيم الليبرالية الحديثة بشدة، ما دامت مدعومة بالتوافقية والنجاح العسكري، ولكن بمجرد تأمينها، يصبح من الممكن أن تنضج هذه النظم لتكون أكثر تنوعًا وحرية. استندت وجهة نظره على التمييز بين سمات «الرجل المُنجِز» و «الرجل الفظ»، والتي اعتبرها حصيلة الميراث التكراري الذي أصبح «التنظيم العصبي» للفرد بموجبه أكثر دقة على مر الأجيال. اعتبر هذا التمييز إنجازاً أخلاقياً تمكن أهل النخبة من خلاله تمييز أنفسهم أخلاقيا عن «الرجال الأفظاظ» بواسطة «التنقيب الوراثي». طبق مثل هذا المنطق على نحو مماثل لتطوير شكل من أشكال العنصرية الزائفة، حيث يفتقر أولئك الذين ينتمون إلى العرق المختلط إلى أي «عقيدة موروثة» أو «مشاعر تقليدية ثابتة»، والتي تكون الطبيعة البشرية مرهونة بها، في نظره.

حاول تقديم دعم تجريبي لوجهات نظره عن طريق الاستشهاد بجون لوبوك، وإدوارد تايلور، على الرغم من عدم قبول أي منهما مثل هذه الحجج بشأن الاختلاف الوراثي.

بالإجمال حاول والتر تطبيق المبادئ الداروينية على تطور الجنس البشري، فوصف ثلاث مراحل رئيسية لهذا التطور:

1. مرحلة تكون العادات، وهي مرحلة المجتمع البدائي.

2. مرحلة التصارع بين العادات، أو مرحلة تكون الأمم، وهي الفترة التي نجمت عن الحروب التي أدت الى اندماج الجماعات القبلية وتكوين الدول.

3. دور البحث والنقاش، حيث أمكن التخلص من المعتقدات والشعائر الجامدة، إخضاع كل المعارف للمنطق.

واعتقد أن المرحلة الثانية، أي العصر الذي تكونت فيه الدول والأمم، هو العصر الذي شهد قيام امبراطوريات الشرق القديمة. أما المرحلة الثالثة فتمثل عصر نهضة اليونان وروما. ولكن قد حصل نكوص وارتداد في العصور الوسطى، فعادت مسيرة التطور البشري إلى الوراء، إلى ما يشبه عصر تكون امبراطوريات الشرق القديمة.

والتر بنيامين (1892-1940) Walter Benjamin

فيلسوف، وناقد أدبي ألماني، تأثر بالماركسية، فهاجر إلى موسكو، ثم غادرها سنة 1933، معترضاً على أسلوب الحكم فيها، والتحق بمدرسة فرانكفورت النقدية، وقصد فلسطين وأمضى مدة مع كبار ممثلي التصوف اليهودي، عاد إلى فرنسا، ثم قرر الهروب بعد أن احتلها الألمان، فقصد أمريكا بمساعدة من هوركهايمر الذي نقل معهد فرانكفورت إلى نيويرك، لكنه انتحر عند الحدود الاسبانية الفرنسية، بعد استيلاء الألمان على فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية، حيث هدده حرس الحدود بتسليمه إلى الشرطة السرية الألمانية. جمع في رحلته الفكرية بين المثالية الألمانية، والماركسية، والرومانسية، والتصوف اليهودي. وحاول توظيف الفكر الماركسي في علم الجمال. وكتب الكثير في النظرية الجمالية والنقد

الأدبي والفني، وكانت أكثر كتاباته مقالات في الصحف، تفرغ لها لأنه لم يحصل على عمل أكاديمي. ومن أعماله: (مفهوم النقد الفني في الرومانسية الألمانية)، (نظرية الترجمة)، (العمل الفني في عصر إعادة إنتاجه تقنيا).

وكتب في فلسفة التاريخ: (أطروحات حول تصور التاريخ)، في ثمانية عشر مقالاً قصيراً، غلب عليها أسلوب الأقوال المأثورة، كقوله في إحداها: لا توجد وثيقة عن الحضارة ليست في نفس الوقت وثيقة عن البربرية. وفيها رأى حتمية انتصار المادية، وهزيمة اللاهوت، إذا ما اتقنت المادية توظيف هزائم اللاهوت لصالحها. وكتاب (الرأسمالية كدين)، انتقد فيه ماكس فيبر الذي رأى أن البروستانتية كانت حاسمة في تكوين الرأسمالية، فقال: لا، يتمثل الأمر في أن المذهب البروتستانتي شجع الرأسمالية، بل في أن الرأسمالية نفسها صارت دينا. الرأسمالية دين لم يسبق له مثيل، لا يقترح إصلاح الحياة، بل دمارها الكامل.

وليم هربرت دراي (1921-2009) William Herbert Dray

فيلسوف كندي في التاريخ، وبروفسور للفلسفة في جامعة أتوا (عاصمة كندا). وكان رئيساً لقسم الفلسفة في جامعة ترنت قبل أن يتحول إلى جامعة أتوا.

الحديث عن الفيلسوف دراي، هو الحديث عن مساهماته المتفردة في مضمار الفلسفة التحليلية للتاريخ والعلوم الاجتماعية. فهو واحد من النقاد العنيدين للنزعات الوضعية، فتراه دائماً يُجادل ويؤكد على أن موديل التفسير الذي تتداوله العلوم الطبيعية لا يصلح إطلاقاً في مضمار العلوم الإنسانية. وله مساهمات في دراسة علم التاريخ (الهستروغرافيا) وخصوصاً الحرب الأهلية في إنجلترا، والتي أثارت اهتمام فلاسفة التاريخ من أمثال كولينجود. من أهم مؤلفاته التي ترجمت إلى العديد من اللغات كتابه الذي يتحدث عنه الفيلسوف موريس ماندلبوم، والمعنون (القوانين والتفسير في التاريخ)، وكتابه (فلسفة التاريخ)، و (التحليل الفلسفي للتاريخ)، و (وجهات نظر حول التاريخ)، و

(حول التاريخ وفلاسفة التاريخ)، و(التاريخ إعادة بناء: كولينجود وكتابه فكرة التاريخ) .

وليم هنري ويلش (1913 – 1986) William H. Welch

فيلسوف بريطاني،صاحب كتاب (فلسفة التاريخ - المدخل). حاول ويلش في هذا الكتاب أن يعالج الأسئلة الكبرى التي تحرك فلسفة التاريخ، لاسيما طبيعة المعرفة التاريخية، وإمكانية اكتساب معرفة ميتافيزيقية عن التاريخ. تأثر ويلش، وهو الأكاديمي الذي درس في أوكسفورد، بالفيلسوف كولينجوود، وكان على وعي بتقاليد الفلسفة المثالية والأوروبية حيال التاريخ، وهذا يشمل ديكارت وديلتاي وكروتشه، إذ تعامل مع هذا التقليد بجدية بالغة.

يتقدم ويلش برؤيته عن المؤرخ وما يجده أمامه من أحداث وأفعال وتطورات عديدة داخل حقبة معينة، فيتساءل: كيف لها أن تتظافر معا؟ وجوابه بأنها نتاج العملية الإدراكية عندما يسعى المؤرخ لإضفاء معنى على الأحداث التاريخية المنفصلة عن بعضها، ويسمي ويلش ذلك بالتدامج، أي أن نحدد الحادثة التاريخية ضمن مجرى تاريخي أكبر حتى يُمكننا إدراكها.

وأن المهمة الأبرز للمؤرخ هي أن يعيد بناء المقاصد أو الدوافع للفاعلين في لحظات مختلفة من التاريخ، ويضاف إليها الظروف المؤدية لهذه الأسباب والدوافع، ويُراد بذلك أن أدوات التأويل للأسباب والمعاني ذات أهمية حاسمة للمؤرخ. يقترح ويلش أن المضمون الفلسفي للتاريخ يقع تلقائياً في نوعين من البحث، يسيران في مسار منفصل يوازي الانقسام بين الفلسفة الطبيعية وفلسفة العلم. يتعلق النوع الأول بالأسئلة الميتافيزيقية عن حقيقة التاريخ ككل، والنمط الثاني عن المسائل الأبستمولوجية حين تبرز لنا أثناء تكوين معرفتنا التاريخية.

يجد ويلش هذه المقاربات ذات جوانب تأملية ونقدية في فلسفة التاريخ، ويحاول صياغة رؤية تهتم بالأسئلة الرئيسية لكل من هاتين المقاربتين.

تسأل، الفلسفة التأملية للتاريخ، عن المعنى والغرض من مجريات التاريخ، فيما تؤدي فلسفة التاريخ النقدية نفس الدور الذي تضطلع به الفلسفة التحليلية؛ إنها تقوم في التاريخ مقام فلسفة العلم بالنسبة للطبيعة.

وود، فردريك آدمز Frederick Adams

مفكر وكاتب أمريكي، سار على خطى توماس كارليل (1795-1881)، مدافعاً عن «نظرية البطل في التاريخ» في كتابه: (تأثير الملوك خطوات - جديدة في علم التاريخ) عزز مذهبه هذا بدراسات تحليلية في الخصائص الوراثية للملوك وعظماء القادة أصحاب الأدوار التاريخية الفارقة، ليجعل للبطولة تفسيراً وراثياً.

فمن خلال دراسة تحليلية مقارنة شملت 386 ملكاً تعاقبوا على عروش أوروبا الغربية، من القرن الحادي عشر حتّى القرن التاسع عشر، خرج بنتيجة تقرر الترابط بين خصائص الملوك، من قوة وضعف، وبين أوضاع ممالكهم من حيث قوتها وضعفها، ليقرر بأن لهؤلاء الملوك نفوذاً حاسماً وقاطعاً في تقرير الوضع التاريخي.

ثم جعل سر ذلك هو أن الملك جوهرياً مخلوق بيولوجي أكثر مما هو مخلوق اجتماعي، فالملوك يؤلفون جنساً بشرياً هو نسيج لوحده. فهم يتوارثون السجايا العقلية أيضاً بنفس الطريقة التي يتم فيها توارث الصفات البدنية.

ويتكر = يوهان ويتكر

حرف الياء

اليوتوبيا Utupia

اصطلاح ذو أصل يوناني، يعني «لا مكان»، أو «ليس بمكان»، وهو المكان المتخيل الذي ليس له وجود في الواقع. ورد هذا التعبير لأول مرة في قصة خيالية فلسفية وسياسية كتبها الفيلسوف والمفكر البريطاني توماس مور، عام 1516، بعنوان (يوتوبيا، أو أفضل نظام اجتماعي) وتروي القصة التقاليد السياسية والأعراف الدينية والاجتماعية لجزيرة معزولة وغير معروفة، تسودها المساواة والحرية والعدالة والرفاهية، ويختفي فيها الشر والظلم والعدوان، وكل ما يعكر صفو الحياة.

من هنا صارت مفردة (اليوتوبيا) تطلق على كل فكرة أو نظرية، أو كتاب يتحدث عن مدينة أو دولة متخيلة، تنعم بنظام حياة مثالي، بدءا بـ (الجمهورية) لأفلاطون، ثم (مدينة الله) لأوغسطين (354 - 430م)، و (المدينة الفاضلة) للفارابي (874-950م)، و(مدينة الشمس) لكامبانللا 1623، وغيرها.

وفكرة اليوتوبيا، هي فلسفة في التاريخ، تمارس صناعة مجتمع مثالي، ونظام سياسي واقتصادي نموذجي، وفق قوانين ستكون ممكنة التطبيق في حال ارتقاء عقل الإنسان، كل إنسان، وسلوكه إلى مرتبة الكمال. مع أن مرتبة الكمال الإنساني هذه هي الأخرى تبدو متخيلة.

يوهان (يوحنا) جويرس Johann Joerres (1776-1848)

فيلسوف ألماني، تبنى أفكار الثورة الفرنسية، لكنه تخلى عنها بعد أن خاب ظنه إثر إقامته في باريس، عاد إلى ألمانيا وأصبح منسق أعمال مجموعة من الكتاب الرومانسيين الوطنيين، أصدر صحيفة (عطارد رينانا) ونشر فيها أفكاره الليبرالية الجريئة، ما أدى الى إغلاقها. دافع عن فكرة تأسيس حزب كاثوليكي ألماني. من مؤلفاته: (جوامع الفن)، (تاريخ الاساطير في العالم الآسيوي)، (التصوف المسيحي)، (الكتب الشعبية الألمانية)، (ألمانيا والثورة)، و(أوروبا والثورة).

آمن بأن الجنس البشري يمر بنفس المراحل التي يمر بها نمو الفرد، فوجد أربع مراحل يمر بها الجنس البشري في طريقه للنضج والتقدم، وهي:

1. مرحلة التجمع الطبيعي للبشر وفق ما تفرضه عليهم عوامل الطبيعة.
2. مرحلة انفصال الناس إلى أجناس وقبائل وأمم.
3. مرحلة بدء قيام دول يحكمها القانون. وهي المرحلة الأخلاقية السياسية.
4. المرحلة الدينية، وهي المرحلة التي صار فيها الإنسان قادراً على إدراك الوحي الإلهي ومشيئة الله.

يوهان ويتكر John Whittaker (القرن الثامن عشر)

مؤرخ إنجليزي، عمد الى كتابة تاريخ إنجلترا على نحو مفصل ومنهج جديد، فكتب تحت عنوان (تاريخ منشستر) الصادر بين 1771 و1775م، لكنه لم ينجز سوى الأجزاء الخاصة بعصر ما قبل الرومان، مبرزاً السحر الرومانسي لذلك العهد المبكر من تاريخ إنجلترا. واجتهد إلى حد كبير في تلمّس القدرة الإلهية في صنع التاريخ.

ملحق

فلسفتي ورؤيتي في سطور[1]

*** في الإنسان والحياة:**

- حب المساكين والفقراء والمعدمين، من أصدق علامات الضمير الحي والقرب من الله.

- مساحة الحرية في الحياة ضئيلة جداً قياساً بمساحة القهر والإكراه.

- لا تعرف طعم الحرية حتى تشعر بالاكتفاء، ولو كنت معدماً.

- من يعش دون حب بمعناه الواسع، يعش انفصاماً مريعاً في الشخصية.

- الغربة في الوطن خيرٌ من غربة المنافي، فاذا كانت كل فضاءات الوطن لا تشبهك، سيشبهك فيه الشجر والثمر، والحجر والمدر، والشمس والقمر، والنجوم والسحاب والمطر، فهذه كلها في المنافي جمادات لا روح فيها.

- قدر معتدل من الغموض في شخصيتك يحجبك عن الإسفاف، ويقيك حماقات وتطفل الآخرين، أما الغموض الزائد فهو طريقك إلى الاكتئاب.

- الإفادة من الأخطاء التي نرتكبها هو وحده دليل الحياة والشعور بالمسؤولية.. أما أولئك الذين يزعمون أنهم لا يرتكبون الخطأ، فهم ببساطة يفتقرون للحس الإنساني ولو بالقدر الأدنى، يفتقرون للشعور بالمسؤولية.

- إن أردت أن أعرف من أنا كإنسان، يكفيني أن أنظر إلى طبيعة ردود أفعالي تجاه

1. قد تكون بعض هذه المقولات مادة كتاب موسع قادم.

ما يستفزني.. فذاك هو (أنا) المختبئ بداخلي.

*** في المجتمع والسياسة:**

- الثروة والجاه والموقع السياسي الرفيع تفسد أخلاق أصحابها، ما دام في أنفسهم شيء من الحرص على دوامها.

- بين مخادع ومخدوع أولئك الذين يبحثون عن كرامة وهو يُفرطون بالمواطنة واستحقاقاتها.

- الأهداف الإنسانية النبيلة غالباً ما يسهل استغلالها لأغراض دنيئة.

- المبادئ والقيم في العمل السياسي، ضرورية (بالمعنى الفلسفي للضرورة) في مرحلة التكوين، مرحلة ما قبل السلطة، أما في مرحلة السلطة فالمبادئ مجرد رصيد تاريخي من أدبيات الماضي.

- هذه هي لغة الواقع التطبيقي، لذا تجد الأتباع الطيبين يُبرّؤون النظرية، ويلقون باللائمة على التطبيق، في كل العصور، ومع سائر النظريات.

- الاستبداد أسبق من الديمقراطية، وكل ديمقراطية هشة ستنتج فوضى، والفوضى أقصر الطرق لعودة الاستبداد.

- إن أردت أن أعرف حجم أمة من الأمم، يكفيني أن أنظر إلى طبيعة استجابتها للتحديات على اختلافها.. فتلك هي حقيقة الأمة، وذاك هو حجمها.. لا في عدد أفرادها، ولا في ما تدعيه لنفسها من تاريخ وأمجاد وثقافة.

*** في المنهج:**

- العقل مقدم على النقل.

- كل ما قاله البشر يجب ان يخضع للنقد المنهجي الموضوعي.

- الموضوعية في العلوم الاجتماعية عسيرة مفعمة بالخطورة، فحيادية البحث الاجتماعي رهنٌ بمدى التجرد عن التحيزات المسبقة أو مدى الحرية التي توفرها بيئته.

- أهمية الجهود الحقيقية لا تكمن في النتائج التي تتمخض عنها، إنما في القيم التي تتضمنها، والتي شكلت الباعث الأساس لانطلاقها.

- كل معرفة غير قادرة على أن تتحول إلى سؤال هي معرفة ميتة، ينبغي ألا ترتقي عن كونها جزءاً من التراث وتاريخ الفكر.

- ليس هناك معرفة نهائية غير قابلة للنقد وإعادة البحث والنظر.

- من أكبر الأخطاء المنهجية تجريد الأفكار والمقولات من تاريخيتها، وإعطائها صبغة الاطلاق، فلكل فكرة أو مقولة بيئتها التاريخية، ودواعي نشأتها، والتطورات الحاصلة على نطاق فهمها وتأويلها والتعاطي معها.

- الرؤية الموضوعية المنصفة لثقافات الشعوب ومعتقدات الفرق والطوائف تقتضي النظر إليها من خلال ظروف نشأتها التاريخية وطبيعة بيئتها المجتمعية.

- التعامل مع الأفكار المختلفة على أساس رؤيتك المسبقة ومواقفك المسبقة، لا يبتعد بك عن الصواب فقط، بل يجعلك أحادي النظر أسيراً لما كونته فيك بيئتك من معارف وتقاليد.

- البرهان التاريخي هو الحاكم على المقولات ذات الصبغة العقائدية، وليس العكس.

- في دراسة التاريخ الإسلامي، البرهان التاريخي مقدم دائماً على (علم الرجال) حين يكون الأخير مقبولاً.

- (علم الرجال) المعتمد لدى الطوائف، ليس علما، إنما هو معرفة افتراضة كاملة الانحياز، وفق قواعد طائفية بحتة.

* **في الدين والعقيدة:**

- الدين جزء من طبيعة الإنسان.

- الدين ليس حكراً على المؤمنين، الملاحدة لهم دياناتهم الأخرى.

- التدين جغرافي بالدرجة الأولى، البيئة فيه تسبق العقل دائماً، هذا إذا كان للعقل حضور في اختيار الديانة أو المذهب.

- ليس في الإسلام عقيدة غير ما نزل به محكم القرآن، المحكم دون المتشابه.

- ليس في الإسلام شعائر غير ما ثبت عن النبي بالتواتر.

- لست معنياً بتبرير مقولة قالها رجل ليدعم معتقده.

- أنزل الله الأديان من أجل الإنسان، فكل مقولة وكل إجراء يمس كرامة الإنسان، ليس من الدين، ولو أجمع عليه زعماء الطوائف والأديان كافة.

- حرية التفكير والمعتقد حرية أصيلة، ليست هبة من أحد.

- البعد الإنساني والاجتماعي في الدين مقدم على غيره.

- الفقه الذي لا يقوم كلياً على مقاصد الشريعة ليس فقها جديراً بالبقاء أو الاتباع.. هو فقه ميت لا يصلح إلاَّ لأُمم ميتة.

- ليس لأي طائفة من طوائف الإسلام مرجعاً عقائدياً واحداً يحظى بإجماعها.

- علماء الكلام الذين أسسوا للمقولات المذهبية، هم الأكثر جرأة على اجتناب الموضوعية وتجاهل تاريخية التحولات الثقافية والاجتماعية.

- لا يوجد في تاريخ الإسلام، بعد أئمة المذاهب، اجتهاد مطلق، فكل الاجتهادات الفقهية مقيدة تماماً بالمرجعية العقدية والفقهية للمجتهد، وهي مرجعيات تقليدية وليست اجتهادية. وإذا كان من هو أقرب إلى الاجتهاد المطلق فهم فقهاء (مدرسة الرأي) المتقدمون.

- كل المقولات العقدية التي تميزت بها المذاهب الإسلامية عن بعضها هي مقولات تاريخية، عُزلت بقصد عن تاريخيتها لتُعطى طابع الثبات والقداسة.

- أكثر الناس تعصباً لمذاهبهم هم أكثر الناس جهلاً بها وبتكوّنها التاريخي.

- حيث يعمّ الجهل، تتكاثر المقدسات.

- من أظهر أنواع النفاق الديني؛ تقديس الرموز الدينية، مقابل التسامح في التزام المبادئ والقيم التي جاءت بها الأديان.

- تقديس الموروث الديني عند المسلمين، يكمن وراء إخفاقهم في الاقتراب من علم الأديان المقارن.

- مازال الإسلاميون لا يتقنون التمييز بين الماضي والحاضر، بين الثابت والمتحول، رغم كثرة الكلام في هذا الشأن. مازالوا لا يتقنون إدراك حقيقة أن فقهاء الماضي قد عالجوا مشكلات عصورهم، لا عصرنا. وأجابوا على أسئلة أزمانهم، لا زماننا.

*** في التاريخ:**

- جوهر التاريخ يتمثل في ثلاثة: فكرة التاريخ، قوانين التاريخ، والعبرة من التاريخ.

- التاريخ علمٌ وفنٌ وأدب.

- التاريخ حاكم على العقائد، وليس العكس.

- إخضاع التاريخ للعقيدة؛ هو أكبر أبواب الكذب والتحريف في التاريخ، فلأجل تمرير معتقد وليد، أو لأجل نقض معتقد يدين به الخصوم، يتم تزوير التاريخ، أو تحريفه. وكل ما يناقض عقيدة متخيلة يتم نفيه وتكذيبه، في غفلة مطلقة عن حقيقة أن الآفة في العقيدة المتخيلة وليست في الحدث التاريخي.

- سهولة اتخاذ التاريخ صنعةً؛ من أكبر آفات التاريخ، وهي آفة تتجلى في كثرة من كتب ويكتب في مواضيع تاريخية دون معرفة كافية بالتاريخ كعلم، ولا بأدوات النقد التاريخي.

- التقليل من قيمة المدونات التاريخية بدعوى وفرة الآفات السابقة؛ ووسم التاريخ بأنه أكاذيب تعارف عليها البشر، عملية سهلة ورخيصة، لا علاقة لها بالعلم والمعرفة.

- إلغاء التاريخ بدعوى أنه عائق أمام المستقبل؛ فكرة مستعجلة، يكتفي أصحابها بإيراد أمريكا مثالاً، فتقدمها السريع، بحسب هذه الفكرة، أساسه أنها أمة بلا تاريخ. لكن هل تجيب هذه الفكرة عن سر تقدم اليابان وكوريا الجنوبية؟ هذا إذا افترضنا أن

بلدانا ذات تاريخ مديد مثل ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، بلدانا متخلفة، تسير القهقرى مثقلة بالتاريخ. كل هذا يثبت ان هذه الدعوى هي فكرة بلا جذور.

- تكمن مشكلتنا مع التاريخ في طبيعة فهم أغلبنا للتاريخ، أو لتاريخ الأمة التي ينتمي إليها، حين يريد أن يتخذ منه أنموذجاً فريداً يجب إعادة تجسيده في كل زمان ومكان، يجب امتثاله، فيما لا الزمان يتوقف، ولا المكان ثابت في سائر أحواله.

- كما لأنصار السلطان، في كل زمان ومكان، دواع فاعلة للتزوير والتحريف في التاريخ، فللمعارضة أيضاً دواع فاعلة مثلها للتزوير والتحريف، وقد تكون أكثر فاعلية من الأولى.

*** في فلسفة التاريخ**

- فلسفة التاريخ هي فلسفة الحياة، وفلسفة الكينونة، فهي التي تبحث في «قوانين الحياة»، ذلك لأنها تُعنى بأحوال المجتمعات في مرحلة خاصة من مراحلها، أو في مراحلها المتعاقبة.

- فلسفة التاريخ هي الفلسفة المعنية بحركة المجتمعات وتحولها من مرحلة إلى أخرى، وبالقواعد الحاكمة لهذه التحولات.

- فلسفة التاريخ تشد الفلسفة إلى الواقع، بدلاً من أن تحلّق بها في التجريد.

- في فلسفة التاريخ اتجاهان رئيسان؛ تأملي، وتحليلي. ولا توجد فلسفة تاريخ غير نقدية.

- إذا أخلدت الحياة إلى سبات طويل، لا يوقظها إلاّ حرب، داخلية أو خارجية.

- كلّما طال زمن السبات والركود في مجتمع ما، فإنّه سيتطلب المزيد من القرابين،

التي نسمّيها ثمن الحرية، وما هي في حقيقتها إلاّ ثمن الركون للقهر والاستبداد، ثمن الاستسلام للشيخوخة، ثمن التراجع الطويل عن حلبة التاريخ.

- قوانين التاريخ والمجتمع ليست كلّها بذاك القدر من الوضوح التام، بحيث يمكن السيطرة عليها والتحكّم بها دون فشل ما.

- صحيح أنّ التاريخ ليس مسيرة عابثة هوجاء، وصحيح أنّه ليس قدراً غيبياً مطلقاً، بعد التحقّق من كونه سيرورة محكومة لقوانين ناظمة، وبعد إمكان اكتشاف الكثير من هذه القوانين. لكنّ الصحيح أيضاً أنّ التاريخ ليس معادلة بسيطة التركيب، نتحكّم بها كيف نشاء، ونقرّر نتائجها بأيدينا كيف نشاء، في المكان والزمان الذي نشاء.

- هناك عوامل غير منظورة، لا يمكن التعاطي المباشر معها في أيّ عملية تغيير يجري التخطيط لها، ولا يمكن إدخالها في أيّ من سنن التاريخ التي نتعامل معها. وليست الكوارث الطبيعية الكبرى إلاّ مثالا من أمثلة هذه القضايا غير المنظورة.

- مقولة نهاية التاريخ، مقولة عديمة الجذور، غالباً ما تكون دوافعها سياسية، أو أيديولوجية، أكثر منها تحليلية أو تأملية.

- النزوع إلى الحرية حالة طبيعية، فطرية لدى الإنسان، قد تجد البيئة الصالحة لنموها، وقد تكبتها التقاليد الجاثمة على صدر الجيل الجديد، أو تكبتها النظم السياسية الاستبدادية، لكنها لا تموت، ستبحث دائماً عن الفرصة السانحة لتحقق ذاتها، على هيئة تمرد، او ثورة.

- ليس التاريخ دائماً نضال من أجل الحرية، بل هو في كثير من صفحاته نضال من أجل الهيمنة.

- الحرية المطلقة، التي تتبناها بعض النظم الليبرالية اليوم، هي أقصر الطرق نحو قلب موازين القيم، وضياع نظام الأسرة، وتسيّد التافهين.

- لدى الإنسان نزعة عدوانية، أو وحشية، قد تقومها الشرائع الدينية والنظم الأخلاقية التي يبتكرها النادرون من بني البشر، لكن لا يوقفها إلاَّ القانون الحازم.

- كل نظام حكم مؤسس على أيديولجيا، سيصبح قمعياً. ليس النظم الثيوقراطية وحدها، بل حتى العلمانية قد تتحول إلى أيديولوجية قمعية.

المصادر والمراجع

1. آلفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة.

2. آلفين توفلر، صدمة المستقبل.

3. إدوارد كار، ماهو التاريخ.

4. إرنست بلوخ، فلسفة عصر النهضة.

5. إلبان ج. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ.

6. أندريه كريسون، فولتير حياته، آثاره، فلسفته.

7. ج. دي. بيوس، مستقبل الحضارة.

8. جفري باراكلو، الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية.

9. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية.

10. جميل صليبا، المعجم الفلسفي.

11. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة.

12. جوزيف هورس، قيمة التاريخ.

13. جوناثان ري، و ج. أو. أمرسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة.

14. حسن حنفي، دراسات فلسفية في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة.

15. روني إيلي ألفا، وجورج نخل، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب.

16. ريمون آرون، فلسفة التاريخ النقدية.

17. سدني هوك، البطل في التاريخ.

18. صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة والمعاصرة.

19. عبد الرحمن بدوي، اشبنجلر.

20. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة.

21. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة.

22. علي عبد المعطي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة.

23. غوستاف لوبون، فلسفة التاريخ.

24. فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر.

25. فولتير، الرسائل الفلسفية.

26. فولتير، الموسوعة الفلسفية.

27. ماكس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية.

28. محمد فرحان جلوب، اتجاهات جديدة في فلسفة التاريخ.

29. مراد وهبة، المعجم الفلسفي.

30. معجم الفلاسفة الأمريكان، مجموعة باحثين، إشراف وتحرير د. علي عبود المحمداوي.

31. مكيافلّي، الأمير.

32. مكيافلّي، فن الحرب.

33. موسوعة ستانفورد للفلسفة (المترجمة).

34. هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية.

35. هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام.

36. هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ.

37. ول ديورانت، قصة الفلسفة.

38. ولتر ترنس ستيس، هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام.

901

ع 389 عبد الحميد، صائب.

موسوعة فلسفة التاريخ / صائب عبد الحميد.

-ط-1 - بغداد: مركز البيدر للدراسات والتخطيط، 2024

(284) ص، (17×24) سم

1 - التاريخ - فلسفة ونظريات -أ- موسوعة فلسفة التاريخ.

2024 / 534

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (534) لسنة 2024

من أجل أن تحضى فلسفة التاريخ بشيء مما حظيت به الفلسفة من اهتمام معجمي وموسوعي كبيرين، وليجتمع أعلام فلسفة التاريخ، مع أهم مصنفاتهم في هذا الفن، مع خلاصات ميسرة من أفكارهم الأهم في هذا الميدان، ولتنتظم مصطلحات فلسفة التاريخ في عقد واحد، مع التعريف الوافي بكل منها.

لكل ذلك وضع هذا الكتاب، تحت عنوان (موسوعة) فهو العنوان الأكثر مواءمة من (معجم) التي صارت إلى حدٍ كبير مختصة بالأعلام، أو (قاموس) المختصة بالمفردات ومعانيها.

وقد أولى الكتاب أفكار الفلاسفة ونظرياتهم الاهتمام الأكبر، أما سيرهم وتراجمهم فاكتفى بالتعريف المقتضب جداً، واعتمد التصنيف المعجمي المعتاد في ترتيب المصطلحات والأعلام، دون فصل بينهما، لأن فصلهما سيأتي بقسمين غير متكافئين في كتاب واحد.

9789922978192